

دانييل ديفو

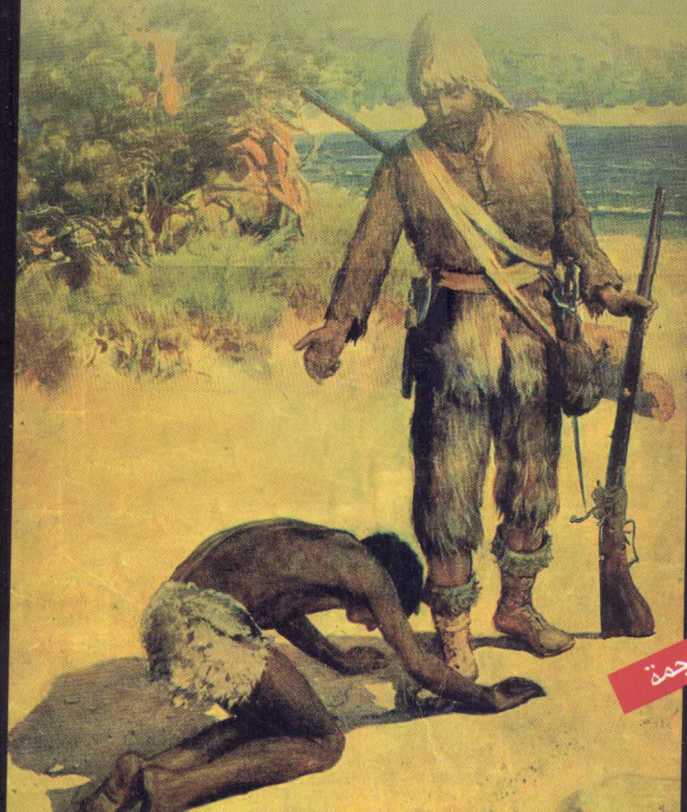
روبنسن كروزي

أول رواية معربة 1835

ترجمة: مجهول

تقديم: خيري دومة

دراسة: محمد سيد عبد التواب



مبشرات الترجمة

2358



هل تكون هذه أول "رواية" تترجم إلى العربية؟
ليس هذا هو السؤال بالضبط. وإنما قد تكون الصورة الأدق
للسؤال هي: ما موقع هذا "الكتاب" بين الكتب الأولى
المترجمة - أو حتى المطبوعة - بالعربية؟ من قام بترجمة
الكتاب وطباعته؟ وكيف؟ وما قصته؟ وماذا فعل هذا المترجم
الأول بالنص الإنجليزي في أوائل القرن التاسع عشر؟ وعن
أي طبعة من الطباعات الكثيرة للرواية قام بالترجمة؟ وبأي
مستوى من اللغة العربية ترجم النص الإنجليزي؟ وإلى أي
مدى أدخل تعديلات على النص بحيث يتواءم مع الذائقة
القصصية العربية في ذلك الزمان؟ لا أحد يعرف على وجه
التحقيق الظروف التي أحاطت بترجمة هذه الرواية ونشرها،
ولا من قام بالترجمة. كل ما نعرفه يقيناً هو ما تقوله صفحة
العنوان من أنها منشورة في مالطة عام 1835.
هل تكون هذه أول "رواية" تترجم إلى العربية؟

قصة روبنصن كروزي

أول رواية معربة

(مأططة ١٨٣٥)

المركز القومي للترجمة
تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

سلسلة ميراث الترجمة
المشرف على السلسلة: مصطفى لبيب

- العدد: 2358
- روبنسن كروزي (أول رواية معربة مألطة ١٨٣٥)
- دانيال ديفو
- مجهول
- محمد سيد عبد التواب
- خيرى دومة
- 2015

هذه ترجمة:

Robinson Crusoe

By: Daniel Defoe

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة
شارع الجبلية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

قصة روبنسن كروزي

أول رواية مُعرّبة

(مالطة ١٨٣٥)

تأليف: دانيال ديفو

ترجمة: مجهول

دراسة: محمد سيد عبد التواب

تقديم: خيرى دومة



2015

ديفو، دانيال. ١٦٦٠-١٧٣١.

قصة روبنسن كروزو: أول رواية مصرية: (مالطة
١٨٢٥)/ تأليف: دانيال ديفو: دراسة: محمد سيد
عبد التواب: تقديم: خيرى دومة. - القاهرة: المركز
القومى للترجمة، ٢٠١٥.
٣٠٤ ص: ٢٠ سم.

تدمك ٣ ١١٥ ٩٢ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - القصص الإنجليزية.

أ - عبد التواب، محمد سيد (دارس).

ب - دومة، خيرى (مقدم).

ج - العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١٥ / ٤١٩٠

I. S. B. N 978 - 977- 92 - 0115 - 3 .

ديوى ٨٢٢

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب
الفكرية المختلفة للقارئ العربى، وتعرفه بها. والأفكار التى تتضمنها هى
اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

قصة روبنصن كروزي

(البداية المجهولة لترجمة الرواية إلى العربية)

د. خيرى دومة

(١)

حتى وقت قريب كان الوصول إلى الكتب العربية المطبوعة فى القرن التاسع عشر، مؤلفة كانت أو مترجمة - أمراً بالغ الصعوبة؛ فالوصول إليها يقتضى بحثاً مرهقاً فى أضايير دور الكتب المتهالكة، وقد يصل الباحث إلى الكتاب فى النهاية أو لا يصل، وكان الوصول إلى هذه الكتب فى مكتبات أوروبا أسهل كثيراً من الوصول إليها فى مكتبات العالمين العربى والإسلامى؛ ذلك أن تلك الكتب تمثل جزءاً من التاريخ الأوروبى الاستشراقى ثم الاستعمارى فى القرن التاسع عشر، كما أنهم كانوا أكثر عناية بالحفظ والأرشفة واستخدام أكثر الوسائل تطوراً لتسهيل الوصول إلى المصادر.

فى السنوات الأخيرة - مع ظهور شبكة الإنترنت، والنشاط الملحوظ من مؤسسات ومن متطوعين، فى الحصول على تلك الكتب والمخطوطات من أماكن مختلفة من العالم، ووضع صور منها على شبكة الإنترنت، وإتاحتها لأوسع عدد من القراء حول العالم - بات من السهل الوصول إلى بعض تلك المصادر، التى كانت حتى وقت قريب مجهولة لم يطلع عليها أحد، وإن سمع باسمها الباحثون ورددوه أحياناً.

أضف إلى ذلك أن المثقفين العرب المعاصرين، ومع ما انتاب نهضتهم الحديثة من انتكاسات متوالية، وجدوا أنفسهم مدفوعين إلى مراجعة البدايات الأبعد في أوائل القرن التاسع عشر، وربما قبل ذلك، في محاولة منهم لفهم أزماهم الحاضرة؛ ومن ثم ظهرت دراسات متعددة بالعربية والإنجليزية تعمل بدأب على هذه المنطقة المجهولة من التاريخ العربى الحديث، سياسيا واقتصاديا وثقافيا وأديبا. وهكذا جاء الاهتمام بالبدايات في كل الشئون، ومنها بالطبع الشأن الثقافى، فتسابق الدارسون والباحثون في العقود الأخيرة لإعادة نشر الكتب الأولى مع مقدمات تستند إلى معرفة أوسع ومنظور أحدث، بما في ذلك طبعا إعادة نشر الروايات والمسرحيات، المترجم منها والمؤلف.

وقد عرف القراء العرب بطبيعة الحال منذ وقت مبكر نسبيا، ومع بداية البحث في تاريخ النوع الروائى فى الأدب العربى الحديث^(١)، أن من أوائل النصوص الروائية التى ترجمت إلى العربية رواية الكاتب الفرنسى فينيلون "مغامرات تيلياماخوس" التى ترجمها رفاعة الطهطاوى حين كان منفيًا فى السودان أوائل خمسينيات القرن التاسع عشر، ونشرها لأول مرة فى بيروت عام ١٨٦٧ تحت عنوان "مواقع الأفلاك فى مغامرات تليماك"، ثم أعيدت طباعتها مرات محدودة، كان آخرها الطبعة التى صدرت عن دار الكتب والوثائق القومية فى مصر عام ٢٠٠٧.

(١) لا بد من الإشارة هنا إلى الجهود الرائدة لكل من لطيفة الزيات، ومحمد يوسف نجم، وعبد المحسن طه بدر.

كما عرف القراء العرب أيضاً فيما بعد، أن هناك ترجمة قديمة لرواية "حياة روبنسون كروزو ومغامراته" للكاتب الإنجليزي دانيال ديفو، تسبق - من حيث تاريخ النشر على الأقل - ترجمة الطهطاوى لرواية تليماك؛ ذلك أن المعلم بطرس البستاني كان قد "ترجم الرواية وهذبها وناظر طبعها"، فى بيروت عام ١٨٦١، تحت عنوان "كتاب التحفة البستانية فى الأسفار الكروزية، أو رحلة روبنصن كروزى"، وأعيدت طباعة هذا الجزء عام ١٨٨٥، قبل أن يعاد طبعه بعد ذلك مرات مختلفة.

لقد أتيح للقراء العرب إذن، أن يتعرفوا على هذين الكتابين الشهيرين نسبياً، وأن يقرؤوهما أحياناً، كما أتيح لهم أن يتعرفوا على بعض الترجمات التى صدرت أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، لكن أحداً منهم لم يُتَح له أن يرى هذه الترجمة العربية الباكورة لرواية ديفو الشهيرة، التى نشرت فى مطبعة مالطة عام ١٨٢٥، تحت عنوان "قصة روبنصن كروزى"، دون ذكر للمؤلف ولا للمترجم، وفى وقت كانت الطباعة بالعربية فى العالم العربى لا تزال تتحسس طريقها البكر وتبتدع أساليبها. ربما قرأ بعض الباحثين إشارة إلى تلك الترجمة هنا أو هناك، لكنها ظلت نصاً من النصوص البدائية المجهولة البعيدة، التى ربما لم يتأكد من وجودها أحد، فضلاً عن أن يعيد نشرها أو يتوقف عندها بالدرس والتحليل^(٢).

(٢) لابد من توجيه الشكر هنا إلى باحثين عزيزين، الأول: محمد سيد عبد التواب، الذى عثر على نص هذه الترجمة، حين كان يعمل فى رسالته للماجستير عن روايات =القرن التاسع عشر، بإشراف سيد البحراوى ومشاركتى فى الإشراف؛ فقد قدم

كانت إشارة غامضة إلى هذه الترجمة العربية، قد وردت في مقدمة الأصل الإنجليزي للرواية، في طبعة نيويورك عام ١٨٥٢؛ إذ تتحدث المقدمة عن شهرة الرواية وذيوعها في كثير من اللغات الحية، فتقول: "طُبعت روبنسون كروزو تقريباً في كل لغة مكتوبة، وصارت متعة لكل الناس في كل الأديان ومن كل الطبقات، من تلميذ لندن في فصله الدراسي، إلى العربي في خيمته"^(٣).

وربما كانت أقدم إشارة في المصادر العربية إلى هذه الترجمة، هي التي وردت في كتاب إدوارد فان دايك عام ١٨٩٧ «اكتفاء القنوع بما هو مطبوع»؛ إذ قال في ترجمته لبطرس البستاني، ضمن الستة الكبار، ما نصه: "... وترجم قصة روبنصن كروزى من اللغة الإنجليزية، طبعت في بيروت، وهذه الترجمة أضيف وأوفى من التي طبعت في جزيرة مالطة سنة ١٨٢٥ م..."^(٤).

بعدها كانت إشارة جون إليان سركيس عام ١٩٢٨ في هامش على الكتاب رقم ٥ من كتب المعلم بطرس البستاني (قصة روبنسون

لى منذ ٢٠١٢ نسخة إلكترونية من الترجمة لنشرها في المركز القومى للترجمة، كانت تنقصها بعض الكلمات والسطور أحياناً، والثانى: بيتر هيل، باحث الدكتوراه فى جامعة أكسفورد، الذى يعمل على موضوع «اليوتوبيا فى القرن التاسع عشر»؛ فقد قدم لى النسخة الأوضح لهذه الترجمة التى نعتمدها هنا للنشر. بالإضافة إلى نسخة من رسالة جيفرى روبر عن مطبعة مالطة ودورها، وهى الدراسة التى تضمنت معلومات ووجهات نظر جديدة حول مطبعة مالطة وحول هذه الترجمة الباكورة، مما فتح لى باباً لتوسيع البحث وتعميقه.

(3) Daniel De Foe, *The Life and Adventures of Robinson Crusoe*, (the only complete American edition), D. Appleton & Company, 200 Broadway, New York 1853. P: XIV.

(٤) راجعت نسخة إلكترونية من الكتاب على شبكة الإنترنت

كروزي، معرب عن الإنجليزية، بيروت)؛ إذ علق على هذه الجملة في الهامش قائلاً: «وطبعت هذه القصة في مالطة سنة ١٨٢٥، ص ٢٥٢، موسومة بقصة روبنسون كروزي باللغة العربية، تشتمل على سياحته وما جرى له أثناء ذلك (بدون اسم المترجم)»^(٥).

ثم جاءت إشارة محمد جمال الدين الشوربجي عام ١٩٦٢ حين قال في وصف الكتاب رقم ١٩٨ ضمن قائمته: «قصة ربنصن كروزي الإنجليزي، المولود في ١٦٣٢ ميلادية، في مدينة يورك من أعمال بريطانيا. تأليف دانيال ريفو (هكذا في الأصل) مالطة ١٨٢٥م، ١٢٥١ هـ، ٢٥٢ ص، ٦ لوحات، ١٤ سم، (٢٦٥٢ أدب)^(٦).

وتوالت الإشارات بعد ذلك في كتب كثيرين ممن أرخوا للدور المترجمة في نشوء الرواية العربية وتطورها، وكان أهم هذه الإشارات وأشدها وضوحاً ما جاء عام ١٩٨٢ ضمن كتاب متى موسى عن «أصول القص العربي الحديث»، حين قال: «إن ترجمة مجهولة لروبنسون كروزو ظهرت في مالطة عام ١٨٢٥، ربما كانت من عمل فارس بن يوسف الشدياق، الذي كان قد انخرط مع الإرساليات الأمريكية هناك عام ١٨٢٤ ليساعدهم في ترجمة الأدب الديني إلى العربية، وقد تكون هذه هي الترجمة العربية الأولى لعمل قصصى إنجليزي»^(٧).

(٥) راجع : معجم المطبوعات العربية والمعرية، جمعه ورتبه جون إليان سركيس. ج ١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د. ت) ص ٥٥٨.

(٦) راجع: قائمة بأوائل المطبوعات العربية المحفوظة بدار الكتب حتى سنة ١٨٦٢، جمع وتصنيف محمد جمال الدين الشوربجي، مطبعة دار الكتب ١٩٦٣. ص ٥٩.

(7) Moosa' Matti, *The Origins of Modern Arabic Fiction*, 2nd Ed, A Three Continents Book, London, 1997, p: 97.

بعد هذه الإشارة - وربما نقلاً عنها - جاءت إشارتان في مقدمة المجلد الخاص بالأدب العربي الحديث من «تاريخ كيمبرج للأدب العربي» الصادر عام ١٩٩٢، إحداهما لمحمد مصطفى بدوى الذى ينتقل بشكل مفاجئ، وبعد حديث مطول عن الطهطاوى ودوره فى الترجمة، فيقول فى جملة واحدة مقتضبة: «فى ١٨٢٥ كانت ترجمة مجهولة لروبنسون كروزو قد نشرت فى مالطة»^(٨)، أما الثانية فهى إشارة ببير كاكياء الموثقة، والمقتبسة من كتاب متى موسى، وهى إشارة تجعل من هذه الترجمة حدثاً استثنائياً وربما لا معنى له، يقول كاكياء: «إن أول جهد فردى يستحق التسجيل - إذا استثنينا ترجمة روفائيل زاخور راهب لحكايات لافونتين، وروبنسون كروزو المجهولة المطبوعة فى مالطة عام ١٨٢٥ - هو ترجمة رفاعة الطهطاوى لتليماك»^(٩). والوصف الذى تستخدمه الإشارات الثلاث السابقة هو: «ترجمة مجهولة» anonymous translation .

وإشارة تاريخ كيمبرج هذه هى نفسها التى اعتمد عليها عبد الله إبراهيم عام ٢٠٠٣، فى الفصل الرابع المخصص للتعريب ضمن كتابه «السردية العربية الحديثة»، وفى سياق يستقصى فيه الترجمات السابقة على ترجمة الطهطاوى لرواية تليماك، مثل ترجمة محمد مصطفى لكتاب فولتير «مطالع شمس السير فى وقائع كارلوس الثانى عشر» الصادر عن مطبعة بولاق عام ١٨٤٢، وترجمة بطرس

(8) M. M. Badawi(Ed), "Modern Arabic Literature" (*Cambridge History of Arabic Literature*), Cambridge University Press 1992, p: 16.

(9) Ibid, p: 27.

البستاني لروبنسون كروزو الصادرة فى بيروت عام ١٨٦١، وهى الترجمة التى يعقب عليها قائلاً : «... وإن وردت إشارة غير موثقة فى كتاب تاريخ كيمبرج للأدب العربى بأن ترجمة عربية، مجهولة المترجم لها، ظهرت فى مالطة، فى سنة ١٨٢٥، وهذه الإشارة لم يرد فى حدود علمنا تأكيد لها فى المصادر العربية التى اطلعنا عليها»^(١٠).

من الواضح أن معظم هؤلاء الدارسين لم تصل يده إلى الكتاب الأصلي؛ إذ يبدو أن أحداً لم يقرأ الترجمة ولم يتوقف عندها بالدرس؛ بدءاً من فان دايك الذى يخطئ فى تاريخ نشرها (١٨٢٥ بدلاً من ١٨٢٥)، وإن أصاب تماماً فى أن ترجمة البستاني أوفى وأضبط منها، أما سر كيس فيسميها "قصة روبنسون كروزي"، بخلاف الطريقة التى كتب بها العنوان فى مطبعة مالطة "قصة روبنصن كروزي"، والشوريجى عدّ "روبنصن" شخصية حقيقية، واعتمد المعلومات الواردة عن بطل البرواية فى الصفحات الأولى من الكتاب التى تصفحها سريعاً أو وجد وصفها فى قوائم دار الكتب، وعدها معلومات تاريخية، وقد اجتهد فى الحصول على اسم المؤلف غير الموجود على النسخة الأصلية، وأخطأ فى التسمية ليصبح (ريفز) بدلاً من (ديفو)، بينما لم يشر من قريب أو بعيد إلى المترجم. أما عبد الله إبراهيم فيعدّ إشارة كيمبرج إلى هذه الترجمة إشارة "غير موثقة"؛ لأنه لم يرد لها تأكيد فى المصادر العربية التى اطلع عليها!

(١٠) عبد الله إبراهيم: السردية العربية الحديثة، المركز الثقافى العربى، بيروت ٢٠٠٢، ص ١٤٣.

ومن الواضح أيضاً أن هذه الترجمة الباكرا انتقلت بطرق متعددة إلى المشرق العربي، ضمن الكتب التي أذاعتها المطابع العربية الأولى، في مصر ومالطة وبلاد الشام^(١١)، والمعلم بطرس البستاني الذي قدم الترجمة الأوسع والأدق في ستينيات القرن التاسع عشر، كان ولا شك على معرفة بهذه الترجمة، بدليل أنه بعد أن يضع عنوان ترجمته التقليدي المسجوع (التحفة البستانية في الأسفار الكروزية) يجعل عنوانها الفرعى (رحلة روبنصن كروزى)، وهو عنوان لا يكاد يختلف عن (قصة روبنصن كروزى). ولا أحد يعرف بالضبط متى تحولت تهجئة اسم الشخصية والعنوان من (روبنصن كروزى) إلى (روبنسون كروزو)، وهى التسمية التى باتت راسخة ومعروفة فى

(١١) ضمن دراسة جيفرى روبر «الطباعة العربية فى مالطة ١٨٢٥-١٨٤٥: تاريخها ومكانتها فى تطور ثقافة الطباعة فى الشرق الأوسط العربى»، وردت إشارتان مهمتان حول هذه الترجمة لروبنسون كروزو ورحلتها إلى بلاد المشرق، إحداهما تقول: إن «جوزيف وولف كان قد زار الحديدة فى اليمن عام ١٨٣٦، وأعطى النسخة العربية من روبنسون كروزو لإبراهيم باشا قائد القوات المصرية فى اليمن. وبعد قراءتها أخبره إبراهيم باشا أنه مندهش تماماً أن يجد فى الرواية الشئ الكثير عن الله». ص ٣٠٢. أما الإشارة الأخرى فنقول: إن «محمد على باشا كان يسمى عام ١٨٣٨ لترجمة بعض الكتب لتربية البنات ولقراءة الحريم. وبدلاً من ذلك عُرض عليه أن يعيد طبع ثلاثة كتب مترجمة ومطبوعة فى مطبعة مالطة، وذلك بعد تدقيقها وتصويبها، وبين الكتب الثلاثة كان كتاب روبنصن كروزى. وقد أصدر الباشا أوامره بذلك، ولكنها لسبب ما لم تُطبع». ص ٢٨٥-٢٨٦. راجع:

Geoffrey Roper. (1988) *Arabic printing in Malta 1825-1845: Its history and its place in the development of print culture in the Arab Middle East*, Durham theses, Durham University, Available at Durham E-Theses Online, <http://etheses.dur.ac.uk/1550/>

اللغة العربية، والتي نجدها فى عناوين الترجمات العربية الأحدث فى القرن العشرين^(١٢).

(٢)

هل تكون هذه أول "رواية" تترجم إلى العربية؟ ليس هذا هو السؤال بالضبط. وإنما قد تكون الصورة الأدق للسؤال هى: ما موقع هذا "الكتاب" بين الكتب الأولى المترجمة - أو حتى المطبوعة - بالعربية؟ من قام بترجمة الكتاب وطباعته؟ وكيف؟ وما قصته؟ وماذا فعل هذا المترجم الأول بالنص الإنجليزى فى أوائل القرن التاسع عشر؟ وعن أى طبعة من الطبعات الكثيرة للرواية قام بالترجمة؟ وبأى مستوى من اللغة العربية ترجم النص الإنجليزى؟ وإلى أى مدى أدخل تعديلات على النص بحيث يتواءم مع الذائقة القصصية العربية فى ذلك الزمان؟ لا أحد يعرف على وجه التحقيق الظروف التى أحاطت بترجمة هذه الرواية ونشرها، ولا من قام بالترجمة. كل ما نعرفه يقيناً هو ما تقوله صفحة العنوان من أنها منشورة فى مالطة عام ١٨٣٥.

(١٢) قام رائد أدب الأطفال المصرى كامل كيلانى فى أواسط القرن العشرين بتحويل الرواية إلى قصة أطفال، صدرت ضمن سلسلة «أشهر القصص» عن دار المعارف بالقاهرة، تحت عنوان «روبنسون كروزو»، ثم قدمت أنجيل بطرس سمعان عرضاً للرواية فى كتيب تحت عنوان «روبنسون كروزو لدانييل ديفو». صدر ضمن سلسلة «تراث الإنسانية»، إلى أن جاءت ترجمة أوسع لأسامة أسير عام ٢٠٠٧، فى سلسلة «أفاق ثقافية» التى تصدر عن وزارة الثقافة السورية، ثم أعادت مؤسسة هنداوى بالقاهرة عام ٢٠١٢ إصدار طبعة جديدة من الصياغة التى قدمها كامل كيلانى للرواية، إلى جانب ترجمة جديدة مبسطة فى سلسلة الأدب العالمى للناشئين، قامت بها مروة ماهر الحق، عام ٢٠١٣. وكل هذه الطبعات كان عنوانها إما (روبنسون كروزو) كما فى كتاب الكيلانى، أو (روبنسون) كما فى بقية الكتب.

كانت الطباعة العربية فى ذلك الزمان لا تزال فى بداياتها؛
فرغم أن أوروبا قد عرفت الحرف العربى المطبوع منذ القرن
السادس عشر، فإن عدد الكتب المطبوعة بالعربية ونوعياتها تشير
إلى محدودية الطباعة والموضوعات. كان هناك مجالان أساسيان
تهتم بهما أوروبا وتنتشر فيهما ما يمكنها من الكتب العربية: الأول
هو التبشير بالمسيحية وتعاليمها، والثانى هو ما وقع تحت أيديها
من كتب التراث العربى وكتب تعليم العربية. كان ذلك فى جامعات
أوروبا الكبيرة ومطابعها، وعلى يد مستشرقىها الناشطين فى هولندا
 وإيطاليا وبريطانيا وفرنسا^(١٢). أما مطبعة مالطة التى صدر عنها
الكتاب فإنها كانت تابعة لبعثات التبشير الأوروبية والأمريكية فى
الجزيرة، استمر عملها من عام ١٨٢٥ حتى عام ١٨٤٢، ولم تكن قد
نشرت بالعربية سوى عدد محدود من الكتب، كلها تقريباً (ما عدا
هذه الرواية) يتصل بالتعاليم المسيحية والكتاب المقدس وبعض كتب
التاريخ... إلى آخر الكتب التى كانت نسخها تنتقل إلى مسيحيى

(١٢) حول تاريخ الطباعة العربية راجع:

- بحوث الندوة التى عقدها ونشرها فى كتاب مركز جمعة الماجد بدبى فى أكتوبر
١٩٩٥، تحت عنوان «تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر»،
الطبعة الأولى ١٩٩٦.
- الكتاب فى العالم الإسلامى: الكلمة المكتوبة كوسيلة للاتصال فى منطقة الشرق
الأوسط، تحرير جورج عطية، ترجمة عبد الستار الحلوجى، عالم المعرفة، الكويت،
أكتوبر ٢٠٠٣.

الشرق، خصوصاً في الشام ومصر^(١٤). فما الذي فكر فيه المشرفون على مطبعة مالطة حين ترجموا وطبعوا ونشروا هذه الرواية؟ في الإجابة عن سؤال "من الذي قام بالترجمة؟"، لم يتبرع أحد ممن قرأنا إشاراتهم حتى الآن، باقتراح اسم المترجم، اللهم إلا متى موسى الذي اقترح على الفور احتمالية أن يكون فارس بن يوسف الشدياق هو المترجم. واقتراحه يستند بالطبع إلى معلومات تاريخية تشير إلى انخراط الشدياق في العمل مع الإرساليات الأمريكية في مطبعة مالطة عام ١٨٢٤، لكنه يستند أكثر إلى عبارة شهيرة لجرجى زيدان، وردت في ترجمته للشدياق ضمن مشاهير القرن التاسع عشر، يقول فيها: "... وفي سنة ١٨٢٤ سافر إلى جزيرة مالطة، وأقام فيها زهاء أربع عشرة سنة، يدرس في مدارس المرسلين الأمريكان، وقد تولى تصحيح ما يطبع في مطبعتهم هناك، وأخذ في التأليف والتصنيف، ولا يكاد يوجد كتاب مطبوع في مطبعة مالطة إلا كان هو مؤلفه أو مترجمه أو مصححه"^(١٥). ومع أن جرجى زيدان لم يذكر من هذه الكتب التي وضعها الشدياق في مالطة، سوى كتاب في التدريس وآخر بعنوان «الواسطة في أحوال مالطة»، فإن إشارته هذه دفعت متى موسى وربما غيره من الباحثين إلى الظن بأن هذه الرواية المجهولة

(١٤) حول مطبعة مالطة والعاملين فيها. ودورها في نشر الكلمة المطبوعة بالعربية في بلدان الشرق الأوسط في النصف الأول من القرن التاسع عشر، راجع رسالة جيفري روبر المشار إليها سابقاً.

(١٥) جرجى زيدان: مشاهير القرن التاسع عشر. مطبعة الهلال. ط ٣، القاهرة ١٩٢٢. ج ٢، ص ٧٦.

الصادرة عن مطبعة مالطة عام ١٨٢٥، ربما تكون من ترجمته، وهذا ما يشكك في صحته، وربما يدحضه تماماً مجموعة من الأمور:

أول هذه الأمور يستند أيضاً إلى معلومات تاريخية يذكرها جيفرى روبر في دراسته لمطبعة مالطة، معتمداً على ما جاء في أرشيفات جمعيات التبشير الأمريكية والبريطانية المشرقة على هذه المطبعة، وفي المذكرات والرسائل المتبادلة بين أعضائها وباحثيها والقائمين عليها. وأولى هذه المعلومات أن الشدياق لم يكن العربى الوحيد الذى عمل مع المستشرقين والمرسلين فى مطبعة مالطة. صحيح أنه كان أول من عُيِّن محرراً ومصححاً من المواطنين العرب فى مطبعة مالطة ... لكنه سرعان ما غادر، وحل محله بعد فترة العراقى عيسى الرسام. وبعد أن غادر الرسام عاد الشدياق وظل يعمل مع المؤسسة حتى النهاية، برغم سفرياته هنا وهناك، ثم رافقه بعد ذلك تلميذه السابق، المصرى حنا جوالى. لقد أدرك المبشرون - كما يقول روبر - استحالة القيام بالترجمة بأنفسهم، فكانوا يرسلون ترجمتهم إلى القاهرة لمراجعتها وتصحيحها، ثم استعانوا بعيسى بطرس من القدس، بعدها جاء فارس الشدياق لمدة أقل من سنة، وأصابه المرض وعاد إلى القاهرة، فاستعانوا بعيسى الرسام العراقى الكلدانى، إلى أن عاد الشدياق فى أواخر عام ١٨٢٥.

والخلاصة التى ينتهى إليها روبر أن عبارة جرجى زيدان الشهيرة قد ضللت الباحثين عن إنجاز الشدياق فى مالطة، وأنه ليس مترجم رواية روبنسون كروزو التى ظهرت هناك. يقول: «... يمكننا الآن أن ننظر بسرعة فى الكتب التى أنتجها الشدياق أو ساعد فى إنتاجها فى مالطة. إن قول جرجى زيدان بأنه «لا يكاد يوجد كتاب مطبوع

فى مطبعة مالطة إلا كان هو مؤلفه أو مترجمه أو مصححه» أمرٌ لا معنى له، وينفيه حياة مترجمين عربيين ووقائع حياتهما هناك (الرسام والجوالى). ولكن لسوء الحظ فقد كرر عدد من الدارسين ما قاله زيدان، وهو ما سمح بالفوضى فى تقييمهم لمنزلة الشدياق الأدبية، وأدى إلى تزييف إسهاماته؛ فقد افترض أكثر من دارس مثلاً، وهو أمرٌ خاطئٌ تماماً، أنه ترجم رواية روبنسون كروزو لديفو (قصة روبنصن كروزى، مالطة، ١٨٣٥) (١٦).

(16) Geoffrey Roper. (1988) Arabic printing in Malta 1825-1845: Its history and its place in the development of print culture in the Arab Middle East, p: 225.

وعن عيسى أنطون رسام، يقدم روبر المعلومات التالية:

مترجم عربى فى مالطة ١٨٣٢ - ١٨٣٤

كانت عائلته تعمل بالرسم لصالح المسلمين، وهو نفسه أخبر شيلينز أن والده رجل إنجليزى جاء من الهند واستقر فى الموصل.

مسيحى كلدانى من الموصل بالعراق، وربما ولد فى حلب بلد والدته ومنها انتقل إلى العراق. ولد ١٨٠٨. رحل من الموصل إلى دمشق إلى القاهرة فى صحبة قافلة، وكان يدعى لدى المبشرين فى القاهرة وفى مالطة «عيسى البغدادى»، كان من المقرر أن ينتقل إلى مالطة ١٨٣٠ لمساعدة شيلينز فى الترجمة وتحرير النصوص العربية.. لكن ذلك تأخر حتى ١٨٣٢، وهناك اكتسب ثقة شيلينز أكثر من الشدياق الذى كان يملك معرفة أكبر بالعربية وأساليبها.

حتى نوفمبر ١٨٣٤ كان لا يزال يعمل فى مطبعة مالطة على تحرير النصوص العربية، وفى بداية ١٨٣٥ تزوج من ماتيلدا بادجر، أخت المستشرق جورج بيرسى بادجر. قيل: إنه كان مرتبكاً بآراء الأفكار الدينية التى تحتويها النصوص التى كان يطلب منه ترجمتها؛ فكثير من هذه النصوص كان يتضمن مبادئ مناقضة لما تعلمه فى صباه، فأصابه القلق والحزن إلى وطنه. ترجم كتاب إيضاح التعليم المسيحى ونشر فى مالطة عام ١٨٣٣. فى مارس ١٨٣٥ التقى بالكولونيل فرانسيس شيسنى وصحبه فى حملته إلى العراق والشام مترجماً عارفاً باللغتين الإنجليزية والعربية،=

تاريخيا إذن، لم يكن الشدياق وحده هو المواطن العربى الذى يعمل بالترجمة والتحرير والتصحيح فى مطبعة مالطة، فقد كان معه على الأقل العراقى عيسى بطرس الرسام. والأهم من هذا أن الشدياق لم يكن مقيماً فى مالطة أواخر عام ١٨٣٤، وذلك بعد أن اعتلت صحته واضطر إلى المغادرة، إلى أن عاد فى أواخر عام ١٨٣٥، وهو العام الذى صدرت فيه ترجمة «قصة روبنصن كروزي».

=وحمل معه كثيراً من الكتب العربية التى طبعت فى مالطة ليوزعها فى المنطقة. عاد الشدياق إلى الوظيفة بينما ظل الرسام فى العراق. فى نهاية حياته استقر فى الموصل، وعمل بالتجارة، وعاد إلى الترجمة وترجم أجزاء من العهد القديم إلى المسيحية، مع مفردات من السريانية والعامية العربية. توفى فى ١٨٧٢. قيل: إنه ترجم فى القاهرة «كتاب التواريخ» (الذى صدر فى مالطة ١٨٣٢)، ومن المؤكد تقريباً أنه شارك فى ترجمة كتب أخرى فى ذلك الوقت، ولا بد أنه عمل فى مالطة على معظم الكتب الصادرة من ١٨٣٣ حتى ١٨٣٥، وقد زعم أنه ترجم كتاب «سياحة المسيحى» الذى صدر فى ١٨٣٤ والمنسوب إلى شيلينز، وربما عملاً عليه معاً.

وأما عن «حنا جوالى»، فيذكر روبر المعلومات التالية:

عمل فى مطبعة مالطة من ١٨٢٨ حتى ١٨٤٢.

فى سنة ١٨٣٢ عين فارس الشدياق مدرساً فى «جمعية ترقى المعارف المسيحية» CMS فى القاهرة، وأعد تقريراً عن تلامذته حُفظ فى أرشيفات الجمعية، وكان أمهرهم كما قال هو جوزيف جولى، وهو قبطى، ولكن أخاه جون جولى كان «لديه تعطش ورغبة فى المعرفة يفوقان ما لدى جوزيف»؛ فحين كان عمره ثمانية أو تسعة أعوام أتقن النحو وتمتع بذاكرة استعادية قوية. وعائلة الجوالى عائلة قبطية كبيرة من منفلوط، جاء منها البطريرك بطرس السابع، الذى أدار مكتب الجمعية من ١٨٠٩ أو ١٨١٠ حتى ١٨٥٢.

وحين كان حنا فى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره، زار شيلينز القاهرة وأعجب بقدراته اللغوية وقدراته عمومًا وأقنعه بالعودة معه إلى مالطة ليعمل مترجماً فى مطبعتها... وقد وصل حنا وشيلينز إلى مالطة فى خريف ١٨٢٨. (ص ١٧٥).

الأمر الثانى يتصل بشخصية الشدياق، وطبيعة أسلوبه ولغته التى يعرفها من قرؤوا كتبه المؤلفة والمترجمة، وهما أسلوب ولغة لا يتفقان مع الأسلوب واللغة التى ترجمت بهما «قصة روبنصن كروزى». الشدياق أديب القرن التاسع عشر كان صاحب مشروع لغوى وأدبى وصحفى كبير. وقد تجلّى هذا المشروع منذ كتبه التعليمية الأولى، وكتابه عن مالطة نفسها بعنوان «الواسطة فى أحوال مالطة»، وصولاً إلى صحيفة «الجوائب» التى أشرف على إصدارها فى الآستانة ولعبت دوراً كبيراً فى تثقيف أبناء القرن التاسع عشر، وتبلور هذا المشروع خصوصاً فى كتابه الروائى المركب «الساق على الساق فيما هو الفارياق»^(١٧) الذى صدرت طبعته الأولى الكاملة فى باريس ١٨٥٥. والمعروف أن الشدياق، صاحب «غنية الطالب ومنية الراغب» وصاحب «الجاسوس على القاموس»، لم يكن على وفاق مع المستشرقين الأوروبيين، خصوصاً أولئك الذين أصرّوا على اللجوء إلى لغة ركيكة فى ترجمة الكتاب المقدس^(١٨)، فكيف له أن يلجأ إلى اللغة المختلطة الغريبة التى ترجم بها هذا العمل؟

أما الأمر الثالث الذى يشكك فى نسبة هذه الترجمة إلى الشدياق، فيتعلق بالصيغة القصصية التى اختارها المترجم، وبطبيعة اللغة التى ترجم بها الكتاب، بدءاً من العنوان، وصولاً إلى أدق التفاصيل.

(١٧) راجع دراسة رضوى عاشور عن الشدياق ومشروعه وكتابه وعلاقته بالمستشرقين، تحت عنوان «الحداثة الممكنة: الشدياق والساق على الساق، الرواية الأولى فى الأدب العربى الحديث»، دار الشروق القاهرة ٢٠٠٩.

(١٨) راجع دراسة محمد سواعى بعنوان «أحمد فارس الشدياق ورأيه فى بعض المستشرقين وفى مشكلات الترجمة»، منشورة على شبكة الإنترنت.

أضف إلى ذلك أن الشدياق - الذى قضى جزءاً كبيراً من حياته فى أوروبا القرن التاسع عشر، واتصل بالأدب الأوروبية، وكشف عن هذا الاتصال فيما بعد فى كتابه «كشف المخبا عن فنون أوروبا»، ثم فى كتابه الشهير «الساق على الساق فيما هو الفاريق»، أشار فى مواضع متعددة من «الساق»، إلى اطلاعه على أعمال سوفت وبايرون وشيتيرن وشاتوبريان ورابيه ولامارتين - لكنه لم يذكر قط أنه قرأ ديفو وروايته «روبنسون كروزو».

أما الإجابة عن سؤال «لماذا ترجمة روبنسون كروزو، فى مطبعة تبشيرية ينصب اهتمامها على تقديم الكتب الدينية المسيحية، وعلى هامشها كتب قليلة فى التاريخ وفى اللغة وفى المعارف العامة كالرسم والفلك والعلوم؟» فربما تكمن الإجابة فى طبيعة هذه الرحلة الخيالية التى يرويها الكتاب، رحلة مغامر أوروبى يبحث عن أرض جديدة، يستعمرها ويعلم أهلها، ينقل لها الحضارة وينشر فيها تعاليم المسيحية، وعلى مدار الرواية يستخدم كروزو لغة وصوراً دينية، وإشارات من الكتاب المقدس (أكثر من ٢٠ اقتباساً من الكتاب المقدس)، ولا غرابة فقد عثر على نسخة من الكتاب المقدس وظل مؤنساً له فى وحدته فى الجزيرة^(١٩)، وعلى يدى كروزو يعتنق جمعة البربرى المسيحية

(١٩) لعل مما له دلالة هنا، أن المترجم المجهول قد تدخّل أحياناً، ووضع اقتباسات من الكتاب المقدس ليست موجودة فى الرواية التى يترجمها، وإن كانت تتفق مع الاتجاه العام للرواية وصاحبها. من ذلك مثلاً ما نجده فى الصفحة الثانية، وفى =سياق الإعلاء من فكرة الوسط الذهبى بين كل نقيضين؛ إذ يقتبس نصاً عن (سفر الأمثال، الإصحاح ٣٠، الآية ٨-٩) فيقول فى سياق نصائح الوالد لولده روبنسون الذى أصر على ترك بلده والمغامرة وراء البحار:

السمحة، كما أن كروزو لا يروى حياته من منظور واحد هو منظور الشاب المندفع، بل أيضًا من منظور مسيحي واضح، يكشف عن طابع نبؤي مرتبط بالعصيان والخروج، ونبوءة الأب التي تبدأ بها القصة، فتظل تلح على ذهن البطل / الابن حتى النهاية.

هل هذا هو ما دفع المشرفين على المطبعة التبشيرية إلى اختيار هذه الرواية للترجمة؟ ربما، وربما أيضًا كانت الترجمة جاهزة لديهم بعد أن أنجزها أحد المستشرقين؛ إذ تشير المصادر إلى أن الرحالة والمؤرخ السويسري جون لويس بوركهارت، الذي ذهب إلى كيمبردج عام ١٨٠٨ لدراسة اللغة العربية، ومُرَّ بمالطة في العام التالي، في طريقه إلى مدينة حلب، التي أقام فيها وانغمس في دراسة اللغة العربية، كان قد قام هناك بترجمة «روبنسون كروزو» إلى العربية.

ربما كانت ترجمة روبنسون كروزو المجهولة هذه حالة استثنائية لا يقاس عليها كما الملح بيير كاكيا؛ ومن ثم فقد تكون ترجمة لا وزن لها في تاريخ ترجمة الرواية إلى العربية؛ لأنها لم تشكل جزءًا من حركة مكتفة لها أثرها الواضح في تطور النوع الروائي العربي، مع أن هناك إشارات غامضة إلى ترجمات من هذا النوع قام بها مستشرقون ومسيحيون عرب في العقدين الأول والثاني من القرن

«... ولوقت وصف لي مثل الجامع أجور بن القاي؛ إذ قال: فقراً وغنا لا تعطيني، بل رتب لي ما أحتاج إليه لعيشتي، لكيلا أشبع وانتقاد للكفر وأقول من هو الرب، أو أفترق فأسرق وأحلف باسم إلهي زوراً» (أمثال، ص ٣٠، عدد ٨ و ٩) فالعيشة المتوسطة هي أعظم سعادة... (روبنسن كروزو، ص ٤)

التاسع عشر^(٢٠). ربما لا يكون لهذه الترجمة المجهولة لرواية روبنسون كروزو قيمة فنية وتاريخية عظيمة، غير أنها مع كل ذلك ربما تكشف عن أمور مهمة؛ لأنها تضع أمامنا المخاض الأول لمولد ترجمة النوع الروائى قبل نشوئه مؤلفاً فى الأدب العربى الحديث، وتضع أيدينا على الكيفية التى توصل بها هؤلاء المترجمون المجهولون الأوائل، إلى تكييف النوع الروائى مع تقاليد القص العربى الراسخة والمختلفة.

(٢)

على غلاف الكتاب، وداخل إطار زخرفى كان شائعاً لأول العهد بالطباعة، يجد القارئُ العنوانَ ولا شىء آخر: «قصة روبنصن كروزى»، وتحت العنوان رسمٌ بدائى يصورُ شاباً يجلس وحيداً فى مكان يبدو أنه جزيرة، فى صفحة العنوان الداخلية يجد القارئ، وفى إطار مزركش مرة أخرى، العنوان: «قصة روبنصن كروزى»، ثم تحت العنوان ثلاثة أبيات من الشعر العربى:

(٢٠) لعل من أشهر هؤلاء المترجمين الذين يرد ذكرهم فى كتاب جاك تاجر وكتاب جمال الدين الشيال، الأب أنطون روفائيل، وباسيلى فخر وحلقته فى دمياط، ويوحنا عنحوري، وأوغسطين سكاكينى، ويعقوب، ويوسف فرعون.. حول هؤلاء المترجمين راجع:

- جمال الدين الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على. دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥١، ص ١١-٩٢.
- جاك تاجر: حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر. مؤسسة هنداوى للتعليم والنشر، القاهرة ٢٠١٢، ص ١١-٣٣.

إذا رمت الصعود إلى علاء فشبدرج الفضائل فهى مرقى
وإن رمت الرقا بلا مراق وأيم الله إنك لست ترقى
وإن شيت الرشاد بغير هاد فلا شك تهت غرباً ثم شرقاً

تحت هذه الأبيات سيجد القارئ رسماً آخر بدائياً للمركب وعواصف
ويبحر، ثم أسفل الرسم سنقرأ عبارة: «طبع فى مالطة سنة ١٨٢٥».
من يعرفون هذا الكتاب بالطبع سيستكملون البيانات فى شيء من
السهولة؛ فهذه هى الرواية الشهيرة ROBINSON CRUSOE التى
أصبح اسمها فى العربية يُرسم على هذا النحو "روبنسون كروزو"،
أحد النصوص الروائية الأولى فى تاريخ الرواية الإنجليزية والعالمية،
ومؤلفها هو الكاتب الإنجليزي دانييل ديفو DANIEL DE FOE
(١٦٦٠-١٧٣١)، وقد نشرت الرواية بالإنجليزية للمرة الأولى عام
(١٧١٩)، وحول هذه الرواية نشأت مكتبة كاملة من الدراسات بكل
اللغات؛ فقد توقف عندها كل من كتبوا عن نشوء فن الرواية وتطوره
فى العالم الحديث، بالإضافة إلى من كتبوا عن فكرة الاستعمار
وتاريخها، وفكرة المدينة الفاضلة وتاريخها، والعلاقات بين الآداب،
وأدب الأطفال... إلخ.

غير أن هذا كله ليس الموضوع الرئيس لهذه المقدمة، وإنما
موضوعها الأول هو هذه الترجمة العربية الباكرة جداً لنص رواية
"روبنسون كروزو" لدانييل ديفو، التى احتفظت دار الكتب المصرية

بنسخة منها. الترجمة مطبوعة - كما تقول صفحة العنوان - فى مالطة عام ١٨٢٥، خلوا من أى إشارة إلى المؤلف أو المترجم.

وإذا تجاوزنا عن إهمال اسم المؤلف والمترجم - ويبدو أن هذا لم يكن أمراً مستغرباً فى بدايات الطباعة بالعربية أوائل القرن التاسع عشر^(٢١) - فإن أهم ما يلفت النظر هو العنوان نفسه الذى اختاره المترجم بصيغة خالية من أى سجع "قصة روبنصن كروزي"، بينما كان الأمر المؤلف فى كتب التراث العربى، وفى كل الكتب العربية تقريباً المؤلفة والمترجمة فى القرن التاسع عشر، هو العنوان المسجوع، ولنتذكر هنا مرة أخرى عناوين كتب الشدياق ("الواسطة فى معرفة أحوال مالطة"، "كشف المخبا عن فنون أوروبا"، "الساق على الساق فيما هو الفاريق") وعناوين كتب الطهطاوى ("تخليص الإبريز فى تلخيص باريز" ومواقع الأفلاك فى مغامرات تليماك) وكتاب بطرس البستاني "التحفة البستانية فى الأسفار الكروزية" ... إلخ، لنستشعر غرابة اختيار هذا العنوان غير المسجوع "قصة روبنصن كروزي".

غير أن المترجم الذى أهمل السجع فى العنوان، بدا وكأنه لا يريد أن يهمل تقليداً آخر من التقاليد الشائعة فى الكتب العربية فى القرن التاسع عشر، هو استخدام الشعر، فقد وضع على صفحة الغلاف

(٢١) نشرت كتب غير قليلة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر دون أن يذكر عليها اسم المؤلف أو المترجم، ليس فقط فى مطبعة مالطة وإنما أيضاً فى مطبعة بولاق. راجع مثلاً مطبوعات عام ١٨٢٨، من كتاب: «قائمة بأوائل المطبوعات العربية المحفوظة بدار الكتب حتى سنة ١٨٦٢»، جمع وتصنيف محمد جمال الدين الشوربجي، مطبعة دار الكتب ١٩٦٢، ولاحظ الوصف المتكرر الذى يقول «لم يذكر اسم المؤلف».

الداخلى ثلاثة أبيات من الشعر، وإن لم يرد - وربما لم يستطع - أن يستمر فى استخدام الشعر داخل الكتاب، إذ ينقطع استخدام الشعر تماماً عند هذه الأبيات الثلاثة التى تبدو كأنها جزء من رسالة العنوان، وربما رسالة الكتاب الروائى ومضمونه الذى يسعى إلى عدم الابتعاد عن رسالة الترقى والفضائل والهداية المسيحية البروتستنتية، التى كانت بعثات التبشير ومطبعاتها تعمل على نشرها^(٢٢). يكاد متن الترجمة يخلو تماماً من استخدام الشعر العربى، وهو ما يختلف فيه هذه الترجمة الباكرا المجهولة عن معظم عمليات الترجمة والتعريب فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، حيث كان استخدام الشعر

(٢٢) يمكن للمرء هنا أن يجرى مقارنة بين استخدام الشعر فى هذه الترجمة المجهولة لرواية «وينسون كروزو» فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، واستخدامه فى ترجمة المعلم بطرس البستاني للرواية نفسها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر؛ إذ يبدو استخدام الشعر عند البستاني أقرب إلى استعراض المعرفة الأدبية منه إلى الطابع الدينى. انظر مثلاً الأبيات الثلاثة التى يضعها البستاني تحت عنوانه المسجوع، التحفة البستانية فى الأسفار الكروزية، وهى أبيات تتطوى على دعوة إلى الرحلة والمغامرة والسعى وراء الأمل الممدود:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني	سعى الفتى وهو مخبوء له القدرُ
يسعى الفتى لأمر ليس يدركها	فالنفس واحدة والهَمّ منتشرُ
والمرء ما عاش ممدوداً له أملٌ	لا تنتهى العين حتى ينتهى الأثرُ

ولكنه - على خلاف الترجمة المنشورة فى مالطة - يستمر بعد ذلك فى استخدام الشعر فى مواضع متفرقة من الترجمة، بدءاً من المقدمة الموجزة للمترجم التى ينتهيا ببيت من الشعر، ووصولاً إلى الصفحة الأخيرة من الترجمة التى يظهر فيها صوت المترجم المباشر مرة أخرى ناطقاً بالشعر العربى. راجع خصوصاً نهايات بعض فصول الكتاب التى ترد فيها المقتطفات الشعرية، مع تمييزها عن نص الترجمة من خلال وضع كلمة (شعر) فوقها.

ملمحًا أساسيا يضمن على الكتاب طابعاً أدبيا ويدرجه فى النسيج المعتاد لكتب الأدب، ويقر به إلى ذوق القارئ العربى الذى اعتاد على الشعر قرونًا. ولعل عدم استخدام الشعر فى متن الترجمة يشى بالمسافة التى تفصل مترجم الكتاب عن موروث الكتب الأدبية العربية، سواء كانت مسافة تلقائية أو مسافة اصطنعها ذلك المترجم المجهول، كما أن هذا - مع ظواهر أخرى فى الكتاب - يشى أيضًا بأن المترجم ربما كان أجنبيًا لا يتقن العربية.

أول ما يلفت القارئ حين يبدأ فى قراءة الصفحة الأولى من الترجمة أن هناك تصرفًا دالًا فى ترجمة النص الإنجليزى، وهو تصرف يستحق أن نتوقف عنده؛ لأنه يتعلق بالصيغة السردية التى تُروى بها حكاية روبنسون كروزو. تقول الفقرة الأولى من الترجمة:

كان رجل من بلاد الإنجليز يُدعى روبنصن كروزى. والمذكور ولد فى سنة ألف وستماية واثنى وثلثين مسيحية، فى مدينة تدعى يورك من أعمال بريطانيا، فأصل أبيه كان من مدينة بريمن، ولأجل أسباب التجارة ترك مدينته وأتى وسكن مدينة يورك المذكورة، فكان له ثلث إخوة أصغر منه، أكبرهم كان أميرالاي فقتل فى الحرب الذى كان مشبوكًا بين الانكليز والأصباينوليين. قال صاحب القصة اننى كنت منهمكًا فى اللذات وانتهاج المسرات ولا كان ناقصنى شي، وإن أبى اجتهد وربانى تربية حسنة وأراد أن يعلمنى علم الذمة والشرعية. أما انا فما استفدت من ذلك شيا ... (الرواية، ص: ٣).

يعرف كل من قرؤوا "روبنسون كروزو" فى أصلها الإنجليزى، أنها ومنذ الكلمة الأولى مروية بضمير المتكلم؛ إذ تقول الجملة الأولى من الرواية:

"I was born in the year 1632, in the city of York, of a good family, though not of that country, my father being a foreigner of Bremen, who settled first at Hull..."

لماذا حوّل المترجم المجهول صيغة الحكى طوال الفقرة الأولى من الرواية لتصبح بضمير الغائب بدلاً من ضمير المتكلم؟ وذلك قبل أن يسلم دفعة الحكى الخيالى - بعد عبارة "قال صاحب القصة:" - للراوى المتكلم الذى يستمر فى الحكى حتى نهاية الرواية.

الحقيقة أننا هنا مرة أخرى، أمام المأزق المتكرر الذى واجهه مترجمو ومؤلفو الرواية الأوائل فى القرن التاسع عشر، مأزق الرغبة فى جَسْر المسافة الواسعة فى الذهن العربى بين الحقيقة والخيال، المسافة بين الموروث العربى فى الحكى الذى اعتد بسند الحكاية، وحرص دائماً على أن يتبرأ لقارئه من الخيال والكذب والاختلاق، وأن يعلن مسئوليته عن صدق ما يرويه من حكايات وبين موروث الغرب الحكائى الذى لا يتحرج من الانخراط فى تقمص العالم الخيالى القصصى fictional بعيداً عن عالم الحقيقة ودون حاجة كبيرة إلى العناية بالسند.

هكذا يتدخل المترجم ويغير فى النص الأجنبى ليعلن مسئوليته عن الحكاية الرئيسية التى يلخصها فى جملة "كان رجل من بلاد الإنجليز يدعى" ... قبل أن يسلم الكلمة للرجل "صاحب القصة، أو للراوى الخيالى. الذى يكون بإمكانه وعلى مسئوليته أن يخترع

الحكاية الخيالية تلك هي الحالة نفسها التي سنواجهها مثلاً في "حديث عيسى بن هشام" للمولحى عند نهاية القرن التاسع عشر؛ إذ يتوارى المؤلف صاحب الكتاب وراء عبارة "حدثنا عيسى بن هشام قال" يعطيه الكلمة ويخلى مسئوليته.

فى هذه الترجمة يتخذ الراوى صورة أقرب ما تكون إلى راوى الحكاية الإطار الموجود فى ألف ليلة ،ذلك الذى يمسك الحكاية الكبرى من أطرافها ،بينما يترك للراوى المتكلم، أو "صاحب القصة" كما يسميه، حكاية التفاصيل ورسم المشاهد .سيظهر هذا الراوى أحياناً فى بداية الفقرات مجسداً فى عبارات من قبيل: "فذاذ يوم من الأيام" أو "قال":

أما الظاهرة الثانية التى تلفت نظر القارئ فى هذه الصفحة الأولى من الكتاب، فهى مستوى اللغة التى يستخدمها المترجم ،سواء من حيث اختيار المفردات، أو بناء التراكيب، أو طبيعة الأخطاء النحوية والإملائية، أو حتى الأسلوب بالمعنى الأوسع؛ ففى هذه الفقرة الاستهلالية القصيرة من الترجمة، يصادف القارئ تراكيب عامية من قبيل "ولا كان ناقصنى شي"، وأخطاء لغوية من قبيل "سنة ألف وستماية واثنتى وثلاثين..."، وفى الحرب الذى كان مشبوكةً بين... . هذا فضلاً عن التخفيف المستمر للهمزات، وحذف الألف كما فى الرسم القرآنى (اننى- انا- شي- شيا- ثلث- ثلثين..). وكلما مضى القارئ فى قراءة الترجمة، ستتسع هذه الظواهر وتتكثف وتتضح دلالتها.

الحقيقة أن اللغة التي ترجم بها الكتاب فى مجمله أقرب ما تكون إلى اللهجة العامية، والعامية المصرية على وجه الخصوص. ولينظر القارئ إلى مفردات وعبارات وتراكيب كثيرة من قبيل: "فتذهب وتبهدل نفسك فى الغربة" "وتخلف لى الحصرة"، "يرسلنى مع مركب من مراكب والده من غير نولون"، "وبدؤوا يتمشكحون ويلعبون"، "مركبنا يسير وهو مندار مؤخره إلى قدام"، "من زيادة رعيتي"، "ولقيت نفسى فى عنبر المركب"، "وواحد غار قدامنا وغطس"، "كنت كأطرش فى زفة"، "وابتدوا ينشلون المياه فى الترمبا"، "مراكب موسوقة فحم"، "فقت إلى حالى"، "وهو ماشى صحبة والده"، "وأن أرجع إلى والدى مفشولا"، "وأكون مضحكة للجميع"، "هو عين الجنان والحمق"، "واستلمت منهم ماييتين فرنكا حواله على والدى"، "جعلنى داخل دار فيها جنينة"، "لكنه مشكل الألوان وله أرجل طويلة"، "وفرزنتها جيداً"، "وإذا بهصمصم أى أسد"، "وبديت أنا أتكلم معهم"، "لكننى درت الصندل متوجها إلى البر"، "وأتيا بلحم بقر يابس وقليل قمح مقلو"، "وإذا بأسودين عظيمين الخلقة" "فلما رأوا ذلك السودان انبسطوا مننا جدا"، "وأيضاً جابوا لنا صحبتهم سعداً وقمحاً مقلوا"، "ولكن حيث ما تشا الريح تحذفنا"، "يشهلوا شغلهم"، "فاهتميت وقتيذ وبديت ألم الأخشاب"، "وقلت انى اريد ابات عليها الليلة"، "تمت تلك الليلة متهنيا ومطمئنا"، "جرنال روبنصن كروزي"، "واستقمت أعافر فيها"، "نظرا لعازتى إياها"، "ووظبت حاجتى فيها"، "أعمل لى برميلا لقضى حاجتى"، "أن أرفع من بالى بنى الأوضة"، "حصل برد شديد وسقعة لا توصف"، "وحسيت بنفسى انى جوعان"، "الريح التى كانت

هابية فى ذلك النهار"، أخذت صحبتى زكيتين (أى جوالقين)، "وفى العشية كنت اسخن الطبخ الذى يفضل من الغدا واسلق لى كم بيضة من بيض السحلفة... إلى آخر هذه العبارات التى تكشف عن صياغة عربية خاصة تتمتع بها ترجمة هذه الرواية.

وهى صياغة تشير إلى أحد احتمالين:

الاحتمال الأول أن يكون الذى نهض بترجمة هذه الرواية عربياً، ممن لا تربطه صلة وثيقة بتقاليد الكتابة الأدبية العربية، فتعمد أن يتجاهل تماماً هذه التقاليد، وأن يصوغ ترجمته على نحو أقرب إلى تقاليد القص الشعبى، خصوصاً ألف ليلة وليلة، من حيث المزج بين العامية والفصحى، وعدم العناية بصحة العبارة العربية نحواً وإملاء، وفى هذه الحالة تحسب لهذا المترجم جرأته الواضحة فى التخلّى عن التقاليد البلاغية العربية، وربما الوعى المتقدم بتقاليد جديدة فى الكتابة هى تقاليد القصة، التى تتضح أكثر ما تتضح، ليس فقط فى اختياره لمفرداته وإنما فى اختراعه لمفردات عربية جديدة فرضها عالم هذه الرواية، وهى مفردات من عالم الحياة الحديثة ربما وجد الأديب العربى نفسه مضطرباً فى مواجهتها للمرة الأولى. وربما يكون الشخص العربى الأقرب إلى ترجمة هذه الرواية فى هذه الحالة، ليس فارس الشدياق الذى لم يستخدم هذه اللغة فى روايته بعد ذلك بعشرين عاماً، وإنما عيسى أنطون رسام الذى يقول عنه جيفرى روبر: "... وقد قيل: إنه ترجم فى القاهرة «كتاب التواريخ» (الذى صدر فى مالطة ١٨٢٢). وشبه المؤكد أنه شارك فى

ترجمة كتب أخرى فى ذلك الوقت. ولا بد أنه عمل فى مالطة على معظم الكتب الصادرة من ١٨٢٢ حتى ١٨٢٥. وقيل: إنه ترجم كتاب «سياحة المسيحي» الذى صدر فى ١٨٢٤ والمنسوب إلى شيلينز، وربما عملاً عليه معاً^(٢٣).

والاحتمال الثانى أن يكون الذى نهض بهذه الترجمة أجنبياً، لا يعرف من العربية إلا مستواها العامى المستخدم فى الشارع، والسموع (أو المقرء!) فى ألف ليلة وليلة، أى واحداً من المستشرقين الذين تعلموا العربية وزاروا المنطقة ومشوا فى شوارعها واختلطوا بأبنائها، ثم استقر بمالطة وأشرف على مطبعتها.

والذى يرجح الاحتمال الثانى هو كثرة الأخطاء النحوية والإملائية، والألفاظ المخترعة والمبنية خطأ على نحو لا يتسق وسليقة ابن اللغة الأم، حتى فى مستواها العامى. هل يمكن لمن كانت العربية لغته الأم أن يقول «بَنَى الأوضة» و«قَضَى الحاجة» بدلاً من بناء الأوضة وقضاء الحاجة؟ أو «الريح تحذفنا» و«وظبت الحاجة» بدلاً من الريح تحذفنا ووضبت الحاجة؟.

والحقيقة أن هناك من الأدلة والشواهد البيوجرافية والتاريخية ما يدعم هذا الاحتمال الثانى؛ فقد كان للأجانب المشرفين على مطبعة مالطة وما صدر عنها من مؤلفات ومترجمات بالعربية، كان

(23) Geoffrey Roper. (1988) Arabic printing in Malta 1825-1845: Its history and its place in the development of print culture in the Arab Middle East, p: 194.

لهم منهج خاص فى الترجمة. كانت لدى جويت Jowett مثلاً، نظرة غامضة إن لم نقل خاطئة، حول طبيعة اللغة العربية؛ إذ لم يستطع تقدير المسافة بين اللهجات العامية العربية والعربية الفصحى، وكان يظن أن من الممكن ترجمة الكتب وطباعتها بلغة عربية «حديثه» مماثلة للغة التى يتكلمها الناس، كما أنه هو نفسه اقترح فى مرحلة لاحقة أن تترجم الكتب أولاً إلى اللغة المالطية، التى كان يعرف أنها لهجة عربية، ثم يقوم بعد ذلك بنقل الترجمة إلى الحروف العربية. وقد ظن أن الانتقال من المالطية إلى العربية ليس بالأمر الصعب. ومن الواضح أن ذلك - كما يقول الطيباوى - قد أثربقوة على الكتب الأولى التى ترجمت ونشرت فى مطبعة مالطة . فقد كان المنتج الأول لهذه الترجمة شيئاً يفضّل العامية بقليل، كانت لغته سقيمة. كان جويت يعمل تحت وهم أن بالإمكان الكتابة بالعربية «الحديثة»، التى تساوى عنده العامية؛ فقد كتب يقول عن الأعمال التى ترجمها عيسى بطرس: إن «كل هذه الأعمال كتبت بعربية حديثة»، والحقيقة أنها لم تكن بالعامية تماماً، بل كانت نوعاً من الفصحى المتدنية، ولم تتغير هذه اللغة إلا بعد مجيء الشدياق ولغته وإضافاته. كان الخلاف محتدماً حول لغة الكتابة بالعربية، بين شيلينز وجويت وجويات والشدياق. فشيلينز وجويات كانا يريان فى الشدياق نقطة تقدم ممتازة للغة العربية فى مطبعة مالطة، ويرضيان عن اللغة التى يكتب بها ويترجم إليها. بينما كانت لدى جويات وجهة نظر أخرى،

كان من رأيه أن العرب ليسوا متعلمين، وأن علينا أن نكتب لهم باللغة التي يفهمونها^(٢٤).

ومهما يكن من أمر، فإن هذه الترجمة المجهولة إنما تمثل فى الحقيقة بداية مثيرة للصياغة القصصية العربية الحديثة ترجمة وتأليفاً، لكنها بكل أسف بداية لم يكن لها ما بعدها. فقد غرقت اللغة القصصية لقرن كامل بعدها (حتى فى الترجمة) فى ألوان من السجع والزينة، وهو ما أدى إلى محاصرة هذه اللغة فى تقاليد البلاغة القديمة، فعوقها عن جوهر الأدب القصصى، وهو تصوير الواقع الحديث المعيش، بتفاصيله وحيويته وجرأته ومفرداته الجديدة.

(٢٤) حول منهج الترجمة إلى العربية فى مطبعة مائطة، والأساليب المستخدمة، راجع المرجع السابق، ص ١٣٥-١٤٠.

قصة روبنصن كروزي أول رواية مُعرّبة

دراسة: د. محمد سيد عبد التواب

إلى رفاة الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣) يرجع الفضل في تسجيل أول لقاء للذات العربية بالآخر الأوروبي في مطلع العصر الحديث، وذلك عندما سجل رحلته إلى فرنسا «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» سنة ١٨٣٤، الذي أصدره بعد عودته من فرنسا بثلاث سنوات

ولعل قيمة « الطهطاوي » المميّزة في تاريخ الأدب العربي تعود إلى تأسيسه أول مؤسسة رسمية في الترجمة وإدارتها، وهي «مدرسة الألسن» وذلك بداية من عام ١٨٣٦ . « وبفضل الطهطاوي » أمكن لمدرسة الألسن أن تخرج أكثر من مائة مترجم خلال عشر سنوات. وكان « الطهطاوي » يراجع بنفسه ما يُترجم من الكتب، وينقحها، ويشرف على طبعها، وكان ثمرة ذلك الجهد العظيم، فيما يقال، أكثر من ألفي كتاب مترجم إلى اللغة العربية في تلك الفترة. وهي تغطى كثيراً من الحقول العلمية والجغرافية والقانونية^(٣٥)

(٣٥) راجع : عبد الله إبراهيم : السردية العربية الحديثة، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٢٢، ولويس عوض تاريخ الفكر المصري الحديث : من الحملة الفرنسية إلى عصر إسماعيل، مكتبة مدبولي، ١٩٨٧، ص٢٤٥

من هنا تذهب معظم المصادر إلى أن «الطهطاوي» كان أول من عرّب الرواية، يقول «عبد المحسن طه بدر»، ونحن مدينون لرفاعة فيما يتصل بنشأة الرواية التعليمية بروايته المترجمة، وقائع تليماك، ١٨٦٧، أكثر مما ندين له فى كتاب «تخليص الإبريز»، وتعد وقائع تليماك أول مظهر من مظاهر النشاط الروائى فى مصر فى القرن التاسع عشر^(٢٦)

وجدير بالذكر أن تعريب هذه الرواية، أريك عمل الباحثين فى هذا الموضوع، لأن كثيرا من الدارسين يعتبرون «الطهطاوي» أول من قام بترجمة الرواية فى تاريخ الأدب العربى الحديث، لكنه فى حقيقة الأمر قد تأخر أكثر من ربع قرن عن أولى الجهود فى مجال التعريب الروائى حسب إشارة «عبد الله إبراهيم»^(٢٧)

فقد قام «محمد مصطفى» «بتعريب رواية» فولتير، مطالع شمس السير فى وقائع كارلوس الثانى عشر» سنة ١٨٤١ بمطبعة بولاق، وإلى «محمد يوسف نجم» يرجع الفضل فى الإشارة الأولى إلى محاولة محمد مصطفى وريادته فى مجال التعريب.

والسؤال المهم هل تمثل رواية «محمد مصطفى» السابقة التى صدرت عام ١٨٤١ أقدم محاولة فى الترجمة العربية؟ ظل هاجس الإجابة عن هذا السؤال فترة طويلة. قرابة ثلاث سنوات . إلى أن

(٢٦) عبد المحسن طه بدر : مصادر الرواية العربية الحديثة فى مصر، دار المعارف، ١٩٩٢، ص ٦٣

(٢٧) راجع عبد الله إبراهيم، مد نر سابق، ص ١٤٢

وجدت إشارة مهمة فى كتاب تاريخ كيمبردج للأدب العربى بأن ترجمة عربية، مجهولة المترجم لرواية «دانيال ديفو» روبنسن كروزو» ظهرت فى مالطة، سنة ١٨٢٥ (٢٨)

وهى الرواية نفسها التى أعاد «بطرس البستاني» تعريبها بعنوان التحفة البستانية فى الأسفار الكروازية سنة ١٨٦١ ومن إشارة «كيمبردج» السابقة بدأ بحثى عن هذه الرواية، وبالفعل عثرت عليها بدار الكتب المصرية بعنوان «قصة روبنسن كروزو» طبعت بمطبعة مالطة سنة ١٨٢٥ .

وبقى السؤال الأصعب من مُعرب هذه الرواية ؟ وبعد قراءة عميقة لتلك الفترة، وبخاصة فيما يتصل بالمهاجرين لجزيرة مالطة، وجدت أن كثيرا من الشواهد تشير إلى أن صاحب الترجمة، هو المنور والرائد التنويرى (٢٩) «أحمد فارس الشدياق» (١٨٠١ - ١٨٨٧) الذى سافر إلى جزيرة مالطة سنة ١٨٢٤ أى قبل صدور الرواية بسنة، يقول «جرجى زيدان» سافر الشدياق إلى جزيرة مالطة سنة ١٨٢٤ وأقام فيها زهاء أربع عشرة سنة يدرس فى مدارس

(٢٨) تاريخ كيمبردج للأدب العربى، جدة، النادى الأدبى، ٢٠٠٢ ص ٢٨

(٢٩) وفى السياق نفسه يعتبر «عبد الله إبراهيم» رواية «محمد مصطفى» مطالع شمس السبر فى وقائع كارلوس الثانى عشر» أقدم محاولة فى الترجمة الروائية فى أدبنا الحديث، وعلى الرغم من توقفه عند إشارة تاريخ كيمبردج للأدب العربى بأن ترجمة عربية مجهولة المترجم ظهرت فى مالطة سنة ١٨٢٥، إلا أنه لم يرد . كما يشير . فى حدود علمنا تأكيد لها فى المصادر العربية، راجع : عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٤٢

المرسلين الأمريكان (كذا) وقد تولى تصحيح ما يطبع فى مطبعتهم هناك وأخذ فى التأليف والتصنيف، ولا يكاد يوجد كتاب مطبوع فى مطبعة مالطة إلا كان هو مؤلفه أو مترجمه أو مصححه^(٣٠).

وإشارة جرجى زيدان السابقة شديدة الدلالة وخاصة فيما يتعلق بمطبعة مالطة، وهى المطبعة نفسها التى طبعت الرواية التى بين أيدينا، وتشير بعض المصادر أنه كان فى جزيرة مالطة فى ذلك الزمن أكثر من مطبعة وجاء فى كتاب «العيد المئوى لنقل المطبعة الأميركية إلى بيروت» أنه كان يوجد فى مالطة سنة ١٨٣٤ مطبعتان للمرسلات ثم إذا راجعت الكتب المطبوعة هناك فى تلك السنوات لوجدنا أن بعضها موسوم بـ «طبع فى مالطة» والآخر بـ «طبع فى فاليتة».

لم يعمل الشدياق فى المطبعة الأميركية، إذ إنه لم يقل لا صراحة ولا تلميحا فى أى من كتبه أو رسائله، إنه قام بعمل فى تلك المطبعة، وقد ذكر الشدياق فى رسائله إلى شقيقه طنوس مؤرخة فى ٥ نيسان ١٨٣٩ أنه يعمل فى «المطبعة التى هى لمجمع الإنكليز» وفى هذه المطبعة لا فى غيرها طبعت الكتب المدرسية التى ألفها الشدياق والتى ترجمها أو صححها .

ولعل الدلالة الأخرى التى ترجح إمكانية أن يكون «الشدياق» هو معرب هذه الرواية، أن الشدياق قد تلقى بعض العلم عن أخيه «أسعد» والذى كان نابغة عصره وخلع مذهب والديه وتمذهب

(٣٠) راجع : مؤلفات جرجى زيدان الكاملة، بيروت، المجلد السادس عشر، ص ٢٢٢.

بالمذهب الإنجيلي فغضب عليه البطريك وما زال يتهده ويسومه العذاب حتى يرجع عن رأيه فلم يزد إلا تمسكا وإصراراً إلى أن انتهى ذلك إلى موته فى عنفوان شبابه .

وهذا ما دفع فارس إلى مغادرة بلاد الشام ناقماً عليها وعلى الذين كانوا سبباً فى موت أسعد، والرواية نفسها تطرح المذهب البروتستانتي الذى ذهب ضحيته أسعد .

وجدير بالذكر أن لغة الرواية تضعنا فى مأزق حقيقى، لأن العامية تسيطر عليها، ورغم أن الشدياق قد سافر إلى مصر سنة ١٨٢٦، واستقر هناك لأكثر من ثمان سنوات مما يجعله يتقنها إلا أن المعروف عنه حرصه على اللغة العربية، الأمر الذى يجعلنا نشكك فى أن هذه الرواية لا يمكن أن يكون الشدياق هو معربها أو حتى مُصححها، ولكن ألا يمكن أن يكون الشدياق قد لجأ إلى هذه اللغة فى الترجمة خوفاً من المصير الذى تعرض له أخوه أسعد من قبل وبخاصة أن الرواية تتطرق من مرجعية أخلاقية ترى أن العالم البروتستانتي هو النموذج الأمثل للعالم المتمدن .

إنه لضرورى، إذن، أن نقبل بهذه الرواية باعتبارها الرواية العربية الأولى المعربة فى تاريخ الأدب العربى الحديث، هذا من ناحية، وأن الشدياق هو مُعرب الرواية على أغلب الظن حسب الدلالات التى أشرت إليها سابقاً .

الرواية والإمبريالية^(٣١)

ثمة علاقة جريئة (تاريخية) بالفعل بين الشرق والغرب، والتي بدأت من الحروب الصليبية، وصولاً إلى أكثر من قرن ونصف من الاستعمار في القرنين التاسع عشر والعشرين، انتهاء بزرع كيان استيطاني كولونيالي (إسرائيلي) في قلب العالم العربي .

فرغم أن «عصر الإمبراطورية» حسب «إريك هو بسباوم» قد انتهى تقريباً رسمياً مع تفكيك البنيات الإمبريالية الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية، ما يزال بطريقة أو بأخرى يمارس تأثيراً ثقافياً بالغاً في الوقت الحاضر، فزوال الاستعمار بشكله الاستيطاني والاحتلال المباشر، لا يغير كثيراً من طبيعة العلاقات بين المستعمر السابق والمستعمر السابق « حسب جورج طرابيشي» إنه الاستعمار الجديد حسب «جابر عصفور» سلاحه الاقتصاد لا قمع السلاح، وأداته الهيمنة على الوعي المؤدلج، الوعي المزيف المخدوع الذي يبقى ضحاياه فيما يشبه الرمال المتحركة التي تبتلعهم بعد طول أو قصر مقاومة.

(٣١) لقد أوج القرن التاسع عشر « ارتقاء الغرب». ومكنت القوة الغربية الحواضر الإمبريالية من أن تمتلك تركة أراضي ورعايا ذات حجم مذهل بحق . تأمل أنه في عام ١٨٠٠ ادعت الدول الغربية لنفسها حق ملكية ٥٥٪ من سطح الكرة الأرضية ولكنها ملكت فعلاً ٢٥٪ تقريباً منها، وبحلول ١٨٧٨ ارتفع نصيبها إلى ٦٧٪، وقبضت أوروبا على زمام مجموع إجمالي بلغ حوالي ٨٥٪ من الكرة الأرضية كمستعمرات، ومحميات وتابعيات، وأقطار خاضعة، كومنولثات . ولم يكن هناك حشدٌ مترابط من المستعمرات في التاريخ قد بلغ هذا الحجم من قبل ونتيجة لذلك كما يقول وليم مكينيل في كتابه «نشدان القوة» فقد تم توحيد العالم في كل متفاعل واحد بصورة لا سابق لها . راجع : إدوارد سعيد : الثقافة والإمبريالية، بيروت ٢٠٠٤، ص ٧٨، ٧٩

فى المركز من التصورات السابقة تكمن حقيقة الإمبريالية، فهى ليست مجرد فعل بسيط من أفعال التراكم والاكْتساب، إنما فعل معزز مدعم من قبل تشكيلات عقائدية مهيبة تشمل مفاهيم فحواها أن البقاع والشعوب . العالم الثالث بالطبع . تتطلب وتتضرع أن تخضع للسيطرة .

انظر على سبيل المثال إلى مفردات الثقافة الإمبريالية العريقة فى القرن التاسع عشر التى تحفل بألفاظ وتصورات مثل «دوى»، أعراق تابعة محكومة ، شعوب خاضعة، تبعية، توسع، سلطة»^(٢٢) إن عهد امبريالية القرن التاسع عشر العالية (التقليدية) قد انقضى انقضاءً شبه تام : فلقد تخلت فرنسا وبريطانيا عن أبهى ممتلكاتها بعد الحرب العالمية الثانية لكن معنى الماضى الإمبريالى ليس منضوياً انضواءً كلياً داخل ذلك الماضى، بل لقد انسرب إلى واقع مئات الملايين من البشر حيث ما يزال وجوده كذاكرة مشتركة، وكنسيج من الثقافة والعقائدية، والسياسة، حافل بالمنازعات يمارس تأثيراً وقوة هائلين^(٢٣)

وهذا الموقف الإمبريالى، فى اعتقادى، يكمن جوهره فى شعور الغرب بالتفوقية الحضارية، مقابل الدونية فى غير الغربى .
لقد كتب الداعية الفرنسى جول هارمان عام ١٩١٠ ما يلى :
إنه لضرورى، إذن، أن نقبل كمبدأ ونقطة انطلاق حقيقة أن ثمة تراكمية بين الأعراق والحضارات، وأنها تنتمي إلى العرق والحضارة

(٢٢) راجع : إدوارد سعيد، مرجع سابق، ص ٨٠

(٢٣) نفسه ص ٨٢

المثقفين، مقربين مع ذلك بأن التفوقية، فيما تمنحنا حقوقا تفرض بالمقابل واجبات صارمة، إن المشروعية الأساسية للفتح والغلبة على شعوب أصلانية تكمن فى الإيمان بتفوقيتنا، لا الآلية، الاقتصادية والعسكرية فحسب بل الأخلاقية أيضا، وإن كرامتنا وعزتنا لترتكزان إلى هذه الخصيصة وهى ما يتبطن حقنا فى أن نوجه بقية البشر ونقودهم، وما القوة المادية سوى وسيلة إلى تلك الغاية^(٣٤)

يا للسهولة التى يمكن أن يضُغط بها قدرٌ ضخم من الأمور وتاريخ طويل من الاستعمار، فى تلك العبارة السابقة المفعمة بالشعور الفوقى الرهيب والدور الأخلاقي تجاه شعوب العالم الثالث التى ترزح تحت التخلف والمرض والبؤس .

وجدير بالذكر أن إعلان هارمان السابق يمتلك قدرة تكهنية مذهلة حول تفوقية الحضارة الغربية إلى وقتنا الراهن .

وقد أدى هذا الشعور بدوره إلى أن يعيد الغربيون النظر فى عملية فكفكة الاستعمار بأسرها .

ألم يكن صحيحا، بحسب تقييهم الجديد، أننا «نحن» أعطينا «هم» التقدم والتحديث؟! ألم نُوقِّرْ لهم نظاما ونوعا من الاستقرار لم يستطيعوا منذ ذلك الوقت أن يوفروهما لأنفسهم؟ أو لم يكن من قبيل الثقة الشنيعة الموضوعية فى غير مكانها أن نؤمن بمقدرتهم على الاستقلال. أو لم يكن ينبغى أن نتمسك بالمستعمرات ونبقى الشعوب الخاضعة أو الأدنى مرتبة قيد الضبط، ونظل أوفياء لمسؤولياتنا الحضارية^(٣٥)

(٣٤) راجع : إدوارد سعيد، مرجع سابق، ص ٨٧

(٣٥) راجع : إدوارد سعيد، مرجع سابق، ص ٩١، ٩٢ .

ويلقى إدوارد سعيد بسخرية شديدة على « المسئولية الحضارية » وتلك الشهامة التي لم تقدر حق قدرها ! حسب وضعه بأنه طردت من الخاطر أو تنوسيت تلك الشعوب المستعمرة المنهوبة التي تعرضت قرونا للعقاب المتسرع الظالم، وللمقمع الاقتصادي أي الذي لا يُحدّ وتشويه حياتها الاجتماعية والحميمة، وللخضوع الذي لا ملاذ منه. ويكفى أن يتذكر المرء ملايين الأفارقة الذين قدموا زادا لتجارة

الرفيق لكى يدرك حجم المسئولية الحضارية لهذا الغرب!!

أتصور أن المقدمة السابقة كانت ضرورية قبل البدء فى تحليل رواية « روبنسن كروزو » لـ « دانيال ديفو » التي اعتبرت إحدى النماذج المبكرة للرواية العربية الحديثة، بل ويعتبرها « إيان واط » البداية التي يبدأ منها تاريخ الرواية الغربية، ويربط « إدوارد سعيد » التواطؤ الكبير بين نشأة الإمبراطورية الاستعمارية ونشأة الرواية الحديثة فى الغرب، فالرواية كانت أكثر الأشكال الأدبية الجمالية التي لم تعبر عن التوسعات الاستعمارية فحسب، إنما ارتبطت بها^(٣٦).

وليس من قبيل المصادفة أن أحداثها تدور حول أوروبي يخلق لنفسه مستعمرة على جزيرة غير أوروبية نائية، فقد عاصر « ديفو » الفترة التي انطلقت إبانها المدنية الأوروبية الحديثة وما رافقها من توسعات وهيمنة .

تصلح رواية « روبنسن كروزو » وقد اتُخذت كنموذج تدشيني لنمط التمثيل الاستعماري الاختزالي للعالم، أن تكون موضوعاً لبيان

(٣٦) راجع : إدوارد سعيد : الثقافة والإمبريالية . مرجع سابق، وعبد الله ابراهيم،

مرجع سابق، ص ٥٨

الكيفية التى يقوم السرد الروائى فيها بتمثيل العالم طبقا للرؤية الاستعمارية^(٢٧)

ففى اعتقادي أن الموقف الإمبريالى، الذى سبق وأن رصدناه، مجسد بصورة تتراوح بين المباشرة والتضمين، فى الشكل السردى المعقد لرواية « دانيال ديفو » روبنسن كروزو » التى نشرت عام ١٧١٩، فالبطل فيها مشبع بالقيم الدينية، كما تبلورت فى المذهب البروتستانتى، وعلى هذا تترتب نتيجة مهمة حسب إشارة « عبد الله إبراهيم »^(٢٨) وهى أن روبنسن كروز « ينطلق من مرجعية أخلاقية ترى أن العالم البروتستانتى هو الأنموذج الكفء للعالم المتمدن، فيصبح احتذاؤه ضروريا فى رهان التحديث، ولا تعرض هذه القيمة الأخلاقية بمعزل عن السياق الثقافى للعصر الرأسمالى، وتمخضاته فالرواية تبشر بفكرة قوة الفرد المتحضر فى عالم خامل ومهجور، يظل منسيا إن لم يدرج فى التاريخ الذى يمثله رجل أبيض، وهى الفكرة التى أعطت شرعية للاستعمار فى بداية الأمر.

يفادر «كروزو» إنجلترا فى رحلة بحرية عام ١٦٥١ مخالفا رغبات والديه، يسطو القراصنة على السفينة ويصبح كروزو عبدا لأحد المغاربة، ويتمكن من الهرب فى مركب ويلتقى بقائد سفينة برتغالية بالغرب من الساحل الغربى لإفريقيا، كان فى طريقه إلى البرازيل، وبمساعدة القائد يصبح كروزو مالكا لمزرعة هناك، ثم بعد فترة وجيزة ينضم كروزو إلى بعثة لجلب العبيد من أفريقيا، لكنه فى

(٢٧) راجع عبد الله إبراهيم، مرجع سابق ص ٦٨

(٢٨) مرجع سابق، ص ٦٨

عاصفة تبعد أربعين ميلا فى البحر على مدخل نهر (اورانوكو) فى عام ١٦٥٩ يموت جميع رفاق كروزو ويتمكن هو من جلب الأسلحة والأدوات والتجهيزات الأخرى من السفينة قبل أن تتحطم وتغرق .
تصبح الجزيرة كل عالمه، فيقوم ببناء مسكن يحميه من الأمطار ثم يقوم بصنع «رزنامه» بواسطة وضع علامات بقطعة خشبية، ويقوم بالصيد ويزرع الذرة ويتعلم صناعة الفخار ويربى الماعز ...
يكشف كروزو آكلى لحوم بشر يقومون بزيارة الجزيرة ليقتلوا ويأكلوا السجناء .

فى بادئ الأمر يخطط لقتل هؤلاء الهمج لكنه يدرك أن ليس لديه الحق لعمل هذا لأنهم لم يهاجموه، ولم يرتكبوا فى حقه شيئا .
يحلم كروزو بأسر واحد منهم، وعندما استطاع سجين الهرب، يساعده كروزو، يسمى رفيقه الجديد «جمعة» «Friday» تبعا ليوم الأسبوع الذى ظهر فيه ويعلمه الإنجليزية ويحوّله إلى المسيحية ويجعله خادمه وفى نهاية القصة يعود كروزو إلى أوروبا .

هذا هو الإطار العام لرواية « دانيال ديفو » « روبنسن كروزو » وأريد أن أتوقف عند مجموعة من الصور التى تقدم تمثيلا استعاريا يوافق الفكر الشائع للحملات الاستعمارية فيما وراء البحار .

أول هذه الصور : أن البطل نفسه انضم إلى بعثة لجلب العبيد من أفريقيا، لذا فقد كان يحلم بتحرير أحد السجناء ليجعله عبدا له وخادما، وهذا ما حدث بالفعل مع خادمه جمعه، ويؤكد ذلك أن الكلمة الأولى التى تعلمها « جمعة » فى أبجدية التحضر والتقدم هى عبارة « نعم سيدى » انظر إلى هذا المقطع الدال من الرواية

يحكى « كروزو » عن يومه الأول مع عبده « جمعه » كيف أنه ألقى بنفسه على الأرض ساجدا أمامه يقول : « وإذا هو قائم بسرعة من على فراشه فأتى إلى وألقى بنفسه على الأرض ساجدا أمامى وكان يومئ إلى أنه شاكر أفضالى التى فعلتها نحوه، ثم وضع رأسه أيضا على الأرض بالقرب من رجلى الأولى وأخذ رجلى الأخرى ووضعها على رأسه كما فعل سابقا موضحا لى بالإشارة أنه خادمى ومملوكى إلى آخر نسمة فى حياته »^(٣٩)

يقول « عبد الله إبراهيم » مفسرا ظهور « جمعة » فى الرواية « لهذا يلزم أن تظهر شخصية مبهمة تكون موضوعا للأفكار الواضحة يظهر الهدف الذى يتوخاه .

وعلى هذا تُصطنع شخصية الملون « فرايدى » فى سياق الرواية، ليقع نوع من التكافؤ بين الهدف والموضوع، وتكون الخطوة الأولى بأن يخلع الأبيض اسما على الملون، اسماً مشتقاً من الذاكرة الغربية، ... وليس من المستغرب أن يعلمه أول عبارة بالإنجليزية « نعم سيدى »^(٤٠)

ثمة صورة أخرى لا تقل قسوة من سابقتها، بما تحمل من تزييف. يتوقف كروزو كثيرا عند ظاهرة البربر أكلى لحوم البشر والتى تغطى مساحات كبيرة من الرواية يقول :

(٣٩) رواية روبنصن كروزو، ص ١٨٥

(٤٠) عبد الله إبراهيم، مرجع سابق، ص ٦٩

« ثم إنى قلت إن كان هذا البر ليس أمريكيا فحقا إنه جزيرة من الجزائر التى يسكنها الغيلان»

ويشير فى الهامش إلى أن هؤلاء الغيلان هم « أناس يأكلون لحوم البشر كمثّل الوحوش وقد يوجد منهم كثير فى بلاد العبيد »^(٤١)

وهنا يصور «ديفو» عالم هؤلاء البرابرة بالوحشية المملوء بأكل لحوم البشر والذى يقتصر لمقومات الانسان وليس بمستغرب ان يظل «كروزو» طوال الرواية يذكر «جمعة» بأصله البربرى الوحشى يقول: «وبعد مدة طويلة قدرت أن أتى بطبعه الوحشى إلى الطبع الإنسانى»^(٤٢)

ويقول فى موضع آخر :

« ثم سألته ماذا تفعل هناك (يقصد فى بلاده بعد عودته) هل ترجع إلى طبعك الوحشى وتأكل لحم بنى آدم وتصير كالبهيم كما كنت سابقا»^(٤٣)

وهكذا، فإن مواجهة «كروزو» الأبيض القادم من عالم التحضر والتمدن مع عالم السود البربر يعطى مفاضلة لحضارة البيض حيث منظومة متلازمة من القيم والفكر والسلوك الرفيع والمتمدن .

(٤١) الرواية ص ٢٠٨

(٤٢) الرواية ص ١٦٤

(٤٣) الرواية ص ٢٠٧

وفى السياق نفسه يشير إدوارد سعيد إلى ما قام به فقهاء اللغة فى الغرب خلال القرن التاسع عشر من المرور على المقاطع المحرجة فى تاريخهم دون تعليق من أجل تأسيس نقائها الآرى (أى الحضارة الأوربية)

إنه لضرورى، إذن، أن نعيد ما قاله جول هارمان، عن تفوقية الحضارة الغربية والتي تعطيهم الحق فى توجيه بقية البشر واستعمارهم ، وهذا هو لسان حال كروزو فى المقاطع السابقة من الرواية، ولا أعرف لماذا نسى «ديفو» ما قام به فرسان الفرنجة فى الحروب الصليبية من أكل اللحم البشرى.

يقول إدوارد سعيد « إن المرء ليتذكر أيضا أن المؤرخين الأوربيين للحملات الصليبية لم يبدؤوا إلا فى القرن التاسع عشر تجنب الإشارة إلى ممارسة أكل لحوم البشر من قبل فرسان الفرنجة، رغم أن أكل اللحم البشرى مذكور دونما حياء فى الحوليات المعاصرة للحملات الصليبية»^(٤٤)

فقد وثقت أعمال صليبية وحشية عديدة ضد سكان مدينة «معة النعمان» بسوريا حيث قاموا بتمثيل أجساد القتلى المسلمين وأكل لحومهم عام ١٠٩٨م^(٤٥)

وأخيرا، فقد قدمت رواية «دانيال ديفو» تمثيلا رمزيا لأيدلوجيا الاستعمار وسوغته حسب إشارة « عبد الله إبراهيم » فهى إنما مثال لا غير، فالرواية الغربية منذ لحظة ولادتها الأولى التي رافقت ولادة

(٤٤) إدوارد سعيد، مرجع سابق، ص ٨٦

(٤٥) راجع فى ذلك تفصيلات أكثر قسوة «أمين معلوف» فى كتابه « الحروب الصليبية من خلال عيون العرب»

الفكر الاستعماري تتضمن إشارات لا تخفى على كل ذلك «وهذا ما كشفه إدوارد سعيد في تحليله لروايات «كبلنغ» و «جين أوستن» » كونراد»، و«كامو» و«ديكنز» والذي أكد على التواطؤ الذي حدث بين نشأة الإمبراطورية الاستعمارية، ونشأة الرواية الحديثة في الغرب واكتمال خصائصها الفنية .

1849

1849

قصة روبنصن كروزيو

اذا رمت انه عود الي علا فشب درج انفضايل فهي مرتقي
وان رمت الرقابلا مراق " وايم الله انك لست ترقى
وان شيت انرشاد بغير هك " لا شك تهت غربا ثم شرقا



طبع في مالطة سنة ١٨٥٠

قصة روبنصن كروزي

كان رجل في بلاد الانكليز يدعي روبنصن كروزي
والمذكور ولد في سنة الف وستمائة واثنى وثلاثين
مسيحية في مدينة تدعي يورك من اعمال بريطانيا •
فاصل ابية كان من مدينة بريمن ولاجل اسباب التجارة
ترك مدينته واتى وسكن مدينة يورك المذكورة فكان له
ثلاث اخوة اصغر منه اكبرهم كان امير الاي فقتل في الحرب
الذي كان مشبوكا ما بين الانكليز والاصپانيولين • قال
صاحب القصة انني كنت منهمكا في اللذات وانتهاج
المسرات ولا كان ناقصني شي وان ابي اجتهد ورباني تربية
حسنة واراد ان يعلمني علم الذمة والشرعية اما انا

فما استفدت من ذلك شيئا لكنني كنت اترك درسي
وانطلق الي ساحل البحر نظرا لشوقي الوافر الي السفر
فلما اكتشفا والدي علي امري اتيانني بمعروف
وبتخشع ان ارفع هذه القضية من بالي وانتبه الي
حالي وظنا ان الكلام ياثري وما علما انه كان باطلا
من غير فايده مع انني نويت نية ثابتة وحثمت علي
نفسي لابد انني اسافر الي بلاد بعيدة واتغرب فذات
يوم من الايام تنازع معي والدي وامتلي حمية وحنقا
وقال لي حقيقة انك لجاهل وعديم الراي اتريد
تترك ارض ميلادك ووطنك وللحال انك مكتفي
ولاناقصك شي ابدا فتذهب وتبهدل نفسك في
الغربة ولا تعلم ماذا يتعرض لك في سفرك فاذا
ظننت انك تجمع اموال العالم كلها اما تحسب
خسارة نفسك التي هي افخر من العالم كله وللوقت
وعف لي مثل للجامع اجور بن القاي اذ قال فقرا
وغنا لا تعطيني بل رتب لي ما احتاج اليه لعيشتي
لكيلا اشبع وانقاد للكفر واقول من هو الرب او افتر

فاسرق واحلف باسم الاله زورا (امثال ص ٣٠
 عدد ٩٠٨) والعيشة المتوسطة هي اعظم سعادة واذا
 جعلت في عقلك انك تجول العالم كله لتجمع الاموال
 فذلك اعظم غباوة واصل الشقاوة وربما ياتيك يوم
 صعب فتقول وقتيذ يا ليتني بقيت في داري واكل
 احقر الماكولات والبس الرث والخلقان فماذا تفعل
 للوقت فهناك ما تنفع الندامة شيئا ابدا فالان اذا ما
 سمعت من تضرعي اليك حيث اني اتكلم معك برقة
 ولطف فاني امرك ان ترفع ذلك من عقلك وتهتدي
 اما انا فما كنت اصغي له ولا الوف نظير هذا
 الكلام ياثري ويغير نيتي. فلما راي والدي اني ما
 استفيد شيئا من كثرة كلامه معي قال لي اخيرا
 بانكسار قلب والدموع هاطلة علي وجنتيه ان كنت
 تريد ان تسافر فانا لست بقادر ان افعل معك
 شيئا سوي اني اطلب الي الله لاجلك دائما كي يسهل
 طريقك ويحفظك من سائر الشرور الراصدة لك
 ويردك الي حياء وعافياء فلما سمعت هذه الكلمات

من فمه حن قلبي وانعكفت قليلا من رغبتى لكنني
بعد قليل رجعت ايضا الي حالي وانا مشتاق جدا
الي سفر البحر فانعطفت يوما الي والدتي وقلت لها
انني لا استطيع اجمع هنا ولا لي قابلية ان ابدى
بعمل ما التهي به غير ان افكاري دائما متقلبة في
مادة السفر فاجابتنى قائلة اني اريد اطلب من
ابيكَ ان ياذن لك ان تسافر سفرة واحدة وتكسر
شهوتك واذا ما نجحت بها فلا تعود تطلب السفر
مرة ثانية فاتفقت انا علي هذا الرأي اما هي
فخاطبتني بحمية بعد مدة قليلة من غير انها تسال
والدي عن سفري وكانت تقول لي اني اراك عازما
علي انهدامك وتخلف لي للحصرة وتريد ان تسافر
خلاف رضا والديك فالان انا لا اريد ان انصحك
ولا اتكلم معك من الان وصاعدا عن هذه المادة
لكنني اتركك علي هواك وانت افعل كلما يحسن
بعينيك فذات يوم من الايام وانا في مدينة هول
تصادفت مع شاب كان يتعلم معي القراءة في مدرسة

واحدة والمذكور كانت لوالده مراكب راسية في مينة لندن
ولما اخبرته عن كل ما انا مشتاق اليه وان قلبي ملتصق
بسفر البحر اجابني بحلاوة لسان وعذوبة ووعدني قايلا
انه يرسلني مع مركب من مراكب والده من غير نولون
واني اكل مع البحرية مجاناً ولا اصرف من عندي
ولا درهما وكلما احتاج اليه في المركب يعطي لي من
غير تقصير ففرحت وقتين فرحا عظيما جداً
واستعدت يومئذ الى السفر وهديت نفسي بلا رضى
والدي وانا ابن تسع عشرة سنة فركبنا المركب في
اليوم الاول من شهر ايلول سنة الف وستماية واحدي
وخمسين مسيحية وقلعنا من المينا قاصدين السفر
الي بلاد بعيدة

وفي اليوم السادس بعد ما قلعنا من المينا اتينا
الي مكان قبال هرويج ولأجل اننا ما استطعنا ان
نسير لقينا المرسي ورسينا هناك مع جملة مراكب
تصادفنا معها هناك والمكان الذي رسينا فيه كان
امينا فلما راوا البحريون انهم في غاية الامان نسوا ذلك

الاضطراب الذي اكتنفهم وبدوا يتشكحون ويلعبون
علي ظهر المركب كأنهم علي البر وفي اليوم الثامن
قام ريح عاصف وزوبعة مرعوبة ولاجل خوفنا علي
المركب ليلا ينكسر قلعنا من هناك وتوكلنا علي الله
ودخلنا في قم نهر قاصدين النجاة من خطر البحر وجعلنا
مركبنا يسير وهو مندار موخره الي قدام ومقدمه
الي ورا وفيما نحن سالكون ضدارادتنا اندق المركب في
صخرة وانخرق في بطنه وانا لا اعلم اي شي حاصل
سوي اني رايت البحريين مختارين بامرهم وفي اثنا
ذلك رايت رئيس المركب يتاوه ويتحصر وهو يقول
في حزن وملل ارحمنا يا رب وارسل لنا عوننا من
قدسك لاننا كلنا قربنا الي العدم فقال هذه الكلمات
بهمارة نفس وكان قلبه ينفطر من زيادة غمه فلما
اكتشفت انا علي الامر وباية موتة مريعة مزع
ان اموت فوهن عزمي وانهزلت قوتي ولقيت نفسي
في عنبر المركب غير منتقل كالميت من زيادة رعبتي
وبعد قليل خرجت الي سطح المركب لاري الحال

وانا خايف ومرتعب جدا فرايت امواج البحر تتعالي
كانها جبال وما كنانري شيا اخر سوي الاحزان
محتاطة بنا من كل جانب . وفي تلك الشدة كانت
صحبتنا جملة مراكب فائنان منها قطعوا البحر
صاريها وواحد غار قدامنا وغطس في قعر البحر
هو والذين فيه وما بان لهم اثر واثنان عدما مراسيها
واشرفا علي الغرق فلما راينا نحن ذلك عددنا انفسنا
من جملة الغرقا وايسنا للوقت نظرا لبعدنا من
البر وقلنا اننا غارقون فلنهتم ونعالج فرما نحصل علي
خلاص نفوسنا فاعتمدنا وقتيد واتينا بالمنشار وقطعنا
صاري المقدم وصاري المؤخر وخلفنا الصاري
الوسطاني . فمن هو الذي يرانا وما يحزن علينا اذ
اننا منتظرون الموت في كل دقيقة ونظرا لي انا
فانتحلت قوتي من الخوف الذي اعتراني والرعبة التي
جعلت مفاصلي ترتجف فمركبنا ولو كان رصينا ومعمرا
جيذا مع انه كان موسوقا جدا ولكثرة وسقه جعلوا
الملاحون يولولون ويقولون ان المركب قد اشرف علي

الانكسار والعدم فكان قصدهم ان يطرحوا بعض
البضاعة في البحر ويخففوا المركب فاناما كنت افهم
ما يقولون لكنني كنت كاطرش في زفة وما دام الريح
يقوي والبحر يروج ويموج فما رايت الا ورئيس المركب
مع جملة بحريين طرحوا نفوسهم علي ظهر المركب وبدوا
يتضرعون اليه تعالي ويسالونه بطلباتهم حتي يفرجها
علينا وكانوا يصرخون اليه باعلي صوتهم منتظرين
الموت في كل لحظة فلما انتصف الليل صرخ احد
البحريين قائلا ان المياه قد دخلت العنبر وتعاليت نحو
علو قامة فلما سمعت هذا كادت تنفطر مرارتي من
للجزع والخوف فحالا اجتمعوا البحريون وابتدوا ينشاون
المياه في الترمبا زاعمين انهم ينزحونها بالكلية فدعوني
انا ايضا لاعينهم في النشل فما كان ينفع عملنا شيا
لان المياه كشرت جدا وامتلي المركب فتشرف رئيس
المركب جيدا وراي من بعيد مراكب موسوقة فحم
راسية فعمر للوقت مدفعا وقوصه واعطي بتقويصة
علامة الشدة التي نحن حاصلون فيها حتي اذا سمعوا

بحريون تلك المراكب صوت المدفع ياتونا بقواربهم
وينجون نفوسنا من الغريق فانا ما كنت افهم معني
تقويس المدفع لكنني ظننت ان مركبنا انفلق او
وقعنا في داهية ولذلك وقعت مغشيا علي وجهي فلا
واحد من الحاضرين تقدم واخبرني بالواقع لان كل
واحد منهم كان مشغولا في نكيته فبقيت انا ملقيا
بين رجليهم كالميت مدة ما وبعد ذلك فقت الي حالي
فتلك العلامة التي اعطاها الرئيس بتقويس
المدفع كانت نافعة وسعيدة لان حالما سمعوا الذين
كانوا علي الشاطي اتوا بقواربهم لينقذونا من الهلاك
فلما اتوا وقد هموا اليها فما كان يمكنهم الوصول منا
لان تارة تصعد بهم الامواج اعلي منا مقدار خمس
قامات وتارة تغطس بهم اوطي منا نحو اربع قامات
ولا كان البحر يهدي قليلا حتي نستطيع علي النزول
في القوارب وكلما كانوا يريدون القرب منا فالامواج
كانت تلتط بهم وترجعهم الي ورا ثم بعد تعب جزييل
احتلنا وجعلناهم ياتون من امام مقدم المركب

واعطيناهم حبلا حتي يقبضوه ويدنوا منا فمسكوه
بعد جهد عظيم واخيرا اتوا حسب ما دليناهم وكان
كل واحد منا يمسك للجل ويتخروط من اعلي
الصاري الممدود علي المقدم ويلقي نفسه في وسط
القارب وهكذا خرجنا من المركب ونجينا نفوسنا
من الخطر الذي كان امامنا وبعد ربع ساعة تعالت
المياه علي المركب واحدرته الي قعر البحر وما بان
له اثر الي هذه الساعة فاما اوليك الناس فاخذونا الي
مراكبهم ومن عظم الريح وعلو الامواج كانت المراكب
الراسية تتمايل كانها في الغبة وكانوا الملاحون يفرعون ليلا
يقذفهم الريح الي الشاطي وتشهل المراكب علي
القاع وتنكسر وبعد ذلك اخذونا الي الساحل واخرجونا
في مكان يدعي كرومر قريبا من وينترطون حيث
القنديل الكبير المنور للمراكب فصعدنا للوقت
ونحن مغتمون انفسنا وحمدنا الله تعالى الذي نجانا
من الهلاك والموت المرعب . ومن هناك مشينا
علي اقدامنا الي ان اتينا برموث وهناك استقبلونا

اناس اصحاب رحمة وعرفوا انذا نجينا من الغريق
فقدموا لنا حالا ماكولا فاكلنا ومشروبا فشربنا
وقالوا لنا ان كنتم تريدون الذهاب الي لندن او الي
هول فنحن نرسلكم . اما انا فما اعتبرت ابدا من
كل النوايب التي نالتني ولا فعلت كما فعل الابن
الشاطر فلورجعت الي ابي تايبا اذ انه سمع بخبر
مركبنا وما حل به فمن غير شك لكان قدم لي
للحلة الاولى وذبح لي العجل المعلوف لكنني صمدت علي
راي غير متقلقل ولا افتكرت عما اصابني ولا انطبعت
من الشقا والخوف الذي نالني

فبعد ما استقمت في بزموت ثلاثة ايام تلاقيت
مع ذلك الشاب الذي سفرني بمركب ابيه وهو
ماشي صحبة والده فلما راني نظر الي بتعبس وسالي
بمرارة نفس قايل كيف حالك وماذا تفعل الان قال
هذا والتفت الي ابيه وقال له هذا هو الذي سفرناه
بمركبنا وانه كان مزمعا ان يسافر الي بلاد بعيدة
فلما سمع هذا والده التفت الي وقال لي بحمية انظر

يا ايها الشاب ولا تعاود الي سفر البحر مرة اخري
وخذ هذه المصيبة التي حلت بك عبرة لانك ما
تنجح في سير البحر ولا تنتهي بعمرك فاجبته انا
قايلا اتريد ترثي الي حالي وتصنت الي مقالي لاني
طالبه بكل مجالي ولو كانت به اجالي فقال لي ان
الامور مختلفة لان هذا هو عملي واني ملتزم ان افعل
ذلك ولا امنع واحد من السفر ولكن بما اذك
تريد ان تجرب ذاتك في هذه السفرة فانا انصحك
ان ترجع الي والديك ولا تسافر ابعد من هنا ليلا
تدهور ذاتك لان النحاس لم يزل منصوبا امامك
واين ما توجهت تصادف بلايا ومصايب وربما ان
مركبنا غرق بسببك كما جري للمركب الذي سافر
به يونان النبي اذ كان منطلقا الي ترسيس فالان
اريد ان اسالك من تكون انت ولاي سبب زاحم
نفسك الي سفر البحر اما انا فاخبرته بقصتي من الاول
الي الاخر وما اخفيت عنه شيئا فلما عرف مضمون
كلامي واني مسافر حلاف رضا والدي نظر الي بوهرة

وبدا يلوم نفسه قائلا كيف اني جعلته يسافر بهركبي
وكنت انا سبب هلاكه لاني جعلت هذا الشقي
يسافر به حتي انه صار سبب عدمه وبدي يهجي
بي ويلومني لومة عجز واخيرا صفي خاطره علي وكلمني
بانس قائلا يا ايها الشاب ان كان ما تسمع كلامي
وترجع الي صهلك والا اين ما توجه تصادف نحسا
وتعسا الي ان يكمل كلام ابيك ويثبت محقا في
مكانه وجميع البلايا التي وصفها لك تلم بك وتكتنفك
قال هذا وانطلق كل واحد منا في حال سبيله

قال فلما سمعت خطابه زادهي وارتعابي وقلت
اني ارجع الي والدي لانه مساعدي وعاضدي فبعد
مدة قصيرة ترائي لي ان ذلك هو عار علي ان اغير
كلامي وان ارجع الي والدي مفشولا وفيما انا مفكر
بهذا تصورت في عقلي وقلت اذا رجعت فيقومون
سائر اصدقائي وخيراني ويسخرون بي واكون مضحكة
لجميع فخصايل الجهلة هي هكذا غريبة لانهم ما
يختشون اذ يخطئون ولكن يريد عليهم الحيا لما يتوبون .

فهكذا انا ايضا كنت بعيدا من الندامة لاجل تلك
 الهرايا التي لسانها يسوغ لي ان اعد مع الانبيا والجهلا
 وانما بعكس ذلك ظننت ان رجوعي الي والدي
 هو عين الجنان والحق مع انه اصول للحكمة ومباذرها .
 فبالاختصار لهرمت طريقي وانطلقت الي مدينة لندن
 وعزمت في راي ان ابحت عن مركب ما واسافر به
 سفرة واحدة وفي الاثنا سمعت عن قبطان يريد ان
 يسافر الي نواحي كينيا فمضيت الي عنده وقررت
 له مرامي ولما سمع مني ابي مشتاق الي سفر البحر
 طيب خاطري واطهر لي مودته ووعدني انه ياخذني
 معه ليس كبجري بل كمصاحب ونديم . وكما
 احتاج اليه يعطي لي من غير تقصير والفلوس التي
 معي اشترى بها بضاعة واتاجر بها فاستكثرت بخيره
 وشكرت افضاله وانا مسرور جدا نظرا لعود سعدي .
 فذهبت للوقت الي يوركشير واخبرت اصحابي بالقضية
 واستلمت منهم مايتين فرانسا حواله علي والدي
 فتسوقت بها خردوات مثل مطاوي وابر وما شابه

ذلك حسبها اهداني القبطان ثم اننا قلعنا قاصدين
كينيا وفيما نحن مسافرون انعطف الي القبطان وكان
يعلمني الملاحه اي علم سير البحر وكيف اتي احسب
الاميال التي نسيرها واجمالها ومع درجات الشمس الخ .
ولما وصلنا بعنا وابتعنا وعلمت حساي اخيرا فوجدت
اني رابح جدا فحقيقة ان هذه السفرة جعلتني ان
اتعلم صنعة البحريين والتجارة ولما رجعت الي وطي
كان صحبتي خمسة ارطال وتسع اواقي ذهب رملي
فبعته في لندن بالف وخمماية فرانسا

فبعد ما وصلنا الي لندن بايام قليلة مرض
القبطان مرضة ثقيلة ومات بها عاجلا فلما سمعت
بخبر السوتراكم علي الحزن والالام ومن زيادة غمي
كنت قابلا الي تجرع كاس اللحم فقلت انا لله وانا
اليه راجعون ان سعدي لم تغير فقلت اني فرحت اولا
لوجودي كذا رجلا راوفا ودودا لكنه اختطف مني عاجلا
فبعد ذلك بجملة ايام طلبت امراته ان تسافر في مكان
زوجها فانطلقت اليها وكلمتها ان كان يحسن بعينها

فتأخذني معها نظرا لمحبة زوجها الفايقة نحوي
فارتضت بذلك ووعدتني انها تأخذني معها فلما
سمعت الي اين هي قاصدة السفر قلت ان هذه السفرة
انها خايبة ومنعوسة فقلت في ذاتي اني راضي ان
لا ارجح شيا في هذه السفرة ولا تصيبنا مصيبة لان
هذه السفرة هي مشومة ومنعوسة. فلما نهت
وسقها استعدت الي السفر فركبنا المركب متوجهين
الي نواحي جزاير كناريا وبعد ما سرنا وابتعدنا
من بلادنا واذا بمركب مهلي من الناس السرقا فصرخوا
علينا ان نقف فلما علمنا انهم اعداءنا حشدنا للوقت
مدافعنا وتهيدنا لمحاربتهم فاشتبك ما بيننا للحرب
وصرنا نقوص عليهم وهم يقوصون علينا امامركبهم
فكان حاملا ثمانية عشر مدفعا ومركبنا اثني عشر فقط
فلما صار العصر ضعفت قوتنا وايسنا من نفوسنا لما
راينا القتلة والمجرحين من الفريقين ومركبنا انصاب
من ضرب المدافع وما بقي لنا رجا البتة ان ننجح
ونظفر بهم فتقدموا حيزين علينا وضربوا كلاليبهم

بهركبنا واستاسرونا وانطلقوا بنا الي بلادهم فلما
 دخلنا مينتهم ولقينا المرسى اصعدونا الي البرواتوا بنا
 الي مكان موقوف لبيع الاسرا وهو دار قضا ملكهم
 حتي يبيعونا فقبطان المركب الذي استاسرنا جعل
 نظره علي ثم انه اخذني الي خاصته مملوكا حتي اخذمه
 فلما تمثلت حالي وماذا جري لي وكيف اني
 ساقضي حيوتي في رق العبودية تحت يد اناس اعفيا
 جايرين حزنت حزنا عظيما جدا وللوقت تذكرت
 كلام والدي فتاسفت وقلت يا ليتني ماسافرت
 لاني لو سمعت مشورة والدي لما حلت بي هذه الغائلة ثم
 ان مولاي القبطان اخذني الي دارة لخدم اعياله فحصلت
 علي وضيقة افضل مما افكرت ان يحل بي وبما اتي
 كنت منتظرا الي ساعة غفلة حتي اهرب بها مولاي
 القبطان رخص لي بالذهاب الي ساحل البحر وللوقت
 شملي فرحا عظيما جدا عند ما سمعت هذا منه مفكر
 ربما اعثر بهركب اصبانيولي او پورتوكيسي ساير في
 هذه الاقطار فاتضرع اليهم فياخذوني معهم فخاب

ظلي بعد ذلك لانه جعلني داخل دار فيها جنينة حتي
احرثها واسقيها وانظمها وعلق علي من خارج ولما
كنت اخلص من شغلي حالا اباشر بغسل الدسوت
والاوعية واكنس المطبخ ولما كان يرجع من مغاراته
كان يرسلني صحبة رجل اخر الي مركبة وهوراسي
في المينا لنجسة وما كنت اجد ولا واحد من بني
جنسي ان اعلمه بامري حتي يفرج لي كربتي ولم
ازل انا جاعلا في بالي الهربة ومقلبها علي اوجه
كيف ومن اين وباي وسيلة وكنت التفت يمنة
ويسرة قصدي ان احظي برجل انكليزي او فرنساوي
او اصفانيولي او واحد اخر غيرهم فما كنت اري
حتي ولا اسمع خبرا ما عنهم فاستقمت علي هذه
للحالة مدة سنتين كاملتين وانا اخدم بتعب وشقا
سوي انني كنت اسلي نفسي واعدتها بتخليلي اي
ربما غدا او الشهر الاتي يمر من هاهنا مركب فاسافر
به واخلص من هذا الشقا
فبعد مدة من الزمان افتقر مولاي وانفلك وما

بقت له حيلة حتي يسافر كعادته فامرني يوما ان
انطلق واصطاد له سمكا من البحر ثم ارسل معي فتي
اسمه ملا حتي يقذف ويسحب القارب واستقمنا
علي هذا المنوال نصطاد سمكا في كل سبة مرتين
او ثلثة لما يكون البحر هاديا وللجوصافيا اما انا فكنت
انسر جدا بالفتي ملا الذي كان ياتي معي لانه
كان يعينني في الصيد ويسليني والمذكور كان من
اقربا مولاي القبطان

ف ذات يوم من الايام امرنا ان ننطلق ونصطاد
كعادتنا فلزمنا طريقنا وركبنا القارب مستعدين الي
الصيد وكان الضباب عاقدا وشابورة كثيفة حتي لا احد
كان يستطيع ان يري رفيقه ولاجل ذلك عدنا البروما
بقينا نراه ابدًا ولسنا ناظرين شمسًا حتي نقذف
ونرجع وراءنا فاستقمنا نعالج ونقذف العشية والليل
كله حتي شروق الشمس فما نري نفوسنا الا ونحن
في الغبة بعيدين من الارض مقدار ستة اميال ولما
فك الضباب في ذلك اليوم عرفنا اين نحن حاصلون

فبديننا نجد بكل بتعنا ونقذف مستعجلين حتي
نصل الشاطي لان بطوننا لصقت بظهورنا لشدة
جوعنا وضورنا فلما اتينا الي الدار واعلمنا مولاي
القبطان بكل ما حصل خصوصا عن الجوع الذي
خورنا قام للوقت وارسل ورا نجار مامرا له ان يعمل
طامة في وسط الصندل الذي له لكيما نضع
فيه قوتا يكفيننا اذا تهنأمة اخري في البحر وامره
ايضا ان يصلح السكان ويثبت الصواري ويهندم
الصندل جيدا فلما فرغ من عمله دعانا للوقت وقال
لنا هوذا قد خلص عمل الصندل فاستعدوا الان
لتمضوا وتضطادوا فامتثلنا امره وقلنا له حبا وطاعة
ثم انه ارسل معنا ثلثة انفار اخر وحضر لنا زهابا
وافرا واعطانا ايضا ثلث بندقيات خارقات وبارودا
ريجاني ورصا صا وخردقا عسانا نحظي بوحش من
وحوش البر او البحر ففي اليوم الاخير عزمنا علي
النزول في البحر فترهبنا وركبنا الصندل متكئين علي
الله وكلما نحتاجه صمببتنا القلوع والمأونة والاكل والشرب

وغير ذلك فلما سرنا قليلا تغير رأي ارفاقي لان مولاي
امرنا ان ننطلق الي ناحية وهم مضوا بنا الي ناحية
اخرى ولما لاحظت ان ذلك من حسن سعدي فرحت
جدا ولوقت بديت ان افكر مدبر الي طريقة استطيع
بها افر من بين اياديهم وانجي بنفسي لاني اكدت
في رأي ان في هذه المرة اقدر ان اخلص نفسي
من رق العبودية فلما سرنا مقدار ميلين مالوا الي البر
وربطوا الصندل ثم اخرجونا كلنا الي الشاطي مع الذخيرة
كلها التي تزهيناها معنا وتركوا صبيا صغيرا يحرسها
اسمه كسار لان قصدهم كان ان يقنصوا علي الوحوش
الحايمة في تلك البقاع ثم اني ميلت الي الصبي
الذي كان دائما ينطلق معي الي الصيد وقلت له
انطلق بنا الي داخل البحر لنصطاد فلعبت عليه واقنعتة
بان هناك يوجد سمك كثير اما هو فصدق كلامي
وذهب الي الاوعية واتي باكل وافر وشرب وايضا
جاء معه بندقية واحدة مع بارود ورصاص وقليل
من الخردق زاعمين اننا نريد نقوص جاموس البحر

ثم اننا تخوجنا من كل الاشيا التي كانت هناك وما هو
ضروي لنا فركبنا الصندل وقلمعنا انا والصبي كسار فلما
سرنا مقدار ما وعدينا القلعة بديننا نصطاد وهناك
رايت سمكا واهيا لكنني اظهرت للصبي كانه لاسمك يوجد
في ذلك المكان لكيما ابتعد اكثر من البر ومن ارفاق
ايضا ودمنا نقذف زاعما لها اننا نلحق المكان الذي
يوجد فيه صيد وافرو علي ذلك المنوال سرنا بعيدا
مقدار اربعة اميال اخرة فلما رايت اننا قد ابتعدنا
جدا والبحر خالي من المراكب قلت هذه هي فرصتي
وروجتي وبها اخلص من ضيقتي فقلت وقتين للصبي
الصغير كسار هلم والنرم السكان قليلا حتي اعدل
الشراعات فكان ذلك مني حيلة فسمع مني وتقدم
وكان وقوفه ورا الطارمة فتقدمت علي الفتى ملا بصناعة
وهو جالس علي حرف الصندل فقبضته بغتة وقذفته
في البحر والمذكور كان سباحا موصوفا اقشر ولا واحد
يقدر ان يلحقه في السبع فلما راي نفسه انه في الما
تقدم حالا الي الصندل مراة ان يصعد عليه ظانا

اني اتمازح معه فاخذت البندقية في يدي وقلت
له احضر يا ملا ان لا افرغها في راسك وارجع من
عندك لاتي عالم انك قادر ان تسبح وتخرج الي اله
وتخلص نفسك فالان انا ما اريد ان اضرك ولا
افعل معك رداوة لانك خليلي وانت تعلم هذه
هي ساعتي وغايتي ان اخلص نفسي من رق العبودية
فلا تتعب وتجد تابعا لي تظن انك تصعد علي
الصندل لان ذلك هو من المستحيل فلما سمع مني هذا
الكلام دار وجهه من غير ان يجاوبني بادني كلمة وبدا
يفوج طالب للخروج الي اله فالتفت بعد ذلك الي
الصبي كسار فرايته يرتعد لشدة خوفه لانه ظن
اني اريد اقدفه ايضا كما قدفت الفتى ملا فشجعته
وقويت قلبه قايلا ان كنت امينا ولست بخاين فانا افعل
معك كلما هو حسن وجيد ولا اذيك ابدا. فلما
رايت اني مالك حريتي واني انعتقت من عبوديتي
اجتهدت ان اخلص بنفسي تما مالا ياتي احد طالب
اثري فنصبت الشراعات وثبتها وكانت الشمس قد

مالت فتوجهت الي الناحية الجنوبية طالبا بلاد البربر
وفي الهجعة الاولى من الليل تغير رأي ودرت الصندل
قاصدا ان اسير قريبا من البر ليلآ اتيه وكانت ليلة
فتية الشباب غداقية الالهـاب حسن هواها وجاد
صفاها والبحر هادي والصندل ساير كانه خيل نجادي
فعملت حسايي قبل ما شق الفجر بثـلث ساعات
فرايت اني مبتعد من مملكة مراکش نحو مائة وخمسين
ميلا فاستقيمت قالعا خمسة ايام متوالية من غير ريج
بضاددني ولا احد يعيقني الي ان تغير الريح وصار
ضدي فمنعني عن السير فافتكرت حينئذ وقلت
ربما يسعي في اثري طلب وانا لست بقادر ان اسير
فيمسكوني ويكون الامر الذي استحسنته وفعلته سببا
لعذابـي وهلاكي وبعد ما قلبت ذلك في فكري وانا
ابحث عن تدبير ما كيف اني افعل حتي لا يراني
احد ما اري والانفسي قدام نهر صغير يصب في البحر
فدرت الصندل ورسيت في مـخلطه ولا اني عارف
ابن انا حاصل وما هي تلك الارض ولا اتي واجد

انسانا ما حتي اساله اي قبيلة حالة هناك فاستقمت
علي ظهر الصندل منتظرا غروب الشمس حتي اذا
خرجت الي البر لا احد يراي وكنت ايضا معتازا
الي ما للشرب لان الماء الذي كان معنا نفذ كله فلما مالت
الشمس واطلم الوقت سمعت نباحا وهما وحوش
ضارية مختلفة وقلت ان هذه الارض هي ملجأ الوحوش
ولافيهما ساكن فالتفت الي الصبي فرأيت يترعد من
عظم خوفه وكان يكلمني وهو يرجف قائلا اسالك
يا سيدي ان لا تخرج الي البر في هذه الليلة لاني خائف
عليك جدا من هذه الوحوش الداهية التي همها
يزرع الصخور وانثني يقول لي طاعني ولا تخرج مع
رعبة ورهبة. فاجبته قائلا اذا ما خرجت الان نحو
كلامك افما هو من اللازم اني اخرج غدا صباحا ومن
اين تعلم انه لن يعثر بنا اناس اشر من الوحوش
واردي منها فقال لي الليل مجهول والنهار محزور وبه
تقدر ان تخلص نفسك ان استطعت لان اذا اتى
عليك احد في النهار وانت ناظره فتقوصه وترميه

في مكانه او اذا سمع صوت البندقية فيفر هاربا ولا
يستجري ان يتقدم اليك واما في الليل فانت تحت
الخطر فاستحسن رايه ورايته انه صوابا فطاوعته
ومكثت تلك الليلة في مكاني ولكن من استطاع
ان يغمض عينيه من وعوة الوحوش ونهها فتحن
كنا علي ظهر البحر ولا لهم استطاعة ان يفترسونا
هكذا ارتعبنا فكم بالبحري لو كنا علي الهر قريبين منهم
فماذا كان يحل بنا فلما اصبح النهار وشرقت الشمس
اهتميت ان اخرج الي الهر واتي بما عذب لشربنا وقلت
اريد ان اخاطر بنفسي واخرج بين الوحوش والبربر
واتي بما ونروي به ضمانا. فقال لي كسار لا تخرج
انت ولكن اعطني للجرة فانا اخرج واتي بما وانت
استرح هاهنا فسالته لماذا تريد انت تمضي وانا
استقيم هاهنا فاجابني اذا كان يوجد هنا اناس
بربر فليقتلوني وانت تستحي فلما سمعت منه هذا
الكلام اثري جدا وازدادت محبتي له فقلت ان كانت
هذه مودتك لي وانت تريد ان تتهاون بنفسك

وتستعينني فاقول لك الان اننا نخرج جميعا الي الهر
وان كان صادفنا احد وقوي علينا فموت جميعا والا
فنا تي بهاء ونروي ضمانا قلت هذا ونهضت واعطيت
للصبي كسرة خبز وقد منا الصندل الي الشاطي فخنضنا
وطلعنا الي الهر وما اخدنا معنا سوي سلاحنا وجرتين
لاجل الما فاما انا فاستقممت قريبا من الصندل خوفا
ليلا ياتي الشعب الهريري في شخاطيرهم ويسرقونه او
يدهورونه فوقفت حارسا له والصبي كسار انطلق
يجول في ذلك الهر وابتعد مني مقدار ميل فبالجهد
كنت المحة فبعد جملة دقائق ما اري الا والصبي
مقبل الي وهو راكض علي قدر استطاعته فظننت
ان وحشا اراد ان يفتريسه او واحدا من الهرير هجم
عليه فتدرعت واقبلت نحوه ناويا ان اخلصه من
الذي هو ساعي باثره او اني اموت قبل ان اراه ميتا
امامي فلما اقترب مني شاهدت شيئا معلقا علي
كتفه فلما تحققته رايتة وحشا يشبه الارنب لكنه
مشكل الالوان وله ارجل طويلة (فاظن انه الهرعي)

ففرحت به جدا وسالته من اين لك هذا فقال
لي اني اصطدته فقلت له اليوم نشويه ونسر نفوسنا
بلحمة فقال لي اني وجدت مياه عذبة واهية وما
عشرت لابوحش ولا بانس . فلما شويناد واكلنا وتنعمنا
وطابت نفوسنا تحصرت وقلت يا ليتنا نصادف
مركبا من مراكب الانكايز فرما يحن قلب القبطان
علينا وبأخذنا معه ويكمل فرحنا . فتمثلت وقتين
بتلك الارض وفرزنتها جيدا فوجدتها انها مستحكمة
مابين مملكة مراكش ومملكة السودان فلما خيمتها
وجدتها مقفرة وسكانها قليلين لكنها مملوءة من ساير
الوحوش الضارية وبعض من السودان يقصدونها
ليس لاجل الاستقامة فيها بل لاجل انهم يقنصون
علي الوحوش الهامة هناك فتعلقت وقتين علي
اكام كان هناك وتشرفت يميننا وشمالا فرايت من
بعيد قمة جبل تنريف الكاين في جزاير كناريا
فقصدت الانطلاق الي تلك للجزاير لاني علمت اني
قريب منها فركبت يومئذ الصندل رفقة الصبي

كسار وكان الريح مضاددا لي وبمقدار ما كنا نجد
ونقذف فكان الريح يرجعنا وراء فلما رايت اننا نتعب
من غير فائدة وماعدا ذلك اننا نرجع الي وراقدمت
الي الساحل وكنا نسير قريبا من الشاطي وبعده
سرنا جملة ايام والامواج تلعب بنا ولانعلم الي اين
نحن سايرون سوي اننا طارحون اتكالنا علي الله
عز وجل وسرنا علي هذا المنوال جملة ايام وفي صباح
ما قدمنا علي ارض عالية ورسينا قدامها فطلبت
انا بعد ذلك ان اقدم الي البر فقام كسار وتبصر
جيذا لان عيناه كانتا حادقتين وقال لي ابعد من البر
ليلا نبيد فاجبته لماذا فقال لي اما تنظر الداهية
التي هي امامنا علي البر فقلت له ما هي هذه الداهية
فاجابني ان اسدا هاكرا علي جانب ذلك التل
محتجبا تحت ظل صخرة فنهضت انا لاحقق كلامه
وتشرفت جيذا واذا بهصمصم اي اسد عظيم للخلقة
مهييب الصورة مخوف الغاية راقدا حسب ما قال
فالتفت الي كسار وقلت له اخرج الي البر واقتله

فاجابني كيف استطيع ان اقتله فقبل ما ادنومنه
يوثب علي ويفسخني نصفين وياكلني فقلت له
ان كنت خائفا استقم هاهنا وانا اخرج واقتله فقامت
واخذت بندقيتي وحشيتها رصاصتين واشبعتها
بارورا مع انها كانت مدرهمة وفخرتها وخرجت الي
البر فحميت له واتيت من قدامه وحكمت للبابي
في جبهته قاصدا ان اقوصه في راسه فطلقت للوقت
النار فاتي الرصاص في ركبته ففتتها لانه كان
جاعلا يديه اثنتيها علي منخاريه كما تفعل القطه
لما تنام فاستيقظ الاسد وهام ان يقوم لكنه
سقط علي الارض عاجلا غير متحرك وبدا يجعر
بصوت مرعوب حتي الارض كادت تترعزع من ضجيجه
فاستعجلت وحشيتها مرة اخري وقوصتها في راسه
فوقع بعد ذلك علي الارض فلما راي الصبي كسار
اني قتلته طلب مني ان يخرج الي البر فاذنت له
فخرج وفي يده بندقيه صغيره فاقترب من الاسد
وهو ينازع فقوصه في راسه اما انا فاستحيقت علي البارود

والرصاص الذي دهورناه في الباطل لان لحمه لا
يستطيع احد ان ياكله ولا فيه نفع ابدا فصعد
وقتئذ كسار علي الصندل واتي بساطور كان صحبتنا
وتقدم الي الاسد مرامة ان يقطع راسه فعالج فيه
مدة فما استطاع ان يقطعه نظرا لصغر سنه فترك
راسه واستقبل علي رجله فقطعها واتي بها الي الصندل
وهو مفتخر بانه قطع رجل عدوه. فافتكرت وقتئذ
وقلت ان جلدة ذوثن فلنخرج اليه ونسلخه فخرجت
انا وكسار ودمنا نعالج النهار كله في سلخه ثم انا
اتينا بالجلد اخيرا الي الصندل وفرشناه علي سطح
الطارمة حتي يجف وبعد يومين يدس جيدا وجعلته
مفرشا لي وكنت ارقد عليه

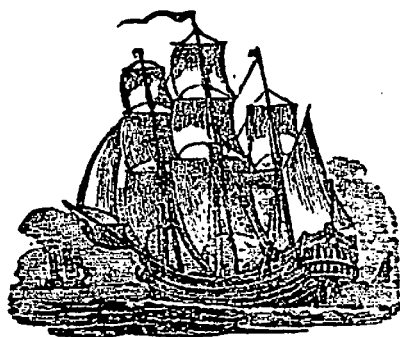
فقلعنا من هناك وتوجهنا ناحية الجنوب مقتاتين
تقندا ليلا يفرغ متاعنا وبسيرنا كنا نلازم البر نظرا
لافتقارنا الي الماء العذب وكنا نشق ان نلتقي مع مركب
من مراكب اوروپا فكان يخطر في بالي اننا ندخل الغبة
عسانا نحظي بمركب ما. فذات يوم من الايام ونحن

سايرون قريبا من الشاطي راينا اناسا واقفين علي
ساحل البحر ينظرون الينا فمعنا نظرنا بهم جيذا
فوجدناهم انهم سودان عرايا فطلبت وفتيد ان اقدم
الي الهر اما كسار فصرخ باعلي صوته قايل ارجع لا
تقدم اليهم ليلا يبيدوننا فما اعتبرت انا كلمة لكنني
درت الصندل متوجها الي الهر فلما راونا مقباين
عليهم كل واحد منهم هرب الي ناحية وابتعدوا
منا جدا والمذكورون كانوا من غير اسلحة ولا في
اياديهم عصي سوي واحد منهم كان ماسكا بيده
عصا طويلة فقلت لكسار اعصا تلك التي ماسكها
ذلك الرجل بيده فقال لي لا لكنها خشت اي
رمح قصير وقال لي ايضا ان السودان يجذفون هذه
للخشوت من بعيد ويقتلون بها فبيديت انا اتكلم
معهم بالغز والاشارة وفهتهم اني طالب منهم اكلا
فاوموا الي ان اقف في الصندل فسرع اثنان منهم
الي النزل وغابا نصف ساعة واتيا بلحم بقريابس
وقليل قمح مقلو ومن عظم خوفهم وضعوا الاكل الذي

اتيا به علي ساحر البحر وابتعدا جدا منا فخرجت
انا للوقت واخذته الي الصندل وطفقت اشكرهم
جميعا واستكشروهم علي حسن معروفهم الذي
فعلوه معنا وبعد مخاطبة قليلة بالهمز توالفوا معنا
واقتربوا منا وبينما نحن نتكلم معهم ونستفهم منهم وهم
يستفهمون منا واذا باسودين عظيمين للخلقة هابطين
من اعلي للجبل وكان واحد منها داركا رفيقه ان
يقتله وهو محتد وتقدمنا الي السودان الواقفين
قريبا منا واختلطا معهم وبعد ذلك خرجا من
بينهم وهما جاريان واحد وراء الآخر فالدروك الخائف
انحصر في البحر وبما انه ما بقا له مفر ان يهرب من
امام وجه داركه طرح نفسه في البحر وبدا يسبح
فلمحقة عدوه طالبا ان يغرقه فارتفعت عليها الامواج
ونحلت قوتها وما بقت لها جرات ان يفوجا فاقبل
حينئذ المدروك الي الصندل عازما ان يخلص
نفسه فاننا اذ رايت ان ياتيني منه مضرة استعديت
ان اقوصه في راسه فقبل ما ابشر بذلك اتت

عليه موجة متعرمة كانها تل وغطسته الي قعر البحر
 فنهض من حلاوة روحه طالبا ان يخرج الي البر
 وقبل ان يصل اتت عليه اخري وتعالى عليه فغطس
 وما بان له اثر وفي الاثنا رايت من بعيد ضبعا
 كبير للخلقة متوجها نحونا فخرجت اليه وحببت له
 وقوصته فلما سمعوا السودان صوت البندقية انذهلوا
 واخذهم العجب خصوصا لما راوا الضبع ملقيا علي
 لارض وهو يجعر بصوت مرعوب فاعطيتهم حبلا
 واشرت لهم بان يقتربوا منه ويوثقوه من رجليه
 ويسحبوه الي شاطئ البحر ففعلوا كما امرتهم فتقدمت
 انا وسالخته فاعجبني جلده ولما راوا السودان اتي
 ما افكرت عن لحمه طلبوا للحبشة مني اما انا
 فاعطيتها لهم فوقعوا كلهم عليها مدهوشين وطفقوا
 ياكلونها نية من غير طمغ ولاشوي وبعد جملة دقائق
 رايت ايضا ضبعا اخر لكنّه هرب وما استطعت
 ان اقوصه. فلما راوا ذلك السودان انبسطوا منا
 جدا وانطلقوا واتونا بما عذبة حتي نشرب وايضا جابوا

لنا صحبتهم سعدا وقمحا مقلوا فاكلنا وبهيجنا نفوسنا
ثم اتنا سافرنا من هناك متكئين علي الله وما نعلم
الي اين نحن سايرون وبعد ما قلنا احد عشر
يوما كشفنا كاپ دي فرد اعني الراس الاخضر
وبها ان المسافة كانت ما بيننا مضوية خفت ليلا
تطلع علينا ريج عاصفة مضادة لنا فتعيقنا عن
الوصول الي هناك وكان الامر كذلك فتشهدت
وقتيذ وكادت روحي تفارقني من عظم غمي وهمي فما
اري الا وكسار يصرخ الي قايلًا التفت الي وراك
وانظر المركب فارتعبت جدا وقلت انا لله وانا اليه



راجعون انا نخلص من مصيبة فنقع في واحدة

اشر منها لاني ظننت ان مولانا القبطان ارسل
مركبا يبحث عنا وبعد برهة قليلة كشفنا المركب
فوجدناه انه پورتوكيسي . فاجتهدت انا وبديت
اقدف بكل بتعي حتي لحقهم وكان تعبي كله
باطلا لانهم كانوا ناشرين قلعهم كلها والمركب كان
سايرا كمثل النشاب لاعتدال الريح ونسهمهم ولا هم
نظرونا حتي يخفقوا الشراعات وينتظرونا وللوقت
تذكرت ما فعل ذلك القبطان اذ قوص المدفع
لاجل الاعانة ولما سمعوا البحر يرون اتوا اليها وخلصونا
من الغرق فاخذت انا ايضا البندقية وحشيتها
جيذا وقوصتها وعطيت بتقويصها علامة انني منضاق
فلما سمعوا صوت البندقية وقفوا المركب وانتظرونا
وبعد ثلث ساعات وصلت اليهم وقريتهم السلام
فسالوني بلغتهم الپورتوكيسية فما كنت افهم
كلامهم ولا ماذا يقولون فلما راوا انني ما اعرف
اللغة الپورتوكيسية كلموني باللغة الاصپانيولية
والفرنساوية فاشرت اليهم اتي ما اعرف ان اتكلم

بهذه اللغات فتقدم بحري من وسطهم والمذكور
كان انكليزي فسالي قايلًا من تكون انت ومن
اين موافى فاخبرته اني رجل انكليزي كنت مستعبدا
في البلد الفلانية واخبرتهم بقصتي كلها وكيف
هربت ونجيت نفسي من رق العبودية فحالًا اصعدوني
علي مركبهم وقبلوني بكل محبة وقطروا الصندل
بمركبهم وسافرنا جميعًا ولم نزل نسير ايامًا وليالي
حتي وصلنا مدينة برازيل بعد اثنين وعشرين يومًا
منذ اني صادفتهم ثم دخلنا مينة دي تودوس لوس
صانطوس اعني مينة جميع الاولياء فشكرت افضال
القبطان الذي صار سبب حيوتي والمذكور ما ارتضي ان
ياخذ مني ادني شي وغير ذلك اعطاني عشرين دينارًا
ثمان جلد الضع وثلاثين دينارًا ثمن جلد الاسد
وقال لي ان كنت تريد تبيع الاشياء التي معك
فبعها لي وانا ادفع لك ثمنًا جيدًا فرضيت وبعته
له كلها كان صاحبنا في الصندل فجمعت في الآخر
فلوسي وكان عددها مائتين وعشرين دينارًا فلما

درت المدينة وتعارفت مع بعض سكانها عجبتي
واعتمدت ان اقطن فيها وامتنع عن السفر فاستحسن
رايا واشتريت حقلا قريبا من حقل رجل انكليزي
مولود في برازيل وجمعنا الاثنان وعملناهما حقلا واحدا
شركة ما بيننا فاستقمنا سنتين نزرع خضارات
وما اشبه ذلك وفي السنة الثالثة زرعناه تتنا وقصب
السكر فعج التين وصار كانه زورحتي انا جمعنا منه
كوما معرما وعملناه كله شكوكا وطحخا فانطلقت بيوما الي
القبطان الذي جابني معه اذاني سمعت انه جاء وقلت له
ان لي مبلغ دراهم مع والدي في لندن فاترجاك ان
تعمل معي معروفا وتاتني بها لما تجي الي هنا فقال
حبذا وانما اكتب مكتوبا لوالدك عن هذا الداعي
وانا اتيك بالفلوس فكتبت حينئذ مكتوبا
لوالدي واعلمته عن كل ما جري لي واني محتاج الي
فلوس الخ .

فسافر القبطان الي لندن ومضي الي ابي وسلمه
مكتوبي فقراه وفرح بسلامتي والقبطان ايضا اعلمه

باجري لي وكيف انه صادفني واتي بي الي
برازيل فقام ابي وسلمه الفلوس التي ربحتها مع
ذلك القبطان وامراته الارملة وايقضا ارسل لي من
عنده اشيا وافرة مثل كسوة وما اشبه ذلك ولما
سمع اني قد ابتعت حقلا ارسل لي عددا لفلاحة
الارض مثل مر وفاس ومنجل الي اخرة . ثم اني
وسعت عملي في الحقل وكنت اتمتع بالعيشة
التي وصفها لي ابي اي اتي لا غني ولا فقير لكنني
منتصف الحال . وبعد مدة استطمعت وما كانت
ترضيني تلك العيشة فاستقمت ساكنا في برازيل
اربعة سنين متوالية وبها تعلمت لغة تلك البلاد
وصنعة الزراعة وايقضا اختلطت مع تجار صاخبين
اعتبار . فاتي الي يوما ثلاثة منهم وقالوا لي انهم لهم
مادة ان يشاوروني بهاسرا فبعد ما اختليت معهم
قالوا لي اننا قد ابتعنا عبيدا ولا نحن قادرون ان
نبيعهم هنا فاهتدينا علي راي اي اننا نوسقهم في
مركب ونرسلهم الي كينيا فان كنت تريد ان

تسافر معهم بصيغة مباشر عليهم فتكون مشاركا
لنا من دون انك تصرف ادني درهم ولكن
بمناظرتك فقط فلما سمعت هذا منهم وداولته في
عقلي فوجدته مناسبا لي واني اكسب من هذه
المادة مبلغا وافرا فاتفقت علي رايعهم وقلت لهم
اني انطلق فذهبوا ان يشهلوا شغلهم واذا قمت
ايضا وهييت نفسي الي السفر ثم وسقنا العبيد
المقول عنهم في المركب وتودعنا من بعضنا وركبت
المركب في اول يوم من شهر ايلول سنة الف
وستماية وتسع وخمسين مسيحية وتوجهنا ناحية
الشمال واستقمنا سايرين اياما وليالي والامواج تلعب
بنا ونحن في الغبة بعيدين من الارض جدا وفي
يوم من الايام اتينا الي جزيرة فرندي نورمبا
وفتناها وسرنا من الناحية الشرقية منها . فلما
عدمنا مشاهدتها قامت علينا ريح مرعوبة وزوبعة
مخوفة حتى كاد المركب يغوص من عظم الامواج
وتلاطمها واستقامت الريح علي تلك الحالة اثني

عشريوما غير هادية والامواج تلعب بنا تارة تصعد
 بنا الي العلو وتارة تهبط بنا الي العمق ولا كنا
 نستطيع ان نتوجه حسب مقصودنا ولكن حيث
 ما تشا الريح تحذفنا ومن ذلك الاضطراب مات
 منا عبد واحد وايضا طفل وبحري كانا يغسلان ظهر
 المركب فمالت عليهم موجة ونشلتها وما عاد
 لها وجود فلما راق الهوا وبطلت الزوبعة راينا اننا
 قريبون من ناحية كينيا فارتاي القبطان واراد
 ان يرجع فقاومته انا وقلت له لاتفعل ذلك ولكن
 الاجدر بك ان تميل الي جزاير بربادوي فحسب
 ظننا اننا نستطيع علي الدنو من تلك الجزاير
 باثني عشريوما فهكذا نحن غيرنا راينا وسرنا ناحية
 الشمال قصدنا ان نصل جزاير ليوارد والا ان ربح عاصفة
 قامت علينا كالاول وسحبتنا وانطلقت بنا غصبا
 الي ناحية الغرب واذا راينا اننا مغتصبون خفنا
 ليلا نلقي علي احدي جزاير البربر فيهلكونا او
 يدق المركب بصخرة فيتكسر ونحن نغرق . وفي

ذات يوم صباحا ونحن خائفون وزايطون وكل
 واحد منا يشير مشورة سعد بحري علي الصاري
 ليستشرف فصرخ باعلي صوته قايلا ارض ارض
 وقبلما نزل من الصاري دق المركب في صخرة
 وانفتحت بطنه حالا وامتلا ما واشرف علي الغرق
 فلما رايت هذا للحال واين انتهت اخرتي وان هذه
 الساعة هي اخراحيوتي وبها افارق هذا العالم الغرار
 جثيت علي ركبتي رافعا للحاظي الي السما وانا
 مكسور القلب والرعبة جعلتني ارتعب وبديت
 اتضرع اليه تعالى ان يشفق علينا وينظر الي حالي ولا
 يهلكني معدماتي وكنت اطلب ان يغفر لي ما ارتكبتة
 من المعاصي ان كان بالفكر اما بالقول او بالفعل ورفقتي
 ايضا كانوا واقفين علي ظهر المركب مترقبين الموت في
 كل رمشة وما نعلم اين نحن حاصلون وعلي اي ارض
 نحن قادمون هل هي جزيرة ام بر واسع مسكون ام
 مقفر فما كان لنا رجا ثابت بالمركب انه يستقيم
 كذا مهلة طويلة وما يغطس نظرا لملوه بالما فظهرت

لنا تلك المادة كأنها عجوبة وفيما نحن منتظرون الموت في كل لحظة اعتمدوا البحريون وحلوا القارب وقدموه الى حرف المراكب عازمين اذا غطس المراكب فيصعدون عليه ويخلصون نفوسهم من الغريق فبعد دقائق قليلة امتلئ العنبر ما وانفلق من وسطه وبدأ يغطس اما البحريون فطرحوا نفوسهم في



القارب واخذوني معهم وكنا الذين نجينا ستة انفار فبدينا نتوسل الى الله ان يخلصنا ليلا تاتينا موجة وتحدرنا الى عمق البحر فافتكرنا ايضا ان هذا القارب لا يستطيع ان يخلصنا لان موجة صغيرة من تلك الامواج قادرة ان تحدرنا الى العمق

لان البحر كان هائجا جدا والامواج تتلاطم وترتفع كانها
 جبال فاردنا ان ننصب شراعا فما كان لنا وان كان
 لنا فما نقدر ان ننصبه لانه ما ينفع شيئا والمقاديف
 ما كانت تساعدنا وفي الاثنا ونحن ملتبكون
 الاموجة عظيمة تعالت فوق روسنا وهبطت علينا
 واحدرتنا الي قعر البحر نحن والقارب معا
 اما انا فما بقي لي مجال ولا حيلة سوي انني
 اصرخ اليه تعالى القادر علي خلاصي ولما كانت
 الامواج تغطسني فكنت احبس علي نفسي ليلا
 اغطس وذلك كان ايضا من غيرفايدة ولما كنت
 في عمق البحر تصورت تصورا مرعوبا لاجل افراح
 ملكوت السموات وعذابات جهنم الابدية فانتصبت
 هذه كلها امامي همدة جزوية وانا حاصل ما بين
 للحياة والموت فما بقيت اوعي علي حالي ولكن
 من حلاوة روعي كنت اخابط واعالج بكل جهدي
 وما اعرف اين انا حاصل علي الشاطي اوفي عمق
 الابحار وبها اني كنت داخجا ما استطعت ان اري

شيا حتي ولاضوال الدنيا ثم اتي جاهدت بكل اقتداري
حتي ادنو من الهر وكان علي صعب ان احبس
نفسي مدة طويلة وانا في وسط المياه فذلك كان
ليس من ارادتي بل اغتصاب وما زلت علي هذا
الحال موجة ترفعني وموجة تحطني الي ان قذفني
البحر الي الشاطي وانا ما بين للحياة والموت نظرا
للمياه التي دخلت في بطني والتعب الذي
قاسيته فعند ما دقت رجلي في الارض امتعدت
وركضت علي قدر استطاعتي لكنني ما خلصت
بنفسي لان قبلما ابتعدت من الما ادركتني موجة
كانها جبل فصبت علي وسحبتني ورا واحدرتني
الي العمق فلولقت انا حبست علي نفسي ليلا
اغطس ولما نشلتني الي فوق واخذت نفسا اتت
علي موجة اخري واخذتني بسرعة وقذفني ايضا الي
الشاطي فانا كنت افوج بكل مهالي ليلا ارجع وراء ايضا
وابيد فلما نضبت المياه دقت رجلي في صخرة
فكر بشت بها بكل استطاعتي حتي نضبت المياه كلها

وعلي هذا المنوال لما كانت تأتي علي الأمواج كنت
اتكلب بالصخرة ولما تنضب المياه ازحف الي
ناحية البر ومع هذا كله ما خلصت من العنا والخطر
لان في تلك الاثنا وانا طالب البر ما اري الا وموجة
مهولة رجحت علي وسحبتني الي ورا وزجتني في
العمق مقدار عشرين او ثلاثين ذراعا الا انها
اصعدتني حالا الي فوق وقذفتني ايضا الي الشاطي
الي ناحية صخرة عالية فتعنقشت عليها للوقت
وتمكنت بها الي ان خسفت وغاصت ثم اتت
بعدها موجة اخري الا انها كانت صغيرة فما قدرت
ان تسحبني ولا تاثيري فنضبت حالا وقبلما تاتي
اخرى صعدت علي اعلي الصخرة التي كنت
مكربشا بها وانا في حال العدم فنهضت قايا
وابتعدت من الشاطي وتطلعت يميناً وشمالاً فرايت
مرجاً مخضراً قريباً من الشاطي فانطلقت اليه
وتسطحت عليه وانا تعبان لهثان مالى مروءة ان
ارفع يدي او انقل رجلي

فلا قلم ولا لسان يستطيع ان يبلغ عن الفرح
الذي شملي لما خلصت من الغريق فرفعت يدي
وقتئذ وطفقت اعطي الشكر لله علي انعامه للجزيلة
التي فعلها معي وكيف انه ردني من العدم الي
الوجود من بين ساير ارفاقي الذين كانوا في القارب
فممت وقتئذ بعد ما استرحت قليلا وعصرت
ثيابي ولا عندي ثياب اخري حتي اكنسي بها
وصعدت علي مكان عالي وتشرفت يمينا وشمالا حتي
اعرف ما هي الارض التي خرجت عليها وماذا ينبغي
لي ان افعل فيما بعد فرايتها خرابا ولا فيها من يسكن
فللوقت هجست بالجوع والعطش وانا خالي من الاكل
والشرب وما عندي خشت حتي اقتل به طيرا او
وحشا واكله سوي كان معي شطب قصير (اي دواية)
وكيس مملئتنا ومطوي كبير كناية عن سكينه صغيرة.
فلما مالت الشمس واطلمت علي الدنيا ارددت رعبه
خوفا من الوحوش الضارية ليلا تاتي علي ليلا وتفترسني
فايست وقتئذ من عيشتي وقلت انا لله وانا

اليه راجعون اني خلصت من البحر فاريد ان اقع
بشي اتعس واهول منه • فحتمت عند ذلك في
رايي وقلت اني عديم للحياة ومالي خلاص من الموت
ولا مفكة منه ابد افسرت حينئذ وانا اتكج لعدم النور
طالباماء حتي اشرب فاخذت قليلا من التين الذي
معي وجعلته في فمي كما تفعل الهرايرة اذ
يستعلمون للخشة حتي لا اشعر بالجوع فانيت الي
شجرة شاهقة قد عكفت اغصانها وانها مستديرة
كانها قلعة فصعدت عليها وقلت اني اريد ابات
عليها هذه الليلة وغدا يفرجها علي الله فرقدت
ونسيت العطش الذي ضامني والجوع الذي خورني
فغطست في لجة النوم ومن تعبي ما انتبهت الي
طلوع النهار • فلما اشرقت الشمس صعدت علي
اعلي شجرة وكانت الريح قد كلت وهمدت فرايت ان
الامواج قد قذفت المركب علي الصخرة التي طرحتني
عليها الامواج اول مرة بعيدا من الشاطي قليلا
فتزلت حالا من اعلي الشجرة ونوجهت الي الشاطي

فرايت ايضا القارب مطروحا علي شاطي البحر
يعيدا مني مقدار ميل واحد فاعتمدت وقتيذ ان
اسبح وامضي الى المركب لعلي اجد فيه شياميوكل
فلما انتصف النهار وبطلت الريح هبوبها والبحر
همد هيجانه خلعت ثيابي وسبحت متوجهاً الي
المركب متقصدا ان اصعد عليه فلما دنوت منه
ماوجدت له منهاج ولا طريقة حتي اصعد عليه
فدريت حينئذ حوالية ملتصبا حبلا حتي اتعنقش
به وكان الامر كذلك لاني وجدت حبلا متدياً واصلا
الي اما فمسكته وصعدت به الي فوق المركب
فرايت الكلب الذي كان معنابعد حيا وبدي
ينعوص كانه يشكي لي من شدة جوعة فتاملت
وقتئذ بالمركب فرايته خاليا من انس وعنبرة
مملوا بالما مع الطارمة والكرار فجانبه الواحد كان
مرتفعا وعديم اما والاشيا الموضوعة فيه كانت
يابسة ولما كنت مدورا فيه وجدت ماونة واقرة
موضوعة داخل صناديق مقفولا عليها ولضبط

شغلها وحسن خشبها تعالى الما عليها وما دخل فيها
لاني لما فتحتها وجدت الاشيا التي فيها يابسة والمياه
ما مستها ابداء فاردت ان انقل كل ذلك الي البر
الا اني ما استطعت ولا كانت لي فرصة ايضا ان افعل
ذلك سوي ابي اهتمت ان اخذ كلما هو ضروري
ولازم لعيشتي ففتحت وقتيذ صندوقا اخر فوجدت
فيه مربعات مملوءة روم اي عرق السكر ففتحت
قزارة وشربت منها قليلا وشرحت نفسي فلما افكرت
رايت ما ناقصني شي سوي قارب حتي انقل
فيه كلما استطيع عليه واذهب به الي البر فقلت
في عقلي ماذا افعل حتي اخرج هذه الاشيا الي البر
فجاء في بالي ان اعمل طوفا فاستحسننت ذلك الراي
واهتمت وقتيذ وبديت الم الاخشاب الموجودة في
المركب والقيها في البحر مع روس صواري كانت مربوطة
علي ظهر المركب و اردت ان انزل ايضا ثلاثة
براطيم غليظة جدا واربطهم واصيرهم طوفا فنجيت
اولا ووضعت برطوما في الوسط والاخرين كل

واحد منها في ناحية وتقدمت الي الاخشاب وبدت
اشبكها علي تلك البراطيم واربطها ربطا وثيقا في
حبال المركب وصيرت من تلك الاخشاب طوقا عظيما
ولما انتهيت من عملي طلعت علي الطوف فوجدته
بغوص في الماء ولا له قدرة ان يحمل ادني شي ثم
اني صعدت مرة ثانية علي المركب وقطعت
روس الصواري المنصوبة وكسرت ايضا اخشاب
من المركب واضفتها كلها علي الطوف مع تعب
وعناء لا يوصف ثم خلعت الواحا ايضا من المركب
ورصفتها علي وجهه وبعد ما ربطت الاخشاب
كلها ووثقتها مع بعضها صعدت عليه لاجرب
هل يحمل الان شيا فوجدته انه يحمل كلها
احتاج اليه فصعدت وقتيذ علي المركب واخذت
ثلث صناديق من صناديق البحريين ومليتها ارزا
وخبزا مقرقشا وجبنا ودليتها ووضعتها علي
الطوف واخذت ايضا خمس شقق لحم معزي مقدد
ومليت صندوقا اخر من الشعر الذي كان هناك

وبينها انا افتش عشرت بصندوق فيه قرايز مملوءة
عنبري من كل صنف عنبري الورد والقдах
والقرفة وما اشبه ذلك وايضا وجدت دمنجانات
(اي قرابات) مملوءة ايضا عرق الزبيب مكررا.
وكل هذا الاشيا نزلتها ووضعتها علي الطوف وفي
تلك الساعة بدا المد يسفح فوجدت ايضا لبسا
كاهيا لي فاخذت علي قدر استطاعتي. ولطمعي
صعدت ايضا علي المركب لان عيني كانت علي عدد
التجارة حتي اشتغل بها واقضي زماني وافعل مرامي
وفيما انا ابحت وجدت حسب غايتي عدة التجارة
بكما الهالم ينقص منها شي فجمعتها ونزلتها كلها ووضعتها
علي الطوف فالتفت وقتيذ الي الاسلحة وبديت
ابحث عنها ثم نزلت في الطارمة الكبيرة فوجدت
بندقيتين زرزوريتين وطبجتين وتنكات مملوءة
من البارود الريجاتي عديم الوصف وجرابا مملوا
خردقا وسيفين قد اكلها الصدا. وايضا وجدت
ثلث تنكات اخرة مملوءة بارودا اثنتان منها بارودهما



روئیند کروزې علي الطوف

جيدا والثالثة قد دخلها الما وانتقع بارودها وهذه
كلها نزلتها ووضعتها علي الطوف وايضا نزلت
صحبتي ثلث مقاديف ومنشارين وفاساء ومنزبة
(اي مطرقة) فوظبت كل شي في مكانه علي الطوف
وتوجهت الي البر والكلب معي فالذي جعلني ان
اصل الي البر بهذا الثقل هو هذا اولا البحر كان
هاديا ثانيا المذ كان سافحا ناحية البر ثالثا
الريح كانت معي فبعد ما سرت ميلا واحدا لاحظت
ان الطوف ابتعد من المكان الذي صعدت اليه
وقتما خلصت من الغريق ورأيت ان المياه قد طفحت
علي الارض وملت واديا كان هناك وجعلته كخليج
صغير اما انا فاستعديت للوقت وحكمت الطوف ان
يدخل في ذلك الخليج لان مرامي كان اني اقدمه الي
الشاطي حتي اخرج منه الامتعة بسهولة الا انه اخيرا
دق بالارض وشمل علي القاع وانا مبتعد من الارض
وبعد قليل وانا مختار بامري كيف اني اعمل
تعالت المياه ونهضته وطاق مرة ثانية ثم اني اتيت

به الي الشاطي حسب مرامي وكان هناك كهف
داخل اكام فانشرحت وقتيذ لوجودي المحل ان
اضع فيه ماونتي وامتعتي لاسيما لقربه من الاكام
حتي ابي اصعد عليه واكتشف علي الجزيرة كلها.
فصعدت وقتيذ علي الاكام لاخم الارض ان كان
فيها ساكن ام لا فرايت من بعيد جبلا عاليا
وحوليه تلولا صغيرة فاعتمدت ساعتين ان انطلق
الي هناك واصعد عليه واتشرف علي الارض كلها
واخما جيدا فهبطت وقتيذ ودخلت الكهف
واخذت طينجتين وجعلتها في حزامي وحملت
البندقية علي عاتقي بعدما تحوجت بارودا ورصاصا
وخردقا عساني اعثر بصيده ثم اني انطلقت وصعدت
علي للجبل وتفرست يمينا وشمالا فرايت انني
ساكن في جزيرة محتاط بها البحر من كل جانب
فتطلعت الي الناحية الغربية منها فرايتها كلها
محجرة وللجزيرة كلها استبانتي لي عقيمة ومحلة
ولا فيها من ينسكن الا انها مشحونة بالوحوش والطيور

وكانت غريبة مني معرفتها لاني ما كنت اعرف
اجناسها واي نوع منها يصلح للاكل ولما كنت راجعا
اصطدت واحدا وكان كبرة وريشه يشابه الصقر
ثم اتيت الي الطوف واخرجت منه الاشيا التي
اتيت بها من المركب ورصيتها كلها داخل الكهف
بالترتيب وقضيت ذلك النهار كله في النقل والحط
فلما مالت الشمس وانا مللت من التعب اردت
ان انضجع واريح نفسي فخفت ليلا ياتي وحش
علي ليلا ويفترسني وانا في لجة الكري فاستعديت
وقتين وعملت كل همتي ونقلت اخشاب الطوف
واصعدتها الي الهر واتيت بالالواح وشبكتهامع
بعضها وعملتها دايرة واخذت الصناديق وسندت
الالواح بها واتيت بباقي الاخشاب والالواح وطبقتهام
عليها وعملت عشة عظيمة فنمت تلك الليلة نومة
هنية مستريحا من اتعابي مطمئنا علي نفسي فلما
لاح النهار واشرقت الشمس وانا نسيت التعب
الذي قاسيته نهار امس خطر في بالي ان انطلق

مرة اخري الي المركب واتي بهاتناله يدي واقدر
علي حمله قبل ان تقوم زوبعة ويكبر البحر ويتكسر
المركب وافلس من الاشيا التي فيه . فنهضت وقتيد
واتكلت علي الله ونزلت في البحر وعمت حتي
وصلت الي المركب فصعدت عليه وبديت اجمع
الاخشاب منها كسرا ومنها خلعا حسبما يمكنني ووثرت
ان اربط طوفا يكون اكبر من الاول واقوي منه حتي
انقل عليه الاشيا التي بها غرضي وانها تكون تحرز
فنزلت الاخشاب التي خلعتها وربطتها مع بعضها
كما فعلت بالطوف الاول فنزلت اولا عدد التجارة
وثلاثة جربان مملوءة مسامير من كل جنس وجرابا
مملوا من المسامير القبقابية وعشرين بلطة وطاحونة
للقهوة وهاونا للدق وجرابين مملوين من الرصاص
المصبوب لاجل البندقية وبندقية اخري شمية
وبرميلا بارودا وجرابا كبيرا مملوا خردقا لصيد الطيور
وماعدا ذلك نزلت ايضا لبس البحريين كله
والشراعات وجمعت للحنة وجواجم ومخايد

ومطارج شتي والنتيجة اني ما تركت شيا من
الفرش وايشا نزلت جملة صناديق مملوءة ماونة
فرصيت ذلك علي الطوف واستقبلت الي البرعاجلا
خوفا لئلا ياتي وحش من الوحوش في غيابي ويفسد
ما قد جمعته ونخرته هناك فتسلمت وقتيد الهر
وقدمت بسلام وبديت بخروج الاثاث والماونة
ورصيتها فوق التي اتيت بها نهار امس فلما دخلت
الكهف رايت قطعة رابضة علي احد الصناديق
فمددت اليها البندقية لاري انها تخاف فما فز
قلبها ولا تكلكت من مكانها ففتحت صندوقا
واخذت كعكة ورميتها لها فتناولتها وبدت تاكلها
فلما انتهيت من عملي اخذت بعض من الشراعات
ووصلتها مع بعض ونحت اوتادا وربطت بها
الاطناب ونصبت خيمة عظيمة ثم اني اتيت بصناديق
فارغة وصفيتها حول الخيمة من داخل وعلقت
اسلحتي علي العمود وفرشت فرشتي في وسطها
ونمت تلك الليلة متهنيا ومطمنا علي نفسي

فلما اشرفت الشمس نهضت من فرشتي ورميت
 الانطلاق الي المركب واتي بها تناله يدي فكسرت
 ريتي وقتيذ بلقمة خبز وذهبت الي المركب كعادي
 وبديت بتخليع الاخشاب وتكسيورها ثم نزلتها علي
 البحر وربطتها مع بعضها وعملت طوفا عظيما كالاول
 والثاني واتيت الي قلوس المراكب فقطعتها ونزلت
 معها زناجير المراسي ونزلت ايضا براميل مملوءة سكرا
 ودقيقا وبارودا وايضا جملة صناديق فيها قرايز مملوءة
 من كل اصناف المكيفات فنظامت ما جمعته جيدا
 علي الطوف وقصدت البر ومن اجل ثقل الحمل
 ما صدقت اتي استطيع ان اخلص بالطوف
 سالما الي البر وفيما انا متفكر ومشكك تعالت
 الامواج علي وكانت تלט الطوف حتي انه اشرف
 علي التفليس وغرق مني بعض من الامتعة فلما رايت
 انا ذلك كنت اقوي نفسي واشجعها واقذف
 بكل بتعي حتي وصلت الي البر بعد ما كلت
 قوتي واشرفت علي العدم . فلما استرحت قليلا قممت

ونقلت غنيمتي الي الكهف وسحلت اخشاب الطوف
علي البر . فاستقمت علي الجزيرة المقفرة ثلاثين
يوما تسعة عشر يوما انظم حالي في الكهف وللخيمة
واخم الارض واصطاد من الطيور واقتوت نفسي
واحد عشر يوما اشتغل علي ظهر المركب وانقل كلها
عشرت به وقدرت علي حملة والاتيان به . فلما
انطلقت في المرة الثانية عشر بدت الريح تقوى
وكانت تهب من ناحية البر فصعدت علي المركب
ودخلت الطارمة وبديت افتش لعلي اجد اشيا
اخرى نافعة لي ففتحت خزانة فوجدت فيها صندوقا
مملوا من امواز للحلاقة ومقاصيص للخياطة وغيرها
وسكاكين من كل جنس وكيسا مملوا من المعاملة
ذهبا وفضة فاخذت كيس الفلوس ورميته
في الصندوق وجمعت فوق ذلك اشيا اخرى ونويت
علي ان اعمل ظوفا اخرى باستعجال ولا اتباطي لئلا
يكبر البحر وافلس من الكل فلما نزلت اول خشبة
رايت ان الريح قد قويت وهبت من البر والجو تجمل

بالسحاب واظلم فافتكرت للوقت ان يدي ما تلحق
علي عمل الطوف ولا اقدر ان انجي به الي اله ويحتمل
اني اعدم نفسي فالاجدري اني اترك كل ما جمعت
واخلص بنفسي فقط فطبيت وقتين في البحر
وبديت افوج واموج وبالجهد اني وصلت الي اله
وبعد ما صعدت من البحر بدقايق قليلة قويت
الريح واشتدت جدا والبحر كبر وتلاطمت الامواج
وتعالت وصارت كأنها جبال عالية . ثم اني نمت تلك
الليلة قانعا بما اقسمه لي تعالي واني حاصل علي
كلما تحوجني اليه الضرورة من الأكل والكسوة فلما لاح
النهار واشرقت الشمس نهضت قايما واستشرفت
علي المركب ان كان باقيا ام لا فما وجدت له
اثر لان الامواج تعالت عليه واحدرته الي عمق البحر
فقطعت وقتين رجائي منه واستقبلت ان اوضب
امتعتي وانظم حالي فاعتقدت ان احصن لي مكانا
واحتوي فيه خوفا ليلا ياتي وحش علي وانا راقدة
فيفترسني لاني افتكرت وقلت لابد من وحش

ضارية تسكن هذه الجزيرة. فالارض التي نقلت
 للخوايج فيها كانت مالحة ومصبغة وعديمة الما
 العذبة ولا تنفع الي الزراعة فعزمت ان ابحت
 عن عقار يكون مخصبا جيدا وفيه ما حتي
 اباشرفيه الزراعة لقوتي فوجدت عقارا حسب غايتي
 وقريبا منه جبل عالي ففرحت به جدا من اجل
 اني اصعد عليه واستشرف علي البحر ومن هناك
 اقدر اري اذا كان مركب سائرا في هذه النواحي
 فاعمل اشارة له. وفي ناحية هذا الجبل كانت شقيقة
 واسعة وبابها مستحکم ناحية المرج فاتيت بخيتمي
 ونصبتها قبال باب الشقيقة وعرض المرج كان نحو
 مائة ذراع وطوله مائتين وقدام باب الشقيقة كانت
 الارض معشوشبة والبقعة كلها كانت زهية تحيي
 القلوب فنويت ان احوط بهذه البقعة سورا
 مستديرا خوفا لئلا ياتي وحش ويدوسني وانا
 راقد فقامت وقطعت اوتادا غليظة عالية ونحت
 روسها واتيت بها وشكختها حوالي البقعة وجعلت

المسافة بين الوند والوند مقدار ست خطوات
واتيت بالقلوس التي اتيت بها من المركب فربطتها
في الاوتاد باستدارة وعلمت الاحبال والاوتاد كلها
كمثل الزرب الذي يستعملونه العرب حول خيهم وكان
علوه ذراعين ونصف فلما انتهيت من بنا السور
وحصنت محلي جيدا بديت بنقل حوايجي
واثاثي ورصيتها كلها في الشقيفة داخل السور وبعد
ذلك بديت اوسع الشقيفة وانظمها والتراب
والحجارة التي اخرجت منها عليت الارض بها وسطحتها
جيدا . فذات يوم من الايام وانا ملتبك في
شغلي حدث برق ورعد مخوف ومطر هائل يعمي
الابصار فخفت علي البارود ليلا يوج من الهرق
وليس اني اعدمه فقط ولكنه ينثر فخيرتي كلها
وربما يقتلني ايضا . فبديت افرقه في صناديق
واكياس وادفنه داخل الشقيفة وكان كله نحو
قنطار ونصف . فكنت كل يوم اخذ بندقيتي
واذهب اصطاد كلما هو يصلح للاكل واتي الي منزلي

محملاً واصنع لي مأكولات مفتخرة من صيدي واسر
نفسي. فذات يوم من الايام وانا قانص كعادتي
رايت قطيعا صغيرا من المعري فركضت وراهم اماهم
فهربوا مني لانهم كانوا مستوحشين فسعيت وراهم
بين الصخور والوديان حابيا لهم لعلني اقدر ارمي
منهم جديا فاتيت ورا صخرة ورايت من وراها
معزة ترضع جديا فقعدت الزناد وقوصتها فوقعت
حالا علي الارض وهي تخبض بيديها ورجليها فلما
تقدمت عليها وحملتها علي عاتقي وسرت بها
لحقتني الجدي الذي كانت ترضعه وما فك تابعا لي
الي ان دخلت منزلي وهو ايضا دخل وراي فقبضته
حيا وربطته ولما قدمت له حشيشا ورايته ما يقدر
ياكل خفت لئلا يموت واعدمه فقامت ذبحته
وسلخته وعلخته.

فمن هذه الانعامات كلها ما اقتنعت لكدني
تكرهت من عيشتي وتمررت جدا من وحدائتي.
واوقات متواترة كانت الدموع تهطل علي

وجنتي كانها سيول عند ما اذكر احبايي وخلاني
 واقاري واري ذاتي مفترقا عنهم جالسا في هذه
 الجزيرة المقفرة ولا اري واحداً يانسني وهذه الافكار
 ومثلها كانت تجعاني اذ مر علي تديره تعالى واليوم
 قضاء وافعاله العظيمة واحيانا كنت افكر افكارا
 صالحة واوبخ نفسي علي عدم شكرها والومها
 هكذا قايل الويل لك يا نفسي الشقية حقيقة
 انك عديمة الشكر وناسية انعامه تعالى الكلية
 المقدار اليس ان سكنتك هاهنا متوحدة افضل
 من انك كنت تغرقين في البحر بجملته الذين غرقوا
 وما نجي منهم ولا واحد ولماذا اذاء تدمر مين وتشكين
 من عيشتك وتكهرهين من حيوتك لانك ما
 خلصت من الموت فقط ولكن المركب بجملته دفع
 اليك حتي تاخذين منه كلما تحوجك اليه الضرورة
 لاجل المعيشة . فلما انا نجيت من الغرق وطلعت
 الي الهر كنت متفكرا في اي يوم انا ومن ذلك
 اليوم كنت ملازم للحساب خوفا لئلا اتيه من

حساب السنة ولاجل نقصاني للبر والورق والاقلام
اخذت خشبة طويلة وبديت اخط بها كل يوم
خطا وكان اول حسابي اليوم الثلاثون من شهر
ايلول سنة الف وستماية وتسع وخمسون مسيحية
فكنت كل يوم اقوم صباحا واخط فيها علاما
قبل ان ابدى بعلمي ونهار الاحد كنت اميرة
واعلمة اطول من الخطوط الستة نظرا لوفق للحساب
ولما ينتهي الشهر ابدى بحساب جديد وعلي هذا
النحو عملت حسابي شهريا وسنوياً فلما كنت ذات يوم
افتش في الصناديق التي اغتمتها من المركب
وجدت فيها اشيا كثيرة النفع لاسيما اتي وجدت
حبرا وورقا وربطات اقلام وافرة وايضا وجدت
پركلين (اي بيكارين) وعددا تخص علم الهندسة
وقبلكات ودرايين (اي نظارات) وكتاب علم سفر
البحر وثلاثة كتب مقدسة وكتب روحية عديدة
ولو اني امتلكت كل ما انا مفتقر اليه واني تحوجت
جيذا فلم ازل اري نفسي ناقص اشيا عديدة فحبري

الذي كان يسليني واني اكتب منه كل ما يصادفني
 بدي يتناقص يوما بعد يوم وكنت ايضا محتاجا
 الي ابر وكشتبانة وخيطان حتي ارقع ثيابي *
 واني كنت محتاجا جدا الي مر وفاس ومجرفة حتي
 اعزق الارض وافلحها * فبعد ما فرغت من عملي
 المنزل واسترحت منه وانا كل يوم اجول في وسط
 الجزيرة متقصدا ان اصطاد من كلما اراه ويعجبني
 خطرت علي بالي بلادي ورايت حالي كمديون
 ومجروم ومحبوس في هذه الجزيرة وكنت اتامل في
 عيشتي تارة اري ذاتي حاصل في شقاوة وبلية
 وتارة في سعادة ورفاهية فافكاري كانت متقلبة
 علي هذا المنوال

الافكار المنفرجة

الافكار المكمرة

فاحمد الله الذي نجاني من وسط راكبين المركب جميعهم فالذي اصعدني الي البرورجع الي حيوتي هو فاذر ان يربني وجه بني البشر ايضا	اني لقيت علي جزيرة مقفرة ولاعندي من يسليني حقيقة انني بايس ومنكوس الحظ لاني قطعت من صحبة بني البشر
---	---

انني صرت كذا لك متوحد
وابتعدت من المخاطبة مع
بني البشر * وبعد ايام قليلة
ستهتري نياي وابقى عرايانا
كمثل البهائم

عنه لان الجزيرة حامية كسئل
بلاد العبيد

فجبناتي مزمنة ان تفرغ
مثل الارود والرصاص فباي
شي استط ان احص نفسي
واخص من الوحوش انضارية
فانا اتبصر واتلمع يمينا وشمالا
فما اري فزعا ولا خوفا بالكلية
لا من وحوش ولا من بني
البشر كما هو حاصل في
افريقية والجزيرة خالية من
كل نوع من الذي اعدته
فمن من اخف اذا

فوظبت نفسي وبديت ان اكتب كلما فعلته
وحل بي يوما من يوم صعودي الي هذه الجزيرة
حتي ارتحالي منها

جرنال روبنسن كروزي

في سنة الف وستماية وتسع وخمسين مسيحية
في اليوم الثلاثين من شهر ايلول قدفتي الامواج
الي البر فخرجت علي للجزيرة طفرانا ورفقتي كلهم
غرقوا وبلعهم البحر وما بان لهم وجود

في اليوم الاول من شهر تشرين الاول انشرج
صدري قليلا وانبسطت لما عاينت المركب
شاهلا علي صخرة قريبا من البر

فمن اليوم الاول من تشرين الاول الي اربعة
عشر يوما فيه كنت مشغلا بعمل الاطواف
ونقلت الاشيا التي نالتها يدي وفي طول تلك
المدة كان الهوا مسقعا باردا والارض دايا مبلولة
من النداء الساقط

في اليوم الخامس والعشرين منه هبت رياح
عاصفة وهاج البحر والامواج تعالت كانها جبال
وضربت المركب وكسرتة اربا اربا حتي ان الوسق
الذي فضل فيه عدم كلة وما بان منه شي
سوي الواج من خشب المركب وفي هذا النهار
وظبت الاشيا التي اتيت بها وورصيتها في الكهف
الذي وفقه لي تعالي

في اليوم السادس والعشرين منه جلست للجزيرة
باحثا علي مكان جيد حتي احل فيه فاتيت الي

مكان حسب غاييتي وقت غروب الشمس وهندسته
 في اليوم الثالث من شهر تشرين الاخر اصطدت ثلاثة
 طيور يشبهون الوز ولحمهم نغم يفوق لحم الدجاج
 وبعد نصف النهار هديت لي مايدة حتي اكل عليها
 في اليوم الرابع منه عملت لي نظاما وترتيباً
 جيداً حتي اسلك فيه وذلك اني اقوم صباحاً
 واخذ بندقيتي وادور في الجزيرة مقدار ثلث
 ساعات واصطاد من كلما اراه ويعجبني وبعد
 ذلك ارجع والا ازم شغلي الي الساعة الحادية
 عشرة اي الي قبل نصف النهار بساعة واحدة
 وفي الساعة الحادية عشر اترك عملي واولع النار
 وابدي اطبخ ما تشتهي نفسي وبعد ما اتعدا
 وانبسط انضجع وانا مقدار ساعتين واقوم بعد ذلك
 واغسل وجهي وارجع الي شغلي
 في اليوم الخامس منه اخذت بندقيتي وانطلقت
 لاصطاد فعشرت بقطة برية فقوصتها فما انتفعت
 من لحمها شيئا ابداً سوي انني كسبت جلدها

فكان ناعما كجلد القاقوم فواظبت علي الصيد منهم
وجمعت جلودهم واخيرا عملت منهم كركا فلما
رجعت في ذلك اليوم رايت طيوراً برية واهية
كثيرة الاجناس فاصطدت منها قدر احتياجي
ورجعت الي منزلي محملاً

في اليوم السابع عشر منه ابتديت ان احفر
داخل الشقيفة قصدي ان اوسعها لكي اخيرا
التزمت ان اترك هذا العمل نظرا لنقصاني العدد
مثل المخمل والمعول والزناويل

في اليوم التاسع عشر منه وجدت شجرة شاهقة
وقد عكفت اغصانها وجللت الارض فاهل
برازيل يدعونها شجرة الحديد نظرا لصلابة خشبها
لانه يفوق خشب الشمشار اي البقص والسنديان اي
البالوط فاردت ان اقطعها فخفت علي فاسي لئلا
يتشلم ويتطبق حدة فلاجل عازتي اليها التزمت ان
اتهاون بعددي واقطعها فبدت اضرب بها فاسا حتي
كلت منها قوتي وبالجهد اني قطعتها ولقيتها علي الارض

في اليوم الثالث والعشرين منه التزمت ان
ارجع الي رايبى الاول واكرر الشقيفة نظرا لعازي
اياها ليس فقط ان اوضع كل ماونتي فيها لكنني
ابني داخلها كرازا ومطايخا واوضة للرقاد واستقمت
اعافر فيها واحفر نحو ثمانية عشريوما . وكنت دائما
ابات في الخيمة ماعدا الايام التي تقع فيها امطار
فكنت ادخل وابات في الكهف

في اليوم العاشر من شهر كانون الاول جلست
خارج الشقيفة مسرورا لكوني فرغت من شغلها
ووظبت حاجتي فيها ولما كنت متاملا ماذا اعمل
حتي الهي نفسي سمعت طقطقت وخفقة عظيمة
ظننت ان للجبل قد تشقق فدخلت وقتيذ
الشقيفة فرايت ان السقف قد هبط وامتل الشقيفة
حجارة وترابا فحمدته تعالي اذ اني كنت خارجا
فلو كنت داخلًا لقتلت وردمت بالتراب ولا بان لي
اثر ولا ذكر فباشرت وقتيذ بنقل التراب والحجارة
منها وسطحتها خارجا داخل الحصن الذي عملته .

في اليوم العشرين منه نظفت المغارة جيدا
ووظبت كل شي في مكانه وبديت ان اعمل لي
مايدة عوض التي تكسرت بخسف سقف الشقيقة
في اليوم السابع والعشرين منه طردت ورا
معري وجديين في الجبل فقبضت منهم ثلاثة
وانيت بهم الي منزلي وربطتهم من اياديهم وكنت
احط لهم الاكل قصدي ان يوالفوا علي واخيرا
حليت للجبل من اياديهم وسببتهم فما هربوا لما
راوا نفوسهم سايبين لكنهم استقاموا في مكانهم
غير فازعين مني واين ما ذهبت كانوا يلحقوني
ويربعون وراي * فافتكرت ابي اصعد الي الجبل
واقبض منهم احياء واتي بهم واعلفهم واجعلهم ان
يوالفوا علي نظير هولاء حتي اذا نفدت ماونتي
اذبح منهم واعول نفسي بلحمهم

من اليوم الثالث من شهر كانون الثاني الي
اربعة عشر يوما منه كنت مشغلا في كمال بنا
السور حول منزلي فجزته وانطلقت اجول في

للجزيرة قصدي ان اخوها جيدا فبينما انا ساير
 رايت زغاليل حمام صغار بين الصخور فاخذتهم
 واتيت بهم الي منزلي فكنت ازقهم كل يوم ثلث
 مرات ولما كبروا وطلعت اجنتهم خلفوني وطاروا
 وما رايتهم بعد ذلك * فذات يوم اصطدت بعضا
 من جنسهم فذبحتهم وطبختهم فكان لحمهم لذينا
 جدا لا باس فيه * فافتكرت يوما ان اعمل لي
 برميلا لقضي حاجتي وعمدت ان اعمل واحدا
 فخابطت مدة طويلة فما كان يطلع من يدي ان
 اضبط صنعته لاني بمقدار ما كنت اجتهد واعدل الواحة
 فكانت تهوي ولا تلتم ببعضها نظرا لغشمي بصناعة
 التجارة ولما كنت اركبه ظاننا اني حكمت صنعتي
 فاجربه وامليه ما كان يخبر من كل جانب فتركته
 بعد ذلك واستقبلت ان اصب لي شماعا لانه مضي
 زمان طويل وانا ارقد في الظلمة من غير ضوء * فاخذت
 الشحم الذي جمعته من لحم المعزي وكانت
 عندي خيوط فاخذت منها وفتلت فتايل وصبيت

لي شماعا كثيرة وكل ليلة كنت اشعل واحدة
وارقد في الضو

فلما كنت انخبش بجواحي رايت جرابا فيه
ترابا وتوالي شعير فنفضته خارج الشقيقة مرادي
ان املية بارودا . وقبل ذلك بثلاثة ايام وقع مطر
وافر والارض رانت من كثرة المياه وتلك الشعيرات
انغرزت من غير علمي . وبعد شهر زمان رايت
في ذلك المكان جملة قصلات شعير نابتة فتعجبت
واخذتني الاندهاش لاني نسيت اني نكثت
للجrab خارجا وبعد ما بلغت حملت اثنتي عشرة
سنبله فحفظتها حتي اعمل منها تقاوة . ودايما
كنت اتفحص من اين اتي هذا الزرع هل كانت
مسكونة هذه للجزيرة قبلا اما اتوها اناس وحلوا
فيها . فمن هنا افكرت ان حيوة الانسان ليست
شيا اخر سوي كمثل الاعمي الذي ياكل نصيبه .
وكنت اتامل بزيادة عن هذه الشعيرات كيف
نبتت من ذاتها في ارض بوار فمن عظم جهلي اذ

افتكرت من هو الذي زرعها فاثبت وقتيذا ان
المعجزات لم تنزل موجودة علي الارض فقلت ربما ان
الله امر بنبتها من غير تقاوة لمنفعتي حتي اقتات
منها في هذه الجزيرة المقفرة • حقيقة ان هذا
الامر اثر بي جدا وجعلني اهطل دموعا منسجمة
لتفكري بعظم رحمته تعالى نحوي وكان فمي لم يمل
من تسبحته تعالى علي انعامه المسكوبة علي ولست
اني وجدت هذه السنابل فقط لكني وجدت
ايضا قريبا منها قصلات ارز نابطة فعظم اندهاشي
من ذلك جدا فحتمت في رايي انه لا بد ان ارز او شعيرا
مزروعا في هذه الجزيرة ولذلك اجتهدت وبديت
ادور للجمال واتبصر في الصخور قصدي ان اري
سنبلة واحدة فقط فمارايت ولا واحدة وفيها انا
متفكر بهذا الامر خطري بالي للجراب الذي نكثته
وكان فيه بواقي شعير وارز وللوقت همد فكري
وعرفت حقايق هذا الزرع واصله • وفي غاية شهر
حزيران قشقش الزرع فاتيت وحصدت الشعير

والارز ودقيتها وذريتها وحفظت الغلة حتي ازرعها
ثاني سنة فاستقمت علي هذا المعدل ازرع واحصد
اربع سنين وما كنت اذوق منها ولا حبة واحدة
قصدي ان تكثر التقاوة وازرع زرعاً وافراً . ففي
غاية شهر نيسان كملت بنا السور داير منزلي
وسديت الباب خوفاً لئلا ياتي احد علي او وحش
فيفترسني لاني كنت فرعاً ناجداً فقمت وعملت
لي سلماً حتي اصعد عليه وادخل منزلي . فتنجزته
في اليوم السادس عشر من شهر نيسان ثم اتي
نصبته علي السور ولما كنت اصعد الي فوق حالا
ارفعه الي فوق ولما اريد النزول كنت ادليه الي تحت
وانزل عليه حتي لا احد يستطيع ياتي الي ويدخل
منزلي من غير سلم . فاعمال البشر كلها باطلة اذ
لم يكملها الله فمن هو الذي يستطيع علي الوقوف
لما يبسط يده تعالي ولعمري ولا واحد لاني ذات يوم
وانا داخل باب الشقيقة حدثت زلزلة مخوفة
فهبست ان للجزيرة ارتجفت رجفة قوية وللجبال

صرصرت وترزعت ففرعت انا وركضت الي السور
وصعدت عليه لاني ماكنت عارفا ماذا حدث ولما
صنت قليلا عرفت ان هذه الخضة هي من الزلزلة
ولما كنت واقفا علي السور ارتعدت بي الارض ثلث
مرات متداولة وفي تلك الاثنا انفصلت صخرة
من الجبل وتدحرجت وسقطت في البحر ففرعت
جدما وكنت متوقفا للموت في كل لحظة وكنت
اظن ان الجزيرة لابد انها تغوص في البحر من عظم
الرجفة التي حصلت والذي جعلني ارتغب اكثر
من ذلك هو هيجان البحر لان امواجه كانت تتلاطم
وتتعالى كانها جبال خلاف العادة فقلت انا لله
وانا اليه راجعون اني اخلص من مصيبة فاقع في
مصيبة اتعس واشد منها باسا فاستقامت الزوبعة
ثلث ساعات والارض لم تنزل تختض وترتجف ومن
عظم الريح تقرمت اشجار شاهقة من اصولها وبعد
ما كف الريح اتبعه مطر زخاخ حتي فاضت الارض
وجرت السيول كانها انهر فانطلقت انا حالا الي خيمتي

لاري للحال فوجدت فيها الماء مخاضة فرميت نفسي
وقتيد في الشقيقة وبدلت ثيابي اذا نها نصولت
من كثرة مياه المطر . فالتفت الي منزلي فرايت
ان المياه قد انحسرت فيه وصارت كأنها غدير ومن
خوفي علي السور ليلا يتهور عمدت وقمت ان
احفر وناء اي قناحول السور من داخل وافتح له طريقا
واجعله ينضب الي البحر ففعلت ذلك وكان
الامر كما اردت . فاستقام المطر هاطلا طول الليلة
التابعة حتي الي الضحي العالي فارتايت حينئذ
وقلت لما يمتنع المطر اباشر ببنا اوضة صغيرة
في مكان رحب واحوط بها سورا ثابتا لان سكنتي
ها هنا مخطرة لان اذا حصلت زلزلة مرة اخري
فالجبل يهبط علي الشقيقة ويردمها وربما يقهرني
انا ايضا

في اليوم الثاني من شهر نيسان ابتديت ان
ابني الاوضة التي قلت عنها انفا الا اني اخيرا
امتنعت عنها لاجل ان المجارف والمعاول والقداديم

تطوي حدها نظرا لقطع الخشب وحفر الشقيفة *
فاستقبلت علي عمل اخراي ابي انقر جاروشة
(اي رحي) حتى اطحن بها غلاتي فاستقمت اعافر فيها
سبة كاملة واما تعبي فما كان بنقر حجارتها ولكن
يبرد الفاس وتركيبه * فافتكرت يومئذ عن ماونتي
وقلت ربما تخلص قبل ان اسعي لي بقوت فعملت
لي ترتيبا ابي في كل يوم اكل كعكة خبز فقط لاغير
في اليوم الاول من شهر ايار كانت الدنيا رايقة
والشمس شارقة والريح خامدت فانطلقت الي ساحل
البحر لانزرة وبينما انا متبهنس رايت برميلا مملوا
بارودا ملقيا علي البر والواحا عديدة من خشب
المركب ايضا ملقية علي الساحل فظننت عن
خروج هذه الاخشاب انها من فتك الزلزلة فافتكرت
وقتئذ ان ارفع من بالي بني الاوضة التي حتمت
ان ابنيتها واستقيم لابثا في منزلي
في اليوم الرابع فيه اصطدت سمكا الا انه كان زهكا وكثير
الزناخة وايقظت في ذلك النهار عينه فرخ دلفين

في اليوم الخامس منه انطلقت الي البحر واخذت
قطع خشب من مقدم المركب والالواح التي خلعتها
ونشرتها فربطتها مع بعضها بحبل ولما تعالي المد
طافت وسحبتهما الي البر باعانة الماء

من اليوم العاشر الي اليوم الثالث عشر منه
نقلت من المركب اخشابا مكسرة ومساميرا وافرة
في اليوم الخامس عشر منه اخذت القرمة قصدي
ان اقطع الرصاص المصفحة به بطن المركب
من داخل فما قدرت علي تحصيله لانه كان غاطسا
في الماء

في اليوم الرابع والعشرين منه انطلقت مستعجلا
وخابطت بمقدم المركب قصدي ان انقل اخشابا
الي البر وربما اجد فيه شيئا ما وبينما انا متفكر في
هذا العمل اتى المد سريعا ومنعني عن مرامي وما
لحقت يدي ان تفعل ادني شي وفي فيضانه قذف
الي البر جملة براميل مع صناديق البحريين وفي ذلك
النهار ما اخذت شيا سوي اخشاب مكسرة

فاستقمت بعد ذلك اكسر به واعافر الي اليوم
الخامس عشر من شهر حزيران من غير بطالة سوي
انني كنت امتنع عن الشغل في وقت الاكل واحيانا
اجلس استريح قليلا ثم اعاد الي شغلي ايضا فجمعت
رصاصة من بطن المركب كناية عن مائة صفيحة
ماعد الواح المركب وقواية والخشب المكسر

في اليوم السادس عشر منه انطلقت الي الساحل
لاتنشط وفيها انا ماشي طيب النفس رايت زحلفة
فسرعت اليها وقبضتها وهذه اول زحلفة اني
رايتها في هذه الجزيرة وبعد ذلك انطلقت الي
الناحية الاخرى من الجزيرة فوجدت مثلها كثيرا
وفي اليوم الثاني نظفتها وغسلتها ثم طبختها فكان
لحمها لذيذا جدا ما اكلت مثله ابدا منذ صرت
في العالم اذ انه كثير الدسومة لا باس به

في اليوم الثامن عشر منه استقمت داخل الشقيقة
محبوسا لكثرة الامطار التي هطلت وفي ذلك النهار
حصل برد شديد وسقعة لا توصف

في اليوم التاسع عشر منه وقعت مريضا من
البرد وما استطعت ان اخرج خارج الشقيفة طول
النهار وفي تلك الليلة التابعة ما استطعت ان
انام من صعوبة الحمي والوجع

في اليوم الحادي والعشرين منه ثقلت جدا
وتلخبط مزاجي واحيانا كنت اسهي ولا اوعي علي
حالي ولما اصحي من غشوتي كنت اعطي من
الضعف قوة واصلي لله حسب امكاني وابتهل اليه
ان يلمسني برحمته ويشفيني من علتي

في اليوم الثاني والعشرين منه حصلت علي
راحة فكر وفقت من عياي قليلا ومن اليوم
الثالث والعشرين منه الي اليوم السادس والعشرين
كنت اتعافي قليلا ثم ارجع الي ما كنت
حاصلا عليه من العيا وكانت الحمي تاتيني وتردني
وبعد ما تفارقني كنت اشعر ان كل مفاصلي
تفككت ومن ضيقتي كنت ابتهل الي الله هكذا
قايلا يا الاهي ومولاي الضابط الكل علة كل شي

واصلة ذو الجود الغير المحدود والخير العديم الوصف
انت الاله الذي لاتبغض شيا مماخلقته بل تحب
جميع اعمال يديك لاسيما نحن البشر الذين اظهرت
نحونا غور محبتك الغير المبحوث عن اثرها ارحمني
وهبني الشفا الكامل الانى مقطوع وعديم الانس
فلا تواخذني يا الهى بخطاياى ولا تجازني حسب
افعالى الدنسة لان رحمتك واسعة جدا ابسط
يمينك على عبدك واعطني المعونة لان رحمتك
افضل من ساير الادويا والعلاجات التى نستعملها
وقد سلمت امرى لك وانت دبرنى حسب ايثارك
فبعد ما انتهيت من صلوتى وابتهالى للهِ تعالى
انضجعت ونمت وفي تلك الليلة اتانى عرق العافية
ولما استيقظت رايت حالى مجبولا في العرق
فاخذت وبدلت ثيابى وتحزمت وجلست وانا
جوعان لهشان لانه صارت لى جملة ايام ما دخل
فى فمى ادنى شى فقممت وقتين واخذت جديا
رخسا وفجته واخذت رقبتة وسلقتها وكنت

اشرب من مرقتها فسندت قلبي قليلا وبعده طبخت
من لحمه يخني واكلت ومن ذلك الوقت حسيت
ان العافية بدت تدب في ولما كان الغروب رايت
ان مزاجي تلحبط والنوم طار من عيني فخفت ليلا
ترجع الي اللحمي مرة اخري . فافتكرت وقتين ان
اهل برازيل يستعملون التتن لاجل هذا المرض
ففكرت صندوقا قصدي ان اخذ تننا قليلا
فوجدت علاجين الواحد لنفسي والاخر لجسدي
وهواني وجدت تننا وكتابا من الكتب المقدسة
التي وجدتتها في المركب لاني الى ذلك الوقت ما
افتكرت عنها نظرا لانها كي في الشغل ونظام
عيشتي فاخذت الاثنين اي الكتاب المقدس
والتتن وجلست علي فرشتي وبديت اجرب
كيف اني استعمل هذا التتن لاني كنت
مستجھلا معاطاته . فاخذت ورقة واحدة ومضغتها
ولصعوبة التتن داخ راسي واخيرا اخذت ورقة اخري
ووضعتها في كباية وسكبت عليها عرقا وبعده ما

انتفعت جيدا اخذت ذلك العرق وتمضمضت
 به وشربت منه قليلا وقبل ما انضجع اخذت ورقة
 اخري واقيتها في النار وكنت اتبخر في الدخان
 الذي يصعد منها حتي تعبق وجهي ومنخاري
 من الدخان وحالا لفيت رقبتني وراسي جيدا
 وذهبت الي فراشي وتمددت حتي انام قليلا واذا
 كنت لم اجد راحة ولا استطع ان اغمض عيني
 نهضت قائما واخذت الكتاب المقدس وبديت
 اقرا فيه وبينما انا اقرا انت هذه الآية قدامي
 ادعني في يوم حزنك فانقذك وتمجديني *
 فهذه الآية اولا اثرت بي لكني ازدريت بها عاجلا لأن
 عقلي ما قطعها لما تأملت بكلمة انقذك فهذا
 الايقان كان غريبا مني * وقلت كما قالوا الاسرايليون
 لما وعدوا ان ياكلوا لحما هل يقدر الله ان يهيي
 مايدة في البرية * وعلي ذلك النحو بديت اقول
 هل يقدر الله ذاته ان ينقذني من هذه الجزيرة
 الخالية من ساكن ولم تزل تلك الجملة مرددة

في فكري وبعد ذلك ازدحمت منهاجدا وقلقت .
 فالتن والعرق اثرا في دماغي وجلبا علي نعاسا
 ثقيلًا فطلبت ان انضجع وانام وقبل ما رقدت
 جثيت علي ركبتي ساجدا وطلبت منه تعالي
 جلت اسماءه ان يكمل وعده الذي وعد به في
 كتابه المقدس اي ادعني في يوم حزنك فانقذك
 وتجدني وانه وفقني ان اراه واطلب منه . ثم اني
 ملت الي الكباية وشربت قليلا من العرق الذي
 نقت فيه التين وتصطحت علي فرشتي فوق علي
 سبات ونمت نومة ثقيلة وما انتبهت بعد نصف
 النهار بثلاث ساعات فحسب ظني اني نمت
 يومين فنهضت من فراشي وغسلت وجهي
 وانا مبسوط وطيب للخاطر جدا والمغص الذي
 كان قابض علي ليلة امس فك عني وتلاشي
 بالكلية وحسيت بنفسي اني جوعان فاخذت وقتين
 اللحم الذي ملحته ليلة امس وركبت وطبخت
 يخني وارزا وعملت ايضا سفودين كبابا لا باس بها



ادع في يوم حزنك فانتقذك

فمدت السفرة بعدما استوا الطبخ وتهدا واكلت
وزال عني ضيبي والي

في اليوم الثالث من شهر تموز فارقتني الحمي
الا اني لم ازل ضعيف القوة ومالي مروة ان اتحرك
من مكاني ولما كنت في هذه الحالة ضعيفا ومتاوها
كان يخطر علي بالي ذلك الكلام اي اني انقذك
واحيانا كنت ازدرى بهذه العبارة واقول ان ذلك
هو من الممتنع واحيانا كنت ايقن لما اتذكر كيف
اني خلصت سابقا من بلايا عظام اصعب من
هذه الحالة واني خلصت من فم الموت الضريع ولما
كنت متبحرا في لجم هذه الافكار ومتعمقا بها
خاطبت نفسي هكذا قايلا ما هو فضلك علي الله
اما تذكرين انعامه التي سبغها عليك ولم ترل
منفاضة حتي هذه الساعة اولاء انه خلصك من
اسر العبودية ثانيا من المخاطر التي كانت راصدة
لك والبحر الذي كان مستعدا ان يلقمك ثالثا
اعطاك قوتا وافرا حتي تغتدين منه وتتمتعين

فاخبريني الآن هل انك مجدّية وعظمتيه لاجل
انعامه واحسانه التي لم تبرح ملازمتك وحنوه
الثريد المفضل عليك فاذا ما اقتنعت من هذه
الامور فكيف تستظرين الي اعظم منها فواجب
عليك ان تشكري الله علي انعامه المسكوبة
عليك حتي يلمسك ويمسك الشفا الكامل وبعد
ذلك ان شاء فينقذك

في اليوم الرابع منه قمت صباحا واخذت الكتاب
المقدس وفتحت العهد الجديد وطفقت اقرا فيه
فاخذت راحة وتعزية لما قرأت وتاملت في كلامه
وعلمت لي قاعدة ان كل يوم اقرا اصحابين
كاملين الوجد صباحا والاخر عشية قبل ما
اذهب وانا فاسترحت بهذه القراءة من افكاري
وقلتي وحصلت علي رجا ثابت ولما تعمقت في
القراءة وتفطنت معانيها بعد ان لهجت فيها
مرارا متوالية اثري الكلام وجميع افكاري النجسة
فارقتني حتي ابي اخيرا طلبت ان اسلك طالما انا

حي في التقوي والعفافة وعبادة الله تعالى من غير
تكد ولا تمرر وبعد ذلك طلبت منه تعالى ان
ينور عقلي ويساعدني بروحة القدوس حتي الازم
التقوي واثبت فيها واعبده الي اخر نسمة حيوتي
فذات يوم وانا اطالع الكتب المقدسة وجدت
مكتوبا هكذا انه رفعه بيمينه راسا ومخلصا لكي
يوتي التوبة ومغفرة للخطايا . فطبقت الكتاب
حالا عند ما شاهدت هذه العبارة وفتحت يدي
الي السما ضارعا وصرخت باعلي صوتي قايل يا يسوع
بن داود الذي ارتفعت راسا ومخلصا امنحتني
توبة فعالة حتي انجو من بحر ذنوبي وشكوكي
فسقطت علي الارض جاثيا بعد ان فرغت خطايي
وشرعت اصلي لله تعالى بقلب محتر وشكيت له
امري وعند ذلك خطر في بالي ذلك الكلام اعني
ادعني فانقذك اي انقذك من حمل اثامك ورجاستك
الباهظة تلك التي اكتنفت نفسي الذليلة البايسة
وليس انه ينقذني من وحدانيتي حسب ما فهمت قبلا .

واخيرا اقتصرت هذا الامر اي ان الخلاص من
الذنوب والجرائم هو اعظم من الخلاص من البلى
والمصائب

في اليوم الرابع عشر منه اخذت بندقيتي
وتنقات قليلا قليلا نظرا لضعفي لاني ما ملكت
صحتي تماما ولم تنزل بعض الالامات باقية في مثل
وجع المفاصل ورخي الاعصاب وصداع الراس
فاشكر الله ان للهي انقطعت عني بالكلية وما
عاودت الي مرة اخري . والذي كنت اتفكر فيه
كان كله جديدا لان افكاري القديمة نظرا لقيامي
وحدي في الجزيرة راحت عني وكنت اتسلي في
المواعيد التي وعد بها تعالي . فما بالغت جدا ذلك
اليوم في المشي خوفا لئلا تحصل لي نكسة من شدة
الريح التي كانت هابطة في ذلك، النهار خصوصا
من التعب فرجعت بعد قليل الي محلي وانا احس
ان العافية بدت ان تدب في
في اليوم الخامس عشر منه قمت صباحا

فحسيت ان بقية المرض الذي كان ملازمي ليلة
امس زال عني بالكلية وما كنت احس بادني
وجع ورجعت الي صحيي الاول وعند ذلك
شكرت الله تعالى ثم قمت فطرت ونزلت الي
ساحل البحر واتيت الي الوادي المتصل بالبحر
حيث قدمت الاطراف التي اتيت بها من المركب
وبعد ذلك ابتعدت قليلا جايلا في الجزيرة
فتقدمت الي ناحية البحر وهناك وجدت من العلام
الذي عملته ان الهد سافحا علي الهر مقدار ميلين
ثم اتي انعكفت من الشاطي وتوجهت الي ناحية
اخرى ابدا ما انطلقت اليها من يوم خروجي
علي هذه الجزيرة فجيت الي مرج مخضر والمياه
العذبة سافحة عليه فانشرح وقتيذ صدري عند ما
تنشقت رايحة الزهور المفتحة في تلك البقعة فبعد ان
جلست قليلا واسترحت من تعبتي قمت ومشيت في
تلك الروضة فوجدت تنانيبا بين الحشايش
والزهور فاخذني العجب من ذلك ورايت

ايضا نباتات جزيلة غريبة مني معرفتها ولا افهم
خواصها انها للاكل او للدوية . فبحثت عن عرق
الشريس الذي يستعملونه الهنود ويعملون منه
خبزا فما وجدت له اثرا ابداء ورايت شجر
العود والند والكافور شيا لا يحصي ورايت ايضا
قصب السكر لكنه مهزول وقليل الريانة لقلة
حرائته وسقيه ورايت ايضا نباتات جزيلة من
كل جنس نافعة . فلما امسى الوقت لزمت طريقي
واستعجلت في المشي واتيت الي منزلي ونمت
تلك الليلة متهنيا مبسوطا

في اليوم الثاني الواقع في ستة وعشرين يوما
من الشهر قمت صباحا كمثلي عادتي ولزمت
طريقي بعد ان تريققت ومضيت في الطريق الذي
سلكت فيه نهار امس وفت المكان الذي وجدت
فيه تلك الاشجار التي وصفتها ودمت سابرا الي
ان اتيت الي مكان فيه روضة زهية كثيرة النباتات
والزهور والاشجار عاكفة اغصانها كانها جنان

النعيم ومن كثرة الاشجار ولزها صارت كأنها غياطل
 عاصية فرفعت للحاظي الي فوق فرايت الاثمار
 معلقة علي اغصانها من كل جنس وقد جاء اوانها
 ونضجت ورايحتها كأنها عطر زكي فحمدت الله
 تعالي علي انعامه التي سبغها علي فقلت اين انا واين
 هذه الاثمار ومن هو الذي زرعها وهياها الي حقيقة ان
 العبد ما ياكل الا رزقه فمشيت قليلا فرايت
 بين الاشجار شتولا حاملة بطيخ مكاي وسمرقندي
 وفريدوني وعبد اللاوي كلها نابتة دني من غير
 سقي ورايت ايضا اشجار عنب واهية من كل
 جنس وقد عرشت علي الشجر الاخرة وعناقيدها قد
 نضجت والعنب كان عظيما جدا كل عنبه بقدر
 الباهم • فلا احد يقدر يصف الفرح الذي شملني
 عندما رايت هذه الخيرات التي ما تخطر علي قلب
 بشر انها توجد في هذه الجزيرة فطفقت اقطف
 واكل كمثل المدهوش لانني صار لي زمانا مديدا
 ما دخل في فمي ادني ثمر فخفت بعد ما اكلت

قليلًا لئلا يتاتي لي حي من اكل الثمر الكثير
فافتكرت وقتين ان الثمر الذي اقدر ان ايبسه
فاقطعه واسطحه في الشمس واحفظه للشتا فشملت
وقتين ذراعي مجتهدا جدا وبديت اقطف من
العنب الناضج والتين المفلح واسطحه في الشمس
ولما كنت مشتغلا في قطف الثمار امسي علي
النهار ومالت الشمس الي الغروب واذا اني ما لحقت
ان ارجع الي منزلي سعدت علي شجرة شاهقة
وبت عليها وهذه اول ليلة اني بت خارج منزلي
فلما طلع النهار واشرفت الشمس نزلت من علي
الشجرة وانا مشروح للخاطر وقصدت ان ارتحل من
هذا المكان فلهرمت كتف الوادي الذي كان هناك
ودمت سايرا مقدار اربعة اميال واخيرا اتيت
الي ارض رحبة واسعة كثيرة الاشجار والزهور اضرب
من الارض التي كشفتها اولا وثانيا وفم الوادي كان
متصلا بهذه الارض واذا ات الامطار فمياه للجبال
تنضب في الوادي وتفيض علي هذه الروضة

واخيرا تشعب في البحر ° ووجدت هناك ينبوعها
عذب رايق كانه زلال خارجا من صدر الجبل المقتفي
بظهر الوادي وسايرا ناحية الغرب ففرح قابي جدا
بوجودي هذه الروضة لاسيما لصحة مناخها وكثرة
مياها والارض كلها مخضرة كأن جنابني فلحها
وسقاها ° فدخلت وقتين في وسط الاشجار متمليا في
انواعها واجناسها فرايت شيا جزيلا من شجر
الچكولاته والبردقان والليمون الحلو والحامض والترنج
لكنه غير مستوي فقلت هذا هو قصدي اني اصبر
عليه لما ينضج فاقتطف منه واعصره واعمل منه
شربات واشرب وارطب فوادي به ° فقطفت قليلا
من الليمون الحامض وعنبا مقدار ما استطعت علي
حملة واتيت بالكل الي منزلي بعد ما غبت ثلاثة
ايام في هذه السفرة ثم اني اخذت العنب ونشرته علي
ظهر الصناديق قصدي ايبسه واحفظه للشتا
وفي اليوم التاسع عشر منه قمت صباحا
واستعديت ان انطلق الي الروضة فاخذت صعبتي

زكيتين (اي جوالقين) قاصدا الانطلاق بها الي الروضة
حيث نشرت العنب طائنا انه يبس وصار
زبيبا فاعبىه للوقت واتي به الي منزلي فتسلمت
طريقي واتييت الي الروضة فوجدت العنب الذي
نشرته قد انداس وتلوخ واكل منه كثيرا فقلت
لابد من وحش كبس هذه الارض وفعل هذا
الفعل فاحتلت وقتين حيلة ونويت ان اقطف
عنبا غير ذلك واعلقة علي اغصان الشجر حتي لا
يستطيع وحش علي الدنو منه فقطفت وقتين
عنبا واهيا كما حتمت وعلقت علي اغصان الشجر
قبال الشمس حتي يجف ويبس عاجلا وقطفت
ايضا من العنب والليمون والتين واخذتهم صحبتي
الي منزلي

وفي الغد افكرت عن هذه الرياض الزهية
وامكنتها وكيف انها مستحكمة في وسط جبال ممنوعة
عنها الريح العاصفة واشجارها قد عكفت واني ساكن
في ارض خراب مقفرة خالية من الاشجار وقليلة

النباتات فافتكرت ان ارتحل من هذا المكان
البائس واعمر شقيقة اخري في قلب للجبل الكاين
علي لحف الروضة وفيما انا متفكر عن هذه المادة
تغيرت ارادتي وقلت ان السكنة هنا وان كانت بايسة
الا انها خير لي من الفراديس نظرا لاكتشاف البحر
لان من هناك ما استطيع ان اراه فاذا مر مركب بهذه
النواحي مرة ما او ترميه الريح هاهنا فابصره واخلص
نفسي من هذه الجزيرة وان انطلقت هناك وقدم
مركب الي الهر فما اجدته فاستحسننت هذا الراي
واستقمت لابثا في مكاني القديم ونصبت لي خيمة
صغيرة في الروضة حتي اجلس فيها في النهار
في اليوم الثالث من شهر اب جمعت العنب
الذي نشرته علي الشجر اذ نشف وصار زيبا
عظيما فعبيته في الزكايب ونقلته الي منزلي
ووضعت في الشقيقة وحفظته للشتا

في اليوم الرابع عشر منة بدت الدنيا تغم
وبدا المطر يهطل كانه مرازيب منحدرة ولذلك

ما استطعت علي الوقوف في تلك الخيمة التي
نصبتها في الروضة من اجل ان الماء سري داخلها والريح
اشدت وكادت تقطع اطنابها وتمزقها فالتزمت
حينئذ ان ارجع الي منزلي واتاوي في الشقيفة الي
ان يكف المطر فتوجهت والمطر يصب علي
واتيت الي الشقيفة وثيابي تنصّل من المطر
وانا في حال العدم فخلعت ثيابي المبلولة ولبست
ثيابا اخري ثم ان المطر استقام هاطلا من ذلك
اليوم الي نصف شهر تشرين الاول من غير انقطاع
احيانا يثقل وينزخ واحيانا ينفذ رفيعا وفي تلك
المدة المديدة استقمت اكثر الاوقات داخل الشقيفة
من غير ان اخرج خارجا

وفي اليوم السادس والعشرين منه كف المطر
قليلا فاخذت بنديقي وصعدت علي للجبل وبينما
انا جابل رايت جديا رخصا فقوصته واتيت به
الي منزلي فذبحته وسلمخته وملحته وبعد ما خرجت
ايضا مرة اخري وذهبت الي ناحية ساحل البحر

وجدت سحلفة عظيمة كبيرة للخلقة فجريت اليها
 واتيت بها ايضا الي منزلي فذبحتها وملحتها وكان
 لحمها دهينا جدا فعملت قانونا لالكي هكذا اني
 اقوم صباحا واخذ كمشة زبيب وجوزا وكعكة
 خبز وافطر بها وفي نصف النهار اسلق لي لحما
 من لحم الجدي كان اما من لحم السحلفة واطبخ
 من الذي يكون عندي حاضرا وكنت كل يوم
 اشكل غداي من هذه الطبخانات مثل حامض
 حلو وخليه ولبن امة ومحشي وقرعية وسفرجلية
 وملوخية الخ وفي العشية كنت اسخن الطبخ الذي
 يفضل من الغدا واسلق لي ايضا كم بيضة من
 بيض السحلفة واتعشي واشكر الله تعالى واستقيمت
 علي هذا المعدل اياما متوالية وطالما كان المطر
 هاطلا وانا محبوس داخل الشقيقة كنت كل يوم
 اشتغل ساعتين او ثلث ساعات في حفرها
 وتوسيعها وفتحت لها بابا اخر اتجاه السور حتي ادخل
 واخرج منه فما كنت اعرف من اي شي انا مضطرب

وخايف لاني ما وجدت ولا وحشا ضاريا ابدا فاعظم
الوحوش التي شاهدتها هي الجديان والمعزي
فاكتشفت علي ازمئة الصيف والشتا واطلعت
علي حسابها وعرفت زمان النرع والحصاد ثم اني
فلحت لي ارضا وصالحتها واخذت تقاوة الشعير
والارز وقسمتها نصفين فالنصف الواحد رفعتة وخبيته
ونصف الاخر بذرته واما النصف المبدور فحاس
جوا الارض وما نبت زمانا طويلا وما كنت اعرف
العلة من اي شي وبعد مدة طويلة نبت بعض
منه والبقية تعطن وغري

قاستحسننت رايا في شهر شباط ان ايجت عن
ارض مخصصة تكون قريبة من منزلي وافلحها
وازرعها زرا وخريا فحظيت بارض جيدة حسب
غايتي واخذت بقية التقاوة التي استحفظت عليها
وبدريتها كلها واستقام المطر بعد ذلك هاطلا طول
شهر شباط ونيسان فشبعنا الارض من المياه وبعد
ذلك لقمحتها الشمس اياما متوالية فنبت النرع

كله خير من الذي زرعته اولا . فبعد شهر زمان
رايت ان الوقت موافق للزراعة اما انا فقد كنت
خلفت سابقا من تقاوة الشعير والارز فاتيت وفتح
لرضا مخصبة صغيرة وبدرت فيها تلك الحبوب
التي خلفتها فمن غير شك نبتت كلها وصارت زرا
عظيما كانه مزروع في الشتا فمسكت هذا المعدل
كل سنة ازرع مرتين واحصد حصادين

فقد كنت قلمت اغصانا من شجر الصفصاف
سابقا وشتلتها حوالي منزلي فنبتت بسرعة
وبعد ثلث سنين صارت شجرا عالية تزهى القلوب
من رويتها فلما رايت كيف انها انتشت اردت
ان اقليم غيرها واشتلها حتي تكون امامي خضرة .
فازمنة هذه للجزيرة منقسمة الى صيف وخريف
وشتا وربيع كما في بلاد اوروپا واسيا وافريقية
لكنها متغيرة لان الجزيرة كايئة في جنوب خصال استوا
فالزمان الذي يقع فيه النداء يصدف احيانا
انه اطول من بقية الازمنة او اقصر منها فكنت

انا دائما اعتني واجمع قوتي في الايام الصيفية واذخرها
 لايام الشتا التي لا استطيع ان افعل فيها شيا ولما
 كان يكثر المطر وتشتد السقعة كنت اغلق باب
 الشقيقة واولع النار ليللا ونهارا . ولما كنت افرغ من
 عملي في الكرم ومن حرث الارض وقطف الاثمار
 وحصد الغلة ودقها كنت اميل الي عمل اخر
 واشغل يدي فيه . فاولا اتي جربت نفسي واردت
 ان اعمل لي زنبلا فجمعت الشطبان من شجر
 الصفصاف ونظفتها من الورق وعطنتها في الماء
 جملة ايام حتي لانت جيدا فاخرجتها وعملت منها
 زنبلا عظيما وكان ينفعني لكل شي مثل جلب
 الفواكة ونقل الغلة فيه وما اشبه ذلك . فاما هذه
 الصنعة فتعلمتها منذ صباي حين كنت في بيت
 ابي في مدينة يورك حيث كان قريبا منا اناس هذه
 صنعتهم فكنت انطلق الي عندهم قصدي التفرج
 علي شغلهم وكنت اتامل جيدا كيف انهم
 يشتغلون ومن كثرة ولعي في هذه الصنعة تعلمتها

الا اني ما تقنتها وكنت بعض امرار اشتغل معهم
علي قدر فهي فانغرسست هذه الصنعة في ضميري
وفي ايام العارة نفعتني ولما كنت اقصد ان
اعمل زنبيل او مكبة فكنت اتاذي جدا نظرا لقلة
العدد ويدي صارت عوض العدد . وفي اليوم
الاخير انطلقت الي الغيض فوجدت اشجارا
مناسبة لغايتي فقطعت مبلغا من الدناخيش
وفسخت منها الشطبان ونظفتها وعطنتها في الما
جملة ايام حتي لانت جيدا ثم اتيت بها الي شقيفتي
وبديت في الشغل فصنعت لي من هذه الشطبان
سراريد ومكبات ومشنات ومقاطف وزناويل
وسلات وسرايل وطبقيات وكفات لتلميع السمك
واشيا اخري التي تتعلق بصنعة نساجين المكبات
والمشنات . حتي اني اخيرا كنت احط في هذه
الاشيا التي نسجتها كل ماونتي وخيراتي

فاستقمت مداوم للحرثة والزرع والقلع وغرس
الاشجار وتقليمها وما اشبه هذا العمل . وفي تلك

الاثنا وانا اعزق الارض خطري بالي اني لما خرجت
الي هذه الجزيرة نويت ان اخمها كلها وما اترك
مكانا الا وانطلق اليه فنويت ان اكمل قصدي
فاجتهدت واخذت بندقيتي والفاس وكعكتين
وحفنتين زبيب ومليت للجراب بارودا واخذت كم
رصاصة مدرهمة ومليت جرابا اخر خردقا واتكلت
علي الله وترجعت في طريقي. فلزمت الطريق من
نصف الجزيرة مستعدلا الي الناحية الشمالية ودمت
سايرا مشوارا طويلا واخيرا اتيت الي ساحل البحر
من الناحية الغربية التي قصدتها فصعدت علي
تل عال مستعكما علي ساحل البحر وكان النهار
رايقا جدا لا فيه ربح عاصفة ولا سحب فتطلعت
امامي في وسط البحر فبان لي من بعيد ارض
بعيدة من جزيرتي مقدار عشرين او ثلاثين ميلا
فما كنت اعرف جيدا انها جزيرة اما بر واسع
او انها مسكونة ام لا فتحيرت وقتيذ وقلقي ضميري
كيف اني اعمل حتي انطلق اليها فارتايت للوقت

وقالت ربما انها قسم من اميريكا فلمت نفسي وقتئذ
علي بطي همتي كيف اني ماجلت للجزيرة اولا
وخلصت من هذه الوجدانية الواقع انا فيها
لاني انا قريب من الناس ولا اعلم . فعزمت
ان اعمل لي طريقة وافر من هذه الجزيرة
التي صارت حبيبي لاني في كل ساعة اترقب
للخلاص منها فنويت ان اربط طوفا واضع
فيه الشي اللازم واذهب اري البر جيدا وفيما
انا متفكر كيف اعمل تغير رأيي وقلت
اقف عندك ولا تفعل هذه للجهالة لئلا تبعد
لان لو كان هذا البر الذي اراه انه اميريكا
لكانوا مراكب الاصبانيولين دائما يسرون في
هذه الاقطار ولا ينقطعون وفي الاقل اني كنت
ابصر مركبا واحدا فقط فالان انني لي
هاهنا مدة مستطيلة فما وجدت ولا مركبا
فعجبنى هذا التخمين واستنسبت رأيي . ثم اني
قلت ان كان هذا البر ليس هو اميريكا فحقا انه جزيرة

من الجزاير التي يسكنوها الغيلان ؟ فامتنعت
من عزمي الاول اي اني لا اذهب فلزمت وقتين
الشاطي ومشيت قليلا وانا متنقل علي قلة مهلي
وبعد جملة دقائق اتيت الي ارض قريبة من البحر
وهي احسن جدا من الغياض والجنائن التي بالغت
عنها ونظرا للكبر فانها كبيرة جدا ومتسعة بمقدار
ما تمد عينك وانها مخضرة وقد اشتبكت
لحشايش والنباتات مع بعضها وغلبت عليها الزهور
من كل شكل وقد امتلت الارض من رايحتها
الفكية تفوق رائحة العنبر والعود وقد عكفت
عليها الاشجار وناغت فيها الطيور والقمرى والهزار
ورابت من طيور الببغال ما لا يحصى عدده
فتحارفت علي واحد واردت ان اقبضة حيا فما

؟ الغيلان هم اناس ياكلون لحوم البشر كمثمل الوحوش وقد يوجه
منهم كثيرا في بلاد العبيد وقد قالوا البعض انهم لهم اذناب في
اخر صلبهم فوق خواتمهم طوله اصبع او اصبع ونصف واخرون
قالوا ان اكل لحم البشري ليس هو من فاعلية الاذناب ولكنه
عادة اعتادوا عليها العبيد القايهين في البراري وروس الجبال
كمثمل البهائم والوحوش

كان بطالسني فدمت اجري وراه الا انه كان ثقيلًا في
طيرانه ولما اني مللت من الجري وراه واتي رايت
انه من المستحيل ان اقبضه حذفت فيه عصا كانت
في يدي فطرحته وسرعت فمسكته وبعد قليل
رجعت اليه ووجهه ووعي فاخذته وانا فرحان به
جدا وانطلقت به الي منزلي وكنت كل يوم اضع
له الاكل واعلمه الكلام حتي اتنادم معه واشرح
خاطري . فذات يوم اخذت بندقيتي كعادتي
وصعدت علي جبل قريب من منزلي فرايت
ارانب وثعالب شياماله عدد ولا حساب فاصطدت
بعضا منهم الا اني ما انتفعت من لحمهم لان نفسي ما
كانت تشتيه لكثرة لحم الجديان والطيور والسحالف
والربيب والجوز الذي عندي وكنت كل يوم انظم
مايدي من اشكال الطبخانات التي اخترعها
واطبخها . فاعتدت يوما ان لا امضي بعيدا من
منزلي سوي مقدار ميلين فقط وان لا اتباطي اذا
ذهبت خوفا ليلا ياتي مركب بغتة فما اراه

واستقيم محبوبا هاهنا وكانت عينتي حادثتين دائما
 ناحية البحر مترقبا الي مركب ما مسافر وكلما كنت
 اعمل عملا قليلا فاقوم واتشرف علي البحر داعيا
 ياربى سهل امري وسخر مركبا ان ياتي هناوياخذني
 فبزلت يوما الي شاطي البحر وانا حامل بندقيتي
 حتي امشور قليلا فابةعدت مقدار ميل ونصف
 من منزلي واتيت الي ارض رحبة واسعة لا فيها
 تعلقة ولا نصوة وفيها صدف من كل جنس ملونا
 ومشكلا ورايت فيها سمالف وافرة منها راقدة
 ومنها سارحة ورايت ايضا طيور مجنسة حتي اتي
 ما كنت افهم اجناسها كلها فنويت ان اصطاد بعضها
 منها الا ان نيتي تغيرت وقلت اني استبقياها
 ذخيرة لي فاذا خلص قوتي وما بقي عندي شي
 اقتات منه للوقت اصطاد منها واتنعم وفي رجوعي
 رايت جديا راعيا في تلك الرحبة فجريت وراه ان
 اقوصه فمن عدالة الارض ما استطعت علي القرب
 منه حتي اقوصه هينا فدام جاريا وانا طارد وراه

الي ان حصرته في حضيض الجبل ثم عدلت
عليه البذقية وقوصته

فمقدار ما انشرفت بجولاني في هذه الجزيرة
فعلي ذلك النمط انبسطت من منزلي مع انه
كان مستحكما في اردي مكان من الجزيرة وارضه
قفرة ومهجورة فداومت سفري بعيدا من منزلي
مقدار اثني عشر ميلا الي المكان الذي عملت فيه
رابية (اعني كوم من حجارة) علي شاطئ البحر
لاجل العلامة . فنويت في سفري الاخير ان اسلك
ماشيا قاطعا في وسط الجزيرة الي ان اتي الي جانبها
الاخر . وبما اني عرفت الجزيرة جيدا ما كنت اتيه
فيها وبمقدار ما اغيب كنت ارجع مستعدلا الي
منزلي . فذات يوم نزلت الي واد عميق قد عكفت
فيه الاشجار وصار كانه زور عاص ومن كثرة
الاشجار ولزها ما استطعت ان اعرف الطريق واخيرا
لحذت الشمس دليلي وخلصت منه . وفي تلك
الاثنا رايت ان الريح قد اشتدت والسحب اتصلت مع

بعضها واحتجبت عني الشمس ففرغت ليلا تمطر
 علي وانا في الخلا • فاستعجلت علي الرجوع وانا
 لا اعرف الي اين متوجه لاني انخوذت ثم اني ارتليت
 وجعلت البحر مقابل وجهي ودمت سايرا حتي
 دركت الساحل ومن هناك اتيت الي الخيمة
 المنصوبة في الروضة قبل ان تمطر علي وبعد قليل
 همدت الريح وراق للجو والشمس اشرفت كما كانت
 فخرجت من مكاني • اما كلبني فنهش جديا من
 الجديان الذين اعلفهم واراد ان يفتسه ويأكله
 فجريت اليه وخلصته من فمه وعلي حسب ظني
 انه افترس جديين سابقا واكلها مع اني تعبت
 جدا بعلفها وكنت اصب لها الما واسقيها حتي
 يكبران ويوالفان علي وكنت مترجيا اذا نفدت
 ماونتي فاذبحها واقتات بلحمها حسما كنت
 ناويا من البدء فاحتमित غضبا علي الكلب
 وقمت عمات له طوقا ووضعتة في رقبتة واخذت
 حبلا وربطته في شجرة قبال خيمتي في الروضة وبعد

ما قضيت شهرا واحدا في هذه الغيبة تسلمت
طريقي ورجعت الي منزلي

فلا واحد يستطيع ان يصف ابتهاجي وانتفايي
لاني لما رجعت الي شقيفتي طرحت نفسي في
الديدية التي عملتها سابقا الا اني ما خبرت عنها
انفا واستقمت مرتاحا في شقيفتي ست ايام وفي
هذه المدة شغلت يدي وعملت قفصا للبيغال
ووضعت فيه . وفي اليوم السادس افتكرت
بالجديان والكلب لاني طرحت لهم اكلا يسيرا
واما الماء فكان كثيرا عندهم قمت حالا وانطلقت
قصدي ان اتي بهم الي منزلي فلما وصلت الي
هناك وجدت الكلب جايعا جدا وبدا ينعوص
ويهرز بذنبه فحليته وناولته لحما مسلوقا وطرحت
له عظاما واهية وربطته مشما كان . فمن
ذلك الربط تاب واعتبرني جدا وبعد ذلك صار
وديعا وكان يرافقني اينما ذهبت ولا كان يفارقني
ابدا ولا ياكل شيئا لم ارم انا له شيئا فياكل

فدركني الحريف وبدأت الأمطار تهطل وأنا
أخذت حذري من شهر أيلول وجمعت من الثمر ما احتاج
إليه في زمان الشتاء وخزنته كله في الصناديق
وقفلت عليه • فقممت في ذلك النهار وخررت
ساجدا علي الأرض وقدمت الشكر لله تعالى علي
أفعاله الكلية المقدار التي فعلها معي وكيف أنه
عالي في هذه الجزيرة الخالية من البشر وأكفاني
من كل شي وكنت أقدم له المجد والشأن لأجل
أنه خلصني وسرني وحماني وعزاني وشجعني وجعلني
أن أتكلم علي مراحمة العظيمة الشأن وقدرني أن
أصبر في هذه الحياة الوحداية الفانية وأتربح
الحياة المزمعة الباقية

حقيقة اني كنت أتأمل في كل وقت كيف
أنتي غاطس في بحر النعم ولا أحد متوفره بحيوته
مثلي لأن كل واحد منهك في همه وأنا مالي هم
ولا غم أجمع من هنا وأكل من هنا وفي مدة
استقامتي في هذه الجزيرة اذ كنت أنطلق أحيانا

الى الصيداوان اكتشف علي الجزيرة كانت الافكار
تقلقني وتضرب السودا في راسي وتنقبض روحي
علي وكنت اشعر ان قلبي انفطر من شدة
حزني وكابتي عند ما افتكرك في اقامتي في هذه
الغياطل والاجبال والهرواني متجنب عن صحبة
البشر وكنت اتحصر واقول حقيقة اتي مسجون
داخل اقفال دهرية وحصن ابدية في بر مقفر خالي
من الانس مقطوع الرجا وعديم الخلاص . فهذه
الحالة كنت الطم علي وجهي واصرخ وانشر دموعي
كمل الولدان واحيانا ما كنت انتحب من صميم
قلبي واهطل دمعاً هموعاً وانا ملتبك في شغلي
ولشدة الكابة التي كانت تحصل لي كنت اترك
عملي واجلس متاوها وكنت اتحصر واني من صميم
قابي ولا عندي واحد يسلمني ويشفي غليلي .
وكنت اطرق وجهي الي الارض غير متململ مقدار
ساعتين وانا ابكي بكاءً مرًا حتي كانت الدموع تهطل
علي الارض وتبلها

فذاث يوم وانا متنهء باشء مرارة حيث
كنت انوح كمثل النسا الارامل فتحت الكتاب
المقدس وبديت اقرا فيه قصءى التسلى وان
ارفع عني هذا الوسواس والكابة واذاقرات سطرين
اتى قءامى هذا الكلام اى اننى لا اتركك ولا
اهلكك . فوقفت فى هذا المكان مستفحصا
ومتفكرا فى هذا الكلام وعبارته فقلت حقيقة انه
لا يتركنى ولا يتخلى عنى ولما ذا انا هالك نفسى فى
العياط والمناحة فان كان هو عالى فى هذه للجبرة
القفرا وافاض على انعامه افما يستطيع ان يلهم
قلب اءء ويسخره ان ياتى الى هاهنا وياخذنى
فانشقت ان الله قاءر على كل شى وانه يقول
للشى كن فىكون . واستقممت متولعا فى قراة
الكتاب المقدس من غير ملل ولما كنت افتحه او
اطبقه فما كان يخلى فمى من الصلوة لله تعالى
وتمجيد اسمه طالبا منه فى كل وقت ان يسهل
على ويهءى واحءا الى هذه للجبرة كى ياخذنى معه

فارتأيت يوما وعملت لي ترتيبا جديدا أولا
انني اوفي حقوقي لله تعالى واقرا في الكتاب
المقدس بحسن براعة واجتهاد ووعي وكل يوم كنت
اقراه فيه ثلاثة امرار ثانيا اني اخذ بندقيتي واجول
للجبال والغياض واصطاد من الذي تشتهيه نفسي
وانه يناسب الكلي ثالثا اني اوظب شقيفتي واشتغل
ما يتهيا لي وانظر حالي واطلع من كلما اذبح واصطاد
وفي هذه الامور كنت اقضي النهار كله والسهرة
معا . وفي ايام الصيف ما كنت استطيع ان
اشتغل في نصف النهار نظرا للحر فكنت اقبل في
وقت الحر واتقبل علي عملي وقت العصر فاشتغل
يدي اربع ساعات . وبما اني كنت غشيا ومحتاجا
الي عدد ومعين دمت في شغل جزوي مدة طويلة
واستقمت اربعين يوما انجز بالاشخاب واعاقر بها
حتي عملت منها رفا لكي اضع عليه لوازمي وايضا
عملت منها اشيا اخرة متعلقة بصنعة التجارة
فهذه الاشخاب جميعها قطعتها من شجرة غليظة

عالية ومن هذه الشجرة شقت الواحا عريضة
جدا فاستقمت اعافر بها جملة ايام واقطع
دناخيشها واغصانها حتي اني نظفتها جيدا ثم اني
نجرتها من كل جانب حتي انها خفت قليلا
وقدرت علي تعتتها فاستقبلت حينئذ علي
صفحتها الواحدة ونجرتها من الاول الي الاخر ومسحتها
بالفارة وعدلتها جيدا ولما نجزنها قلبتها علي صفحتها
الثانية وفعلت بها كالاولي وهكذا فعلت بالثالثة
والرابعة

فاقبل علي شهر تشرين الاخر والروع بلغ وقشقش
فاستعديت حينئذ الي للحصاد وبعد ما فرغت
منه نقلت الشجر وعمرمت بيدرا واسعا . فاما
الارانب والمعزي فكانوا يداوروني اذ انهم ضاقوا طعم
الكدس وكانوا مالبين البيدر ولما كنت اطردهم من
هنا فياتوني من للجانب الاخر فاحترت باهمري
كيف اني اهزمهم لاني افزع ان اقوص بهم البندقية
ليلا تحترق الاكداس لاني ما دقيته الي الان فلو كان

دريخاء فلا باس فاستحسننت رايا واتيت بخشب
 وعملت سدا جاء مستديرا وفي النهار كنت اقوم في الجرن
 واقوص بعضا منهم وفي الليل كنت اسيد الكلب
 من رباطه وكان طول الليل ينج ويهر بهم من الجرن
 وبهذا الفعل خلصت من السرقة الوحشيين • ولما
 اطمانيت علي البيدر من المعزي والارانب طلعت
 داهية اخري اضرب من الاولى وهي ان طيور
 الجزيرة كلها اجتمعت علي البيدر رفوفاء رفوفاء
 فخفت ليلا انهم ياكلون الغلة ويفضلون لي
 القش فقط فافتكرت ماذا افعل واخلص قوتي منهم
 فتها لي ما يفعلونه الفلاحون اي انهم يصطادون
 طيورا ويعلقونها وهي مائة وكل طير حي يراها
 يفر موليا خائفا منها فاخذت وقتني بندقيتي
 واصطدت ثلاثة طيور وعلقتها علي روس عيدان
 وشكخت العيدان في الاكداس • فحقيقة ان هذا
 الراي كان صوابا ومعقولا لان تلك الرفوف
 العديدة كلها فرت لما رات ارفاقها معلقة

علي روس العيدان وما عادت اتب بعد ذلك
ابدا

وفي اخر شهر كانون الاول قشقس الررع الثاني
فحصدته كالاول ونقلت الاكداس وعمرتها علي
البيدر اذاني ما دقيته بعد ولما انتهيت من الحصاد
والنقل تناولت خشبة غليظة وبديت ادق من
للجاذب الواحد وبعد ما انعمه اذريه وانقل الغلة
الي الشقيقة واحكرها داخل الصناديق • فجمعت
التبن بعد ان فرغت من الغلة وكومتها في مكان
وحدده وعلمته لوثا وطينت عليه ليلا ينتقع من
المطر فاتيت وكيلت الارز فوجدته اردبين فقط
وكيلت ايضا الشعير فطلع ثلاثة ارادب ونصف •
فلمحظت وقتين ان هذه الخيرات هي من عند الله
الذي يعطي الانسان ما لم يعرفه وانه افاضها علي
فقلت في نفسي الان ابدي اطحن واعجن واخبز
واعول نفسي • فلما بديت في العمل امتحنت
لاني لست بعارف كيف اني اطحن الشعير واذا

طحنته بالجاروشة التي عملتها فكيف اتخله ولا عندي
تنور ولا فرن حتي اخبزه * فارتايت وقلت انه لي
زاد يكفيني هذه السنة كلها واما الشعير والارز
الذان جمعتها فازرعها في السنة المقبلة ايضا وفي
هذه السنة ابشر في بناء تنور واحضره وانسج لي
منخلا واحضرها كلاهما للسنة المقبلة فاعتبرت
هذا الراي وركنت عليه * فلما حان زمان للحراثة
تهييت وعزقت الارض كلها وضفت ايضا عليها
ارضا اخرى واسعة نظرا لكثرة التقاوة التي عندي
ثم اتي بدرت الشعير والارز وفضلت منها قليلا لاجل
ان الارض ما كفت للتقاوة كلها فاستعديت
حينئذ وبديت ان اتزق ارضا اخرى قريبة مني
فصلحتها وضفتها علي غيضي فعملت لي عقارا
واسعا وكان فيه بعض حفر فمليتها ترابا وبدرت
بقية التقاوة التي تبقت عندي وعوسجتها جيدا حتي
لا معزي ولا ارنب يقدر ان يدخل فيه فاستقمت
في هذا العمل ثلاثة اشهر * ثم اتي الشتا وبدأ ينزل

الندا علي الارض ويبلها والمطر تبعه وتكاثر جدا
 وبدا يهطل كانه مياريب فالتزمت في تلك المدة
 ان انسج المنخل نظرا البطالتي فاخذت حبرا كنت
 وجدته في صندوق وعملت طارة من خشب
 وفعلت مطلوبي ثم اتيت بطين ولخته جيدا وعملت
 منه تنورا متوسطا وفي هذه المدة التي كنت محبوسا
 بها داخل الشقيقة اجتهدت ان اعلم الببغال
 الكلام فدعيت اسمه يعقوب لانه صار لي زمانا طويلا
 ما تكلمت كلمة البتة في هذه الجزيرة فاريد ان ابدى
 خطابي مع هذا الطير وفي هذه المدة اخترعت اختراعات
 عظيمة ثم انني اتيت بطين اخر وخمرته ودعكته
 وعملت منه طواجن وبواطي وسلطانيات وزبادي
 وانجانات ومراكن وحواليب وقلل وكيزان ودوارق
 وقدر وبرم وكل ما يتعلق بصناعة الفاخوري فلما
 اشرقت الشمس اخرجتها خارجا ونشرتها في الشمس
 وبعد ما قحلت وديبست عملت كورا وحرقتها في
 التبن الذي حفظته في اللوث . وفي هذه المدة

نقد الملح فاخذت بعضا من القدر ومليتها ماء
من البحر وركبتها علي النار ووقدت تحتها الي
ان نشف الماء واستقام الملح في اسفل القدر فجمعبته
ورفعته في الشقيفة وكان دائما ينفعني للطبخانات
ولتعالج اللحم * ثم اني اهتميت ان اخبز لي خبزا
فاتيت اولا بالشعير وغسلته وبعد ما نشرته ويبس
لقيته وطحنته ثم نخلته وعجنته * واتيت الي التنور
لاسجدة فوجدته قد انفطر من وسطه فما انتفعت
منه شيا سوي ان تعبي كله ضاع باطلا فافتكرت
وقتئذ ماذا افعل لاني عجننت وقرب ان يختمر
فتهيا لي ان العرب يستعملون غالب الاوقات
خبز الملة فقممت حالا وجوفت الارض ووقدت
نارا في النقرة التي حفرتها ولما تبصص النار وخمدت
لهبته اتيت بالعجين وقرصته ارغفة وجوفت النار
وفتحت الارغفة علي الارض وجريت النار وكومتها
فوق الارغفة كما تفعل العرب ولما استوا قليلا
نحيت النار وقلبتها ثم اتى رجعت النار مثلما

كانت اولاً فعلي هذا النحو كذت اقلها واداريها
الى ان استوت وتقمريت جيداً
فافتكرت يوماً ان اعمل لي قارباً مثل القوارب
التي يصطنعوها الهنود من قرم الشجر ولما
استعدلت ان افعل مطلوبي رايت ابي ناقص
العدة وقلت ايضاً فلا قدر واقول اني نجرتها وكملتها
فمن هو الذي يسحبها معي وينزلها في البحر
وبينما كنت مفكراً ماذا افعل خطر في بالي هكذا
وجاوبت نفسي قايلاً ابي انجرها اولاً ولما تكمل
صنعتها فوقتين افتح لها خليجاً صغيراً من البحر ولما يجي
المد فيرفعها ويسحبها الى البحر فاعتمدت علي هذا الرأي
فاتيت الي شجرة عالية جداً غليظة وشرعت اقطع



فيها فدمت علي هذا العمل تسعة عشر يوماً

وفي اليوم العشرين لقيتها علي الارض فاستعدلت
ايضا ان اقطع اغصانها وانظفها فجمعت منها
حطباً واهيا لانها كانت شجرة داهية فاستقيمت
اقطع باغصانها اربعة عشر يوماً فنجرتها وعملتها
علي هيئة السفينة وبديت اجوفها لاني قصدت
ان احفرها حفراً من غير دق مسمار كمثلي صنعة
القصع فدمت اعافر فيها واشتغل مدة طويلة
وما فكيت عنها حتي كملتها ولعظمها واتساعها
كانت تاخذ مقدار ستة وعشرين نفراً فافتكرت في
عقلي وقلت لما انزلها في البحر فامليها ماونة
واسافر بها

فما بقي علي شي سوي اني القيها في البحر
فكان ذلك من المستحيل لان المكان الذي كانت
ملقيدة فيه كان مبتعداً من الشاطئ مقدار مايتين
خطوة وما عدا ذلك كان بينها وبين البحر اكام
مهدود فبديت ان اعدل الارض واسمدها قصدي
ان ازحفها والقيها في البحر فكان ايضاً ذلك من

الممتنع لاني لما اتيت اليها بعد ان قاسيت تعباً
ونصباً لا يعبر عنه بتعديل الارض ما قدرت ان
احركها من مكانها فقلت وقتئذ ماذا افعل اذن
فخطر علي بالي ان امسح الارض وافتح خليجاً
لكيما ياتي الما الي عندها فعملت حسابي ورايت
انه يقتضي لي ان احفر بهذا الخليج في الاقل
احدي عشرة سنة وهذا جعلني ان ارتدع عن
الحفر فقلت وقتئذ عن نفسي ما اعظم جهلي اذ
ابتديت بالعمل قبل ان افكر عن غايته ولاجل
اني ما افكرت عن اواخر الامور صار عملي كله عبثاً
وباطلاً

فهذا الامر كان في السنة الرابعة بعد لقيي علي
هذه الجزيرة الخالية من الانس وفي تلك المدة جاء
عيدي فما تغافلت عنه لكنني حفظته في الصلوة
والعبادة لله تعالى اكثر مما كنت احفظه قبلاً
ولما كنت انظر يمينا وشمالاً ربما اجد انساناً ما
اتانس معه فما كنت اري الا البحر والارض والاشجار

فخاب رجائي ولا كنت اصدق ان اري بشرا ابدا
ونظرت الي هذا العالم ورايته كانه شي غريب مني
ولا لي مخالطة معه فيحق لي اذا ان اقول كما قال
ابراهيم للغني هاهونا بيني وبينك ايها العالم هوة
ثابتة * حقيقة اتي افترقت عن شقاوته ولا كنت
اعرف بشهوة للجسد ولا شهوة العين ولا فخر العمر
ولا عندي شي احرص عليه لانني امير وملك متسلط
علي المملكة كلها ولا احد يقاومني ولا يضادني
وامري جابر مها اردت يصير حالا فان اردت قمحاء
فعندي بيدروان اردت ان اصطاد فعندي من
جميع الطيور فاصطاد منها ما تشتهي نفسي واما
للشرب فذلك شي بكثرة والزبيب معبي في
الصناديق من كل جنس والفلوس التي عندي
لقتها حذاي كانها شي رذيل ولا كنت افكر عنها
ولو كان اتاني احد وعطاني عوضها كم حفنة تين
او كيل دقيق لعطيتها له من غير توقيف لانها
ملقية عندي من غير نفع ولا فايذة والنتيجة ان

ان هذه الامور جعلتني ان افكر فكراء مستقيما اي ان
الاشيا المنسوبة لهذا العالم ليست مناسبة لنا مع
انها مجعولة لافادتنا وبمقدار ما نكد ما ناخذ سوي
الشي الضروري فقط

فهذه الافكار رطبت ضميري اكثري من قبل
وكلما كنت اجلس واكل كنت اقدم الشكر والحمد
لله تعالى علي الخيرات التي سبغها علي اذ انه
بسط قدامي مايدة في هذا القفر وللوقت رايت
جليا ان الاشيا الكاينة عندي اكثري مما اعتاز اليها وقابلت
حالي للحاضرة مع ما كنت مترصدا سابقا انها تكون
فرايتها افضل فماذا كنت افعل اذا لو ما اخذت
هذه الاشيا من المركب حقيقة كنت اهلك من
الجوع قبل ان احظي بسمكة او سحلفة فلا قدر واقول
لو اني قبضت اشيا من للحشرات فباي شي كنت
اطبخها هل كنت اقدر ان اكلها مثل شعب
البربر الذين ياكلون لحم الوحوش والاسماك نية
او كمثل الوحوش كنت امرقها باظافيري واكلها

من غير طبع وملح • واخيرا قايست وقيعتي بالذي
 استوجب علي فقلت كيف اتي كنت عديم
 الشكر مع والدي وكيف اتي رfst نعمة الله ولا راقبته
 وكيف اتي عدمت الاشيا العظيمة التي كانت لي
 وكيف كنت بطرانا وزاهق تلك النعم العظيمة
 التي انسكبت علي من السما وكنت اقتات من
 تلك الخيرات كانها هابطة علي من السما بمادة عجيبة
 اعجب مما جري لاليا اذ كانت الغربان تعوله وكيف
 اتي بعد الغرق لقيت وحدي في مكان خالي من
 الوحوش الضارية والناس السافكين الدما وسكنت
 مطمانا وحدي والنتيجة اتي كنت اداول مراحم
 الله في ضميري وافتكروا انعامه للحسنة معي وبها
 كنت اتعزي وازيح الغم والحزن عني واكتفي بما عندي
 واما ثيابي فبدت ان تتخلقن وتذوب فتحفظت
 عليها ورفعت لي مقدار اربعين قميصا من قمصان
 البحرين وهذه كستني مدة طويلة ولما كانت الشمس
 تحمي وتشتد حرارتها كنت اخفف اللبس عني

وفي الشتا والبرد كنت البس بشوت البحرين
وعبيهم التي اتيت بها من المركب . اما عمامتي
فاهترت ايضا فقممت وقتيد وعملت لي قبعاً من
جلد المعزي وجعلت الشعر من خارج حذرا ليلا
يبل المطر راسي وبعد ذلك خطر في بالي وفصلت
لي ايضا من جلد الماعز صديرة وخيطت
لي ايضا شمسية لئلا تمنع عني حرارة الشمس حين
اجول في وسط الجزيرة وصارت لي ايضا نافعة
اذ سترتني من ما المطر وهكذا صار ضميري مستريحا
وسعادتي كلها كانت اني اتضرع الي الله واشكره
دايما علي مراحمة العميمة التي سكبها علي

هل استطيع ان اقول انه صادفني شي غريب
في مدة خمس سنين بعد هذا كلا لكنني كنت
مشغولا دايما في قطف العنب وتخذيرة اي اعمله
زبيبا وازرع حقلي قمحا وارزا وامون بيتي من كلما
احتاج اليه من القوت وكنت سلطان زماني وبها
انني كنت محتاجا الي قارب اجتهدت ان اعمل قاربا



روينصن كروزي في سفه الثاني

اخرا يكون اصغر من الذي تجزته سابقا وما
استفدت منه شيئا فاستقمت اعافر فيه مقدار سنتين
فلما تجزته ورايته انه صغير للجرم واني لا استطيع
ان اقلع به واخلص من حبسي هذا افكرت ان
امضي به حول الجزيرة واكتشف عليها لاني حتي
الان ما اكتشفت علي نصف الجزيرة لكبرها
ولكثرة اشجارها. فعملت جهدي ونزلته في البحر
ونجرت له صاريا وسهرته في وسطه وعملت له
قلعا من قلع المركب ونزلت فيه كم صندوق
ومليتهم مما اعتاز اليه في سفرى واخذت ايضا
معي من البشوت والعبى حتي اتغطي بها واترد
عني المطر وحفرت في جانب القارب مكانا ووضعت
فيه بندقيتي وعملت لها غطاء لتحفظها من الماء
ليلا تصدي فاخذت الشمسية التي عملتها من
جلود المعزي وفتحتها في الموخر عند الدفة حتي
تمنع عني حرارة الشمس • حينئذ حتمت ان اسافر
واطلع علي كبر مملكتي فدرت المركب للحري

وتوجهت الى السفر في اليوم السادس من شهر
تشرين الثاني في السنة السادسة من جلوسي علي
تخت سلطنتي او اخذي اسيرا فدمت سايرا في
البحر اكثر مما عزمت عليه ولكثرة الصخور المجاورة
للجزيرة التزمت ضرورة ان اسير بعيدا ليلا ينكسر
القارب

ولعظم خوفي من الصخور حتمت ان ارجع
وراء خوفا ليلا امتنع عن الرجوع الي الجزيرة ولما
كنت مرتيبا ولا اعلم ماذا افعل قدمت الي خليج
صغير وربطت قاربي واخذت بندقيتي علي كتفي
وتعلقت علي اكام كان هناك ومددت نظري
وكشفت اخر الصخور وحتمت وقتيذ ان انزل واسير
حسب مقصودي

فلما كنت متشرفا من الاكام رايت مجري ناضبا
من ناحية الجزيرة داخلا في البحر سالكا بين تلك الصخور
التي انا خائف منها وكان مجراه يصل الي اخرها
فافتكرت وقتيذ ماذا افعل ففرزنت هكذا اي

إذا ملت ناحية الصخور فاقع تحت للخطر وربما
ماء المجري يلقيني داخل البحر ولا أقدر أن أرجع إلي
الجزيرة حقيقة لوما تشرفت من علي الاكام لكان
جري في هكذا لأن علي الجانب الآخر كان مجري
آخر مياه سابرة داخل البحر مسافة بعيدة
ورأيت هناك لجة قوية تحت الأرض فاجتهدت
وقتيذ أن أهر المجري الأول وأعدي اللجة . فاستقيمت
هناك يومين والرياح كانت هابطة هبوبا قويا من ناحية
الشرق والشمال مضادة للسيل ودافعت الأمواج
ودافقتها علي السن فلا كان يوافقني أن أسي إلى
ناحية الشاطي خوفا ليلا الأمواج تلقي القارب علي
البر وتكسره ولا كنت أستطيع أن أقف مسافة
بعيدة من الشاطي خوفا من المجري وفي ثالث
ليلة همدت الريح وغلن البحر فخرجت خارجا حتي
أعمل علامة احترازا لكل قائد مركب ونوخدة لأن
المجري قد فني حالا والقاني قريبا من الصخور .
وبعد قليل دفعتهني الأمواج إلي داخل وكانت

تقفس علي بعضها كانها تلول ولعظمها منعتني
من القدوم الي الشاطي
ولما رايت حالتي المخطرة بديت انظر الي
نفسي فقلت الويل لي اني عدمت فرايت مجري
البحر سارعا من ناحيتي للجزيرة فتحققت وقلت
لابد انها يتصلان ايضا فما بقي لي رجا سوي
الهلاك لاني لو مات غرقا فاموت من الجوع لان
ذخيرتي فرغت

فمن يقدر يصف الغم الذي اكتنفي فكنت
انظر الي مملكتي الصغيرة باعين مكسورة واني لست
طايها وللوقت عرفت قدرها اذ انها لا لها مثيل
في كل المسكونة فتحصرت وقلت ما ابهجك يا ايها
القفر وما الذ السكاني فيك هل بقت لي قسمة
ان اراك فيما بعد يا لشقاوتي وعدم حظي الي ابن
اناسيرو ولماذا كنت ادمدم علي عيشتي واتهمر من
سكنتني في الجزيرة متوحدا فما الان اشان اعطي
العالم كله واكون هناك • ولما كنت متشكيا

ومتنغصا مما حل بي ما رايت الا وقذفت داخل البحر
مقدار اربعة اميال فاستقبلت علي المقاديف
وبديت اقدف وانجف بكل بتعي حتي وهن
عزمي وزالت مني قوتي قاصدا ان اسند القارب
الي ناحية الشمال فلما انتصف النهار تغير الطقس
وهبت الريح من ناحية التين حسب ما كنت
متمنيا فشملاني للوقت فرح لا يوصف ولعظم نفخ الريح
ضبعت الطريق ولا كانت معي القبلة حتي احكم
مقدم القارب ووجهه تجاه الجزيرة فنصبت الصاري
ونشرت الشراع ووجهت القارب الي ناحية الشمال
بقدر امكاني. قصدي ان احصل علي المجري
وللمحال هدي القارب يسير بسرعة ولرواقه الما رايت
اني قريب من المجري وبعد مدة قصيرة قربت من
الجزيرة

والذين اكتشفتم الكابة كما اكتشفني فليتاملوا
بالفرح الذي حصل لي لاني رايت ذاتي كاتي ولدت
جديدا فكنت اشتهي الذي يقرأ قصتي هذه يراني

كيف اني جعلت القارب يسرع في المجري وكيف اني
نشرت الشراع ووقفت مبتهجا امامه ولاعانة المجري
بقي علي مقدار اربعة اميال حتي اصل منزلي وفي
الساعة الرابعة بعد نصف النهار قربت من
الجزيرة ووصلت الي حدود الصخور فاذرايت اني
خلصت من الخطر افتخرت بنفسي ودرت القارب
الي خارج كما فعلت سابقا ووجهته الي الناحية
القبليّة فللوقت هب نسيم حسب قصدي فعدلت
القارب معارضا للمجري وانا واعى جداء وفي ساعة
واحدة صرت قريبا من الشاطي وبعد برهة
قصيرة خرجت الي الهر وحمدت الله تعالى علي
خلاصي فقدمت القارب الي الشاطي وربطته ورقدت
قليلًا فلما استيقظت افكرت كيف اذهب بالقارب
الي منزلي

فخرجت وتشرفت فرايت حالي لست بعيدا
من المكان الذي قصدته ماشيا من منزلي فما اخذت
معي سوي البندقية والشمسية وسرت علي مهلي

وفي العشية اتيت الي مينتي وانضجعت ونمت ولما
كذت غافيا جاء صوت في اذني فقممت مرتعدا نظرا
للصوت الغريب الذي سمعته يقول هكذا روبن
روبن روبنصن كروزي اين كنت روبنصن كروزي
ولاجل ثقل نومي انضجعت ايضا وانا نصف نايم
ونصف صاحي فافتكرت اني بالحلم سمعت هذا
الصوت ولما كذت متفكرا هكذا سمعت ايضا الصوت
ذاته يناديني قابلا روبنصن كروزي وذلك مرارا
متعددة فانزعجت جدا وقمت مضطربا وفتحت
عيي جيدا لاري من هو الذي يصرخ علي فرايت
الببغال الذي علمته الكلام حاططا علي شجرة
وللوقت عرفت هو الذي صرخ علي لان الصوت
كان صوته حيث اني سابقا كنت اعلمه ان يتكلم اما هو
فتعلم جيدا . وكنت اوقفه علي يدي واقرب
منقاره لوجهي وادعه يقول مسكين روبنصن كروزي
اين ساكن انت اين كنت كيف جيت الي
ههنا وهكذا كنت اعلمه ان يقول ويسليني . فلو

اني عرفت ان الصوت هو صوت الببغال مع اني
 ما عرفته عاجلا . فتعجبت ايضا كيف ان هذا
 الحيوان اتي الي هنا ووكّر علي هذه الشجرة
 الصغيرة فلما تحققت انه هو الببغال الذي صرخ
 علي مددت يدي اليه ودعيتة ان ياتي الي فاتي
 وحط علي يدي وهو يقول مسكين روبنصن كروزي
 كيف صار واتيت الي ههنا واين كنت يامسكين
 روبنصن كروزي . فلما رايت ان الطير فرحان هكنا
 بي لما راني فانا ايضا اخذته الي منزلي . وفي هذا
 الوقت فارقتني للجزع والارتعاب الذي نالني من
 البحر ومع ذلك اني تحيفت علي القارب الذي
 اشتغلت فيه مدة طويلة ولأجل ذلك استقمت
 سنة كاملة مترفها بعيشتي وانا مكتفي بحالي لم
 ينقصني شي سوي المكاملة . فذات يوم من الايام
 احوجتني الضرورة ان ابتدع دواليب علي قدر
 فهي ولأجل اضطراري صرت نجارا بارعا مع ان
 عدتي منها سافوت ومنهاتلث . فاملت الي الشجر

وقطعت عيدان ونظفتها جيدا وعملت منها مشنات
ومقاطف وسلات عديدة ولو كانت غير متقونة
الشغل مع انها نفعني اذ كنت انقل فيها الاثمار
وكل ما يلزمني الي منزلي وكنت اضع فيها الشعير
والارز واغلال اخرة

اما بارودي فقرب ان ينفذ وذلك جعلني ان
افتكر باي شي استطيع ان اصطاد اذا نفذ بارودي
حتي اعيش نفسي فاردت ان اعمل فخاخا
ومصايد حتي اصطاد بها المعزي المستوحشات
واقبضهن احياء واخيرا اهتديت علي راي فحفرت
حفرا عميقة ووضعت فيها شعيرا وارزا ثم ذهبت
فجيت في اليوم الثاني الي الحفر فوجدت في احدة
منها تيسا كبيرا وثلاثة جديان * اما التيس فكان
وحشيا ولعظم عصافته ما قدرت ان اخرجه خارجا
من الحفرة فافتكرت وقتين ماقال المثل ان للجوع
بهذل الاسد فصومته ثلثة ايام وما طرحت له شيا
ابدا وفي اليوم الرابع قدمت له ماء قليلا وحفنة

شعير فوالق • واما للجديان قربطتها قدام منزلي
ثم اتي قلت وقتين ان اردت ان ابسط نفسي بلحم
للجديان بعد ما تفرغ ماونتي فلان علي ان اجمعهم
وارعاهم واتي بهم الي منزلي وهذا التدبير الذي
فعلته كان معقولا فقلت ايضا اذا خلطت الموالفين
مع المستوحشين فيستوحشون منهم ويهربون
مني في الازوار فعمدت وعملت زريبة واسعة
وسيجتها وزربت فيها المستوحشين وسبت الموالفين
امام منزلي وكنت كل يوم اخذهم الي المرج
وارعاهم وفي حر النهار اتي بهم الي مكان مستظل
وامنع عنهم حرارة الشمس

فافتكرت يوما ان اسيج ارضا تكون مخصصة
وارعي فيها قطيعي فباشرت قليلا ومسحتها فكانت
مقدار ميلين طولا وعرضا فارتدعت عنها
لاني قلت اذا اردت ان اسيجها كلها فما افرغها
اقل من خمسين سنة نظرا لشغلي وحدي فغيرت
رايبي واخترت منها مقدار مائة وخمسين ذراعا في

الطول وماية ذراعا في العرض وسيجتها جيدا
 وقلت اذا نهي قطيعي فاضيف عليها بقعة اخرة
 فاجتهدت وقدمت يدي للعمل فبدت اسيج
 بهامن غير ملل ثلاثة اشهر فاخذت الثلاثة جديان
 وربطتهم في اخر ارض منها وكنت ارعاهم قريبا مني
 بقدر امكاني حتي اولفهم علي واحيانا كذت اضع
 شعيرا وارزا في راحة كفي فكانوا ياتون وياكلون
 من غير خوف وانكار واخيرا بدوا يجرون ورايبي
 لما يرون شعيرا في يدي وفي مقدار سنة ولصق
 صار عندي نحو اثني عشر ذابة من تيوس ومعزي
 وبعد ذلك بسنتين تكاثروا وصاروا مقدار ثلاثة
 واربعين ذابة ماعدا الذين ذبحتهم في طول هذه المدة
 وفي هذه الامور التي ابتدعتها وجدت خيرات
 واهية ليس اني اكثرت من لحوم المعزي والجديان
 فقط ولكن للخليب ايضا صار عندي بمقام الماء
 وكنت اصنع من ذلك للخليب سمنا وكشيا وجبنا
 واروب لبنا وكذت ابسط نفسي بهذه الامور واعيش

مترفها ما اعظم رحمة الله تجاه خلقه اذانه يعولهم
ويعزبهم حتي انه في وسط المصايب العظام يهنيهم
وما ينسأهم • وكيف انه يحلي مرارة الضيقات
والمصايب ويجعل لنا سببا ان نعظمه في وسط
الحبوس والامكنة المقفرة الخالية من ساكن كما هو
حاصل لي الان • ما اعظم واشهي المائدة التي مدها
امامي في هذا القفر الخالي من الجنس البشري
اذ اني ما ترقبت اولا سوى الهلاك من الجوع

حقيقة لورائي احد وانا جالس واتغدي لكان
يفقع من ضحكة علي لان في الصدر جالس جناب
حضرتي وجلالي كانهي حاكم فريد عصره ولا واحد
يستطيع ان يتعرضني في حكمي ومشورتي وكل
رعتي تسمعني وتخضع لي والذي كنت اشأ ان
اشنقه فاشنقه حالا من غير مانع والذي اشأ ان
اطلقه فاطلقه • ولما كنت اتعشا فاتراي كاني
ملك زماني اكل وحدي ولا واحد يجتري ويمد
يده وياكل معي ابدا واما مشورتي فكنت اعقدها

مع الطير الببغال وكنت اتخاطب معه عما يخص
تدبير حكمي ولا واحد له اجازة ان يتكلم معه سوا
حضرتي واما كلبي الامين فكان يجلس دايما من عن
يمين عظمتي وقطائي كائنا تجلسان كل واحدة
منها علي ناحية من المائدة تنتظران لقمة تقع من
يدي . فهتان القطتان ليستا من اللواتي اتيت
بهن من المركب ولكن من اولادهن لان الامهات
كلهن متن وطرحتهن في البحر بيدي والبقية هربن
الي الزوروتهن بين الشجر واستوحشن وتكاثرن
حتي لما كنت اغيب من منزلي كن ياتين
ويسرقن ما يجدن قدامهن لحما كان اما خبزاً
ولما رايت انهن ما يكفنن عني ربطت لهن وبديت
اصطاد منهن في البندقية واطرحهن في البحر
فقوصت اكثرهن والبقية تركني ولا اتين الي
منزلي فيما بعد . فلنرجع الان الي ما كنا نتكلم
عنه فيما يخص عيشتي فاقول اني كنت غنيا
ومتهمونا من كل الخيرات وما كان ينقصني شي سوي

المخاطبة وايضا كنت مفتقرا الي شي اخر وهو قاري
لاني ابقيته ورا الجزيرة بعيدا مني جدا ولا كنت
اعرف باي مادة اتي به الي قدام منزلي
فالقبع الذي كنت اغطي به راسي كان كبيرا
جدا وعاليا مخيطا من جلد المعري ووصلته من
ورا بجلد صحيح وردفته علي اكتافي ليس حتي
يمنع عن ظهري المطر فقط ولكن ليرد عني حرارة
الشمس ايضا فعمات ايضا صديري من جلد
المعري ولما فصلته جعلت الشعر ينكس الي تحت
حتي اذا اتي مطر علي صدري يتدحدر ولا انبل
ونظرا للاحذية وللجوارب فما كان لي ابدا لان
للجوارب والاحذية التي اتيت بها من المركب
كلها تخلقنت واهترت فقامت فصلت لي نعلين
من الجلد وربطتها بحبال من غير خياطة ووثقتها
في رجلي فكانا كريهين المنظر نظير سكنتي وعيشتي
وعملت لي ايضا كمر عريضا كمثل كمر الجمالة
وشديت وسطى به وجعلت علي جوانبي جلدا

ثخيناً يرد ضربة الخنجر والسيف وعملت أيضاً سيرا
 طويلاً وتسلمت به علي ككتفي الأيمن وادخلته
 من تحت إبطي الأيسر حتي أعلق به جراب البارود
 والرأس وكنت أعلق المقطف علي ظهري والبندقية
 علي ككتفي وأحمل في يدي الشمسية المعمولة
 من حديد المعري • ولقطة الأمواز طالت لحيتي
 وتدللت علي صدرتي مقدار ثمانية عقود فكل
 هذه الأوصاف من غير نتيجة ههنا لأن ولا واحد
 كان يري مسكبي ومعاطاتي فمن غير خوف وجزع
 قصدت السفر في وسط الجزيرة ودمت جالياً فيها
 مقدار ستة أيام وأخيراً لزممت الشاطئ وأتيت إلي
 المكان الذي ربطت فيه القارب فلما أتيت إلي
 ذلك المكان ومددت نظري إلي الصخور افتركت
 أن أرجع في القارب خيراً من سفري في الأرض •
 وإذا رأيت البحر هادياً والماء جارياً من ناحية المد
 قلت الآن أقدر أدور بالقارب حول الجزيرة وأتي به
 إلي منزلي ولما نزلت فيه قاصد الرجوع خطر علي

بالي ذلك للخطر الذي حل بي سابقا ولخوفي
وارتعابي املت الي راي اخر ولو يحصل لي منه عنا
وتعب وهوائي ابشر في عمل قارب اخر فيبقى لي
قاربان الواحد من هذه الجهة والذي اعلمه جديدا
في الجهة الاخرى حيث انا ساكن

فالان اني اخبر عن منزلي فاقول انني من وقت
خروحي علي هذه الجزيرة الي الان ما كففت من
العمل فبحوت في باطن الاكام وصنعت كهوفا
الواحد داخل الاخر وذلك حتي اضع فيها ماوزني
واما الاشجار التي غرستها امام منزلي فشددت
في الطول وظللت علي الارض وخارج هذه الاشجار
كان ممدودا للحصار الذي بنيته وداخله كنت ازرع
الشعير والارز. اما بستاني الكبيرة فكانت قريبة
من الدار التي ابنتيتها لجمع الاثمار اليابسة وحكها
وهناك غرست كروما اخرة وحصنتها جيذا
وهذا العمل اخذني زمانا مديدا ونظمت لي
مكانا اخر بين الشعير ونصبت خيمتي فيه

فقد أعلمتكم انه بعد خروجي علي هذه الجزيرة
 ما رات عيني بشرا ابدا فذات يوم من الايام وانا ذاهب
 لاجتس القارب في الجهة الاخرى من هذه الجزيرة
 رايت رسم قدم انسان مطبوعا في الرمل علي
 شاطئ البحر باينة طبعة اصابعه وكعبه وكل قسم
 منه وكان كبيرا جدا فلما رايت ذلك انذهلت
 وتحيّرت فنصت وقتئذ ربما اسمع حس احد في
 الجزيرة فما سمعت احدا ثم اني تشرفت يمينا
 وشمالا فما رايت احدا فمشيت علي الساحل وانا
 مرعوب ومتبصر في الارض لاري علامة اخري
 فما رايت فهذا الامر قلقي وازعجني ثم رجعت بعد
 ذلك الي منزلي خائفا لاني قلت لابدي ابن انسان
 داسني ليلا وتلك الليلة كلها ما نعست عيني
 وكنت افكر افكارا متنوعة عن هذه المادة وكيفيتها
 التي جرت لي فبالاختصار ان رجائي بالله
 القوي تراخي وبرد فقلت ان الله ما يريد الان ان
 يجهيني بقوته ولو انه حفظني حفظا بديعا في

طول هذه المدة المديدة • ولما كنت متقلبا علي فراشي
 كنت اقول في قلبي ما اتعس عيشة الانسان
 وكربها لانها مملوءة من الاخران والبلايا • وكيف
 ان محبتنا تتقلب علي ما يناسب الامور فتعجب
 اليوم ما نبغضه غدا فهكذا كنت افكر
 واثبت بنوع جلي لاني سابقا تدمرت لاجل
 كيفيتي اذ انني انفصلت من جميع معارفي وخلاقي
 بل من جميع الجنس البشري فكنت اتسهد
 اوقاتا ما واتنفس الصعدا لما اري ان ولا انسان
 يسلمني وابن ما ادير وجهي ما اري سوي للخلا
 فقط • فلما لاحظت حال حيوتي سلمت امري
 لله وشكرته علي ما سكب علي من الخيرات
 الواهية واكتفيت بما انعم علي ولا اجادل خالقي
 اذ انه يدبر الكل حسبما تقضي به حكمته الغير
 المتناهية • وانه لا يظلم احدا لكنه يسبغ نعمة علي
 الاحيار والاشرار ويمطر علي الصالحين والطالحين
 فلما مهدت نظري في هذا كله وجدت للوقت اني

ملتزم ان اتكل عليه اتكلا وثيقا ولا اقطع صلوتي
وتضرعاتي لديه تعالى واسلم امري لمشيته الالهية
وكيف ما يشا يدبرني

فذات يوم صباحا وانا ملقي علي سريري خطرت
هذه الكلمات المقدسة علي بالي وهي ادعني في يوم
حزنك فابقذك وتجهدي • فقامت من سريري
فرحانا وهذه للجملة اثرت في ولم تخرج من بالي
فجثيت علي ركبتني وبديت اصلي واقدم الشكر
لله تعالى ولما فرغت اخذت الكتاب المقدس لاقرأ
فيه فلما فتحته اتت قدامي هذه الكلمات الالهية
وهي اصطر للرب وكن فرحا وهو يقوي قلبك،
اقول لك اصطر للرب • فهكذا تعالى اعطاني
تسلية روحانية حتي انه يزيح عني سائر اسباب
الغم والحزن

فبعد ما كان الخوف راعجني ثلثة ايام وثلاثة ليالي
خرجت اخيرا من منزلي وحلبت المعزي وجبنت
الحليب وبعد ذلك ذهبت الي الحقل الثاني الذي

عمرته فحلبت ايضا القطيع الذي سبته هناك
ولما انتهيت من عملي نزلت الي الشاطي مرة
ثانية وبديت اقيس طبعة القدم علي قدمي
لانظر ربما ان رسم هذا القدم هو من رجلي
فوجدته اكبر من رجلي جدا . وهكذا رجعت الي
منزلي مشبها ان انسانا غريبا داسني وانا لم اعلم
اوان الجزيرة مسكونة

فبديت افكر ماذا افعل حتي اصون نفسي
فداولت ذلك في ضميري والتمست اولا ان اخرج
القطيع واذهب به الي قلب الزور حتي اذا اتى
العدو علي لايجد له اثر . ثانيا اني استعجل بدق
الشعير وتذرية . ثالثا اردت ان ادثر ما عمرته
ونضبته ليلا اذا اتى احد فيري ان هذا المكان
معمر فيعلم انه مسكونا فيتقدم الي منزلي
ويبطش بي ويقتلني

اما عيني فما كانت تغمضان فاستقيمت قلقا طول
الليل وانا خائس في سريري ومثقل علي جانبي

الي ان طلع النهار وكانت صبحية رابقة • فقامت
من عظم انزعاجي وتشرفت فقلت لابد ان هذه
الجزيرة مسكونة نظر الخصبها ومياها واشجارها وصحة
اقليمها وليست بهجورة كما ظننت سابقا •
فللوقت لاحظت الي حالي فندمت كوني جعلت
باب منزلي بعيدا من الحصار فاهتديت ان افتح
بابا اخر قريبا فشرعت في العمار وعلمت الطريق
ما بين الاشجار التي غرستها منذ اثنا عشرة سنة
وقد عوسجت مع بعضها وفتحت في قلب السور
سبعة متاريس وفي كل متراس وضعت بندقية
كمثل المدفع • وبعد جملة ايام انتهيت من عملي
وفي كل مكان غرست شجرا داير منزلي مقدار
عشرين الف شجرة وفصلت ما بينها وبين الحصار
مفارا حتي استطيع ان اري العدو اذا جاء علي
وبعد سنتين كاملتين عرشت تلك الاشجار ومدت
اغصانها وحبكت مع بعضها وفي مدة ستة
سنين عكفت جدا وصارت كأنها زور

عاص ولاجل صيانتني ما تركت مجازا للدخول
او للخروج

فكل هذا التعب والنصب كان من افكاري
المخوفة اذ اني رايت رسم قدم الرجل ولا اکتفیت
بها فعلت بل فحست عن مكان اخري في الناحية
الغربية من هذه الجزيرة حتي اني اربي لي قطيعا
اخرا فجلت حينئذ في الناحية الغربية حسب
اختياري ولقيت نظري ناحية البحر لانتظر قاربا
او شخطورا من البعد فرايت اشيا عايمة علي وجه
البحر فما وكدتها جيدا ان كانت قوارب اما اسماك
عايمة ثم اني ختمت وقلت ان رسم القدم الذي
رايته ما كان مستغربا لان الجزيرة منداسة فقلت
لابد ان هذه العايمة علي وجه البحر انها قوارب
البربر فباركت الله لاجل اني طرحت علي الجانب
الاخر من الجزيرة حيث ولا واحد من البربر حسب
ظني انه اتي • فلما نزلت من الاكام الي الساحل
حالا ثبتت رايسي • فلا واحد يستطيع ان يخلص عن

انزعاجي وارتعابي لما رايت الارض مملوءة من
 للجماجم والايادي والارجل وعظام الاجساد البشرية
 لاسيما اني رايت مكانا فيها تكية محتاطة كحلقة
 وفي وسطها اثر نار فعرفت وقتئذ ان هذا هو مجلس
 البربر الاشقياء لما ياتون باسرا لينبحوهم وياكلوهم
 فناد ارتعابي وخوفي من هذه المشاهدة المروية
 واغشت ذهني وحصل لي من ذلك وجع القلب
 فرجعت وقتئذ الي منزلي وانا مكتئب ودموعي هاطلة
 علي وجنتي فخررت علي ركبتي وشكرت الله لاجل
 انه اغشي بصايرهم وخلصني من بين اياديهم
 ولو ان ضميري وسكنتي الطويلة في هذه الجزيرة
 حقا لي ان البربر لن ياتوا الي هذا الجانب من
 الجزيرة المحرّش ولا لي واسطة ان ادرك بها الاكتشاف
 مع ان هذه الروايات تجعلني دائما متعذرا * وبعد
 ذلك بسنتين شغلت نفسي في ثلثة اشياء وهم
 عمار قصري ونظام ملكي وتعديل الاشجار التي
 شتلتها ولو انها اخذت زمانا طويلا

فهكذا كيفياتي دامت مدة طويلة شادية
وغير مضطربة ولوان للخوف المربع الذي سببوه لي
البربر نزع الامور التي اخترعتها لاجل قضا مصالحني
فذات يوم اخترعت ان اعمل لي بوظا حقيقة
كان ذلك الامر من الممتنع لانني خالي البراءيل
ولا استطيع ان اعمل براميل جديدة تقدر ان
تحفظها ولا كان لي رجا انها تبقي سالمة لانني كنت
خالي للخلل حتي اغلبها ولا كانت عندي ايضا
خميرة اخمرها بها . فقلت حينئذ ربما بعد جملة
سنين اني اقدر ان اعمل لي بوظا كما اجتهدت
وعملات اشيا اخرة فالان اختراعاتي صارت نوعا اخر اري
كنت افكر ليلا ونهارا كيف انجو من بين يدي
البربر اذا اتوا الي هذه الجزيرة . فقلت اجتهد بكل
حياتي والاشي بعض من قواربهم لما يجتمعون ويضحون
الذبابيح الانسانية واخلص من بين اياديهم نفرا
حتي يخدمني . فتاجيداتي كانت متعددة في هذا
النوع بعد ان قلبتها وداولتها في ضميري واستحسننت

الافضل منها فخطر علي بالي مرة ما ان احفر
حفرة تحت الموقد الذي يولعون فيه النار
واضع فيه مقدار ستة ارطال بارود حتى اذا اجتمعوا
حسب عادتهم فيوج ويحرقهم ولما كنت ناويا
هكذا تغير رأيي فقلت اني في هذا العمل
اتلف بارودا كثيرا ولا استفيد شيا وربما يقتل قليلا
منهم والبقية ينجون ويطلبون اثري فركنت
هذا الرأي وقلت انه ركيك وافتكرت فكرا اخر
وهو اني اخفي في حرش قريبا من المكان الذي
يجتمعون فيه واخذ معي ثلاثة بنديات وكل
واحدة منها احشيتها رصاصتين ولما يلتبكون في
تضحيتهم الذبايح الانسانية فاطلق النار في وسطهم
فاقتل في كل حشوة مقدار ثلاثة اواربعة اشخاص
واهجم علي البقية بطبنجاتي الاربعة ولا ادع واحدا
ينجي من يدي فهذا التخل اعجبني جدا حتي
كنت احلم به في كل ليلة واري اني فاعل هكذا
ولاجل اكمال هذه الغاية كنت افتش علي مكان

لايقه لقصدي واني اقدر اختفي فيه حسب
 ابشاري واكون اري البربر وفعاليهم السمجة
 ولا ادع احدا منهم يراي فوجدت مكانا حسب
 مطلوبي واخذت البندقيات وحشيتها رصاصتين
 رصاصتين وذخرتها وحضرتها وكانت عندي
 بندقية مدرهمة فحشيتها ايضا خردقا حشيا جيدا
 وذخرتها وركنتها مع البندقيات وحشيت الطبنجات
 خردقا خشنا وذخرتها وعلقت سيفي معها وهكذا
 هيت نفسي للقتال متوقبا اتيانهم في كل ساعة
 وفي اليوم الاخير صباحا بعد شروق الشمس
 صعدت علي اكام شامخ وتشرفت جيدا لاري هل
 اتي احد من اوليك البربر فكنت بالجهدي لان
 المكان الذي اتشرف منه بعيد من المكان الذي
 يجتمعون فيه مقدار ثلثة اميال فدمت علي
 تلك الحالة ثلثة اشهر كل يوم اتشرف من اعلي
 الاكام فما كنت اري احدا سوي نالني التعب
 من ذلك الامر والاجتهاد الفارغ

فالان اني حاجت ذاتي هكذا اي ان الافضل بي
 ان لا ابتئس باحد منهم وابقى غير معلوم في
 هذا المكان من احد طالما اقدر احجب نفسي عن
 العين لان في فعلي هذا اي اني اقتل بعضا
 منهم اجاب علي الهلاك في الدارين لاني من اين
 اعلم اني اقدر ان اعدمهم كلهم فمن غير شك ان
 البقية يطلبون اثري فيقبضوني ولا يدعوني افلت
 من بين اياديهم وربما ينجني بعض منهم فيذهب
 ويجمع الوفا فياتون ويهلكوني اوياكلوني وانا في
 قيد الحياة • ولوقت تذكرت كلامه تعالى اي
 لا تقتل فبدت افكر انه لا يجب علي ان افعل
 هذا الامر اي ان اقتل الغير لان القتل مضاد
 للالتزاماتي المسيحية وكون مرتكباً خطية سفك
 دم انسان دم زكي • فاقول زكي نظري بالتخصيص
 لانهم ما فعلوا معي شيئا ولو انهم يقطعون بعضهم
 وياكلون الواحد للآخر فانهم ما ضرروني فالافضل لي اني
 اسلمهم بيده تعالى الذي له الانتقام والجزا اذانه

قاضي عادل وكلما يليق لحكمته الفايقة يفعل
معهم . فللوقت خررت علي ركبتني وتضرعت اليه
تغالي ان يغفر لي ما افتكرت ان افعله وينجيني
من ايادي السافكين الدما وان يحميني ان لا
اسقط في اياديهم

فرفعت من فكري ما كنت طالبا ان افعله ومن
ذلك الوقت ما صعدت ابدا علي الاكام حتي اتشرف
فاهتديت اخيرا علي راي اي ان اجول القارب
من مكانه فذهبت حالا واتيت به اذ كان مربوطا
علي الجانب الاخر من الجزيرة ولميت كلما كان لي
هناك من الامتعة وقدمت بها الي الناحية
الشرقية وربطته في داخل كهف حتى لا احد
يكشفه ولا يكون سببا للبحث عني . ثم جعلت
قصري قلالية وكنت اعبد الله فيه ولا كنت اخرج
منه سوي لما كنت اذهب واحلب المعزي والقطيع
الصغير الذي نقلته في الزور وكان محفوظا خالصا
من كل خطر . وفي ذلك الحال كنت متحقيقا

ان ولا واحد من هؤلاء البربر اتى الي هذا المكان
 حتي ولا ابتعدوا من الشاطئ ابدا حيث انهم
 اتوا مرارا متواثرة الي هذه الجزيرة . ولما كان في
 ذات يوم اتوا البربر المستكلمين وخرجوا علي الجزيرة
 حسب عادتهم فارتعبت لما رايتهم فتطلعت وراء
 مع الانزعاج فافتكرت وقتيذ علي اي حالة انا حاصل
 لاني لاقيتهم سرعة . ولا انا متحضر وخالي الاسلحة
 وليس معي سوي بندقية واحدة محشية بخردق
 خشن وكيف ما ارتعب ويغشي علي اذاري
 قدامي نحو عشرين نفرا . فلو راوني للحقوني
 مع سرعة جريهم ولا دعوني ان افر من بين اياديهم
 فهذه الافكار بدت ان تضيق نفسي وتغل
 جسدي فحصلت في ذلك الوقت علي كابة عديمة
 الشبه الي ان العناية الالهية ازلت عني هذا
 الوهم من قلبي وبديت اتامل باقتدارات العناية
 الالهية المقدسة التي لا يفهمها احد وقلت ما اعظم
 تحنن الله نحو البشر وكيف انه يخلصنا خلاصا

عجيباً لما نعدم حسناً وراينا بالكلية ونختار بامرنا
ولا نعلم ماذا نفعل لما يتراكم علينا ووطا الارتياب والعجلة
ما اعظم الرشده المقدس الذي يرشدنا به تعالى
خفية ويقودنا في الطريق المسهد لما نجتهد ان
نخرج منه ونشماز منه

فاضطرابات الضمير واعتناي في محافظتي على الجتمها
في الاختراعات الاتية وفعلي ضد اجتهادي
السابق . فامتنعت عن العمل الذي يطالع له
حس مثل التحجير ودق المسامير وقطع الخشب
وتقويض البندقية وارتايت ان لا اشعل نارا
ايضا ليلا احد يسمع صوتا او يري دخانا فيطلب
اثري وبما اني كنت معتادا ان احرق فخاراء
دخلت داخل الكهف الذي وجدته في الزور وكنت
احرق كلما اعتاز اليه فذات يوما احوجتني الضرورة
ان احرق فحمما لاجل الخبز والطبخ ولما كذت
اقطع خشبا من الشجر لاجل ذلك القصد كشفت
كم فكا كان مستترا في الاشجار العاكفة فتقدمت علي

الشجرة التي كانت سائرته فقطعتها ونظفت
 القصب والبردي اذ كانت ملزوزة مع بعضها
 فكشفت بابه ودخلت فيه وكان عاليا كافيا لي ان
 اقف داخله من غير ان احبى ولا راسي يدق السقف فلما
 دخلت قليلا رايت به بدايضيق واخيرا بديت احبى علي
 يدي ورجلي ولما دخلته وجدت سقفه عاليا فوقفت
 وتحققته جيدا وبديت انظر في حيطانه فرايت
 واذا سقفه وحيطانه ترهج فحسنت انها مطلية
 بذهب ابريز او انها حجارة كريمة او مرصعة بالماس
 وهاج حقيقة ان ذلك الكهف كان من عجائب
 الزمان ولو ان مدخله مظلم • واما ارضه فكانت
 يابسة وممهدة وتزي حصي ملونا مفروشا عليها
 ولا كان فيه وحش ولا دبيب اخاف منه فعيبه
 كان ضيق الباب فبدت ان افكر واقول ان هذا
 المكان هو مناسب لحفظي وارتابت ان اعمله مخزنا
 لي فانطلقت حالا واتيت ببندقيتين مدرهمتين
 وثلاثة بندقيات رصاصيات وعلقتهم داخله

وانيت بصندوق ووضعت فيه ستة ارطال بارود
يابس وجرابا مملوا رصاصا وخردقا وبعد ذلك
حولت عزالي من منزلي ونويت ان اسكن فيه
مستامنا

فالان لي ثلاثة وعشرون سنة منذ لقيت علي
هذه الجزيرة القشرا واما افكاري فركنت اكثر من
قبل وحصلت علي راحة عظيمة عديمة الوصف
وجميع قلبي وارتياي زال عني وفارقني بالكلية
واردت ان اقضي وقتي في الابتهاج الوافر وان انبسط
ولا افكر عن شي البتة * ففي هذا الاوان تعلم
البيغال لغتي وكان يلفظ الكلام لفظا فصيحاً جلياً
فهذا كان لاجل تعبي واعتنايي ان يتكلم ويسليني
لاني كل يوم كذت اقضي معه حصة واعلمه واما
كلبي فعاش تسع عشر سنة ست عشر منها عاش
معي في هذه الجزيرة وبعد ذلك مات * واما
قططي فتكاثرن جدا حتي اني التزمت ان اقتل منهن
واهرب البقية الي الزور ماعدا ثلاثة منهن حويتهن

ليصطادن الجرادين والفار وماعدا هولا حويت
ثلاثة جديان للعب معهم وكنت اعلمهم ان
ياكلوا من يدي وايضا حويت ببغالين اخرين
وكنت اعلمها ان يقولوا روبنصن كروزي لكنها ما
يرحبا في اللغة والكلام مثل الاخر نظرا لقلّة كلامي
معها وكانت عندي طيور كثيرة مسكتها وقصيت
اجنتها وسببتها داخل قصري ومع كل ذلك ان
الصدف الغفلية كانت تلاشي بغتة تمتعات احوال
هذه للحياة الغير معلومة اذ انني ما كنت مترقبا
لها ابدا . فاما هذا الزمان الذي انا مخبر فيه عن
احوالي هو شهر كانون الاول وهو زمان للحصاد في
هذه الاقاليم وكنت مستعدا لحصاد الشعير والارز
وان ادقها واذريها قبل ان ياتيني الصيف للحر
الشديد . فلما بدرت ذات يوم صباحا حسب
عادتي لاذهب الي شغلي (وكان ذلك قبل مايشق
الفجر) تراي لي من ناحية ساحل البحر وجة
لهيب بعيدا مني مقدار ميلين فقلت لا بد ان البربر

اتوا الي الجزيرة وهم الذين عملوا هذا النار فلما بديت
 افكر في هذا الامر تراكم علي خوف مرعوب وانزعج
 لا يوصف لقربهم من المكان المزدحمة فيها اغلالي
 فبدت افكر هكذا واقول ربما انهم يبتعدون
 من الشاطي ويرون الزرع فيعرفون ان هذه الجزيرة
 مسكونة فرجعت حالا الي منزلي وضعت الي
 القصر ورفعت السلم الي فوق حتي لا احد يقدر
 ان ياتي الي * وحضرت نفسي للقتال فحشيت
 البندقيات والطبجات وسلمت نفسي بيده تعالى
 وهو يحميني وينصرني عليهم وحميت ان اقاتل الي
 اخر نسمة حيوتي * فبعد مقدار ساعتين قلقت
 ولا قدرت ان اهجع ساكبا في القصر محبوسا
 الا اني قمت حالا وضعت علي الاكام حابيا لئلا يفقشني
 احد منهم فانضجعت علي بطني واخذت النظارة
 في يدي وميزتهم جيدا فرايت واذا تسعة انفار
 جالسين حول نار مضطربة عرايا وباياديهم لحم
 الناس الذين قتلوهم وهم ينهشون به كانهم

كلاب مكلوبون وكان صحبتهم قاربان مربوطان
علي الشاطي وهم منتظرون تغيير الطقس حتي
يذهبون الي بلادهم • فلما رايت ذلك تحيرت
خصوصا لما رايتهم قريبين مني واذا عرفت ان
قدومهم مع هبوب الريح همد انزعاجي وقطع
عقلي حالا اني اكون مطمئنا طالما الريح مضادة
لهم ولا واحد منهم ياتي الي ههنا بشرط ان كانوا
ما اتوا قبل عدال الريح التي انا في صدها •
وبعد برهة وجيزة تغيرت الريح فركبوا القاربين
وذهبوا في حال سبيلهم فلما رايتهم انهم ساروا وابتعدوا
من الشاطي اخذت بندقيتين معي وطبجتين
وتلقت سيفي الكبير علي جنبي وذهبت الي
الكام الذي كشفت منه اول مرة هولا البربر
فرايت ان ولا واحد بقي منهم في الجزيرة فذهبت
الي المكان الذي كانوا مجتمعين فيه فرايت بقايا
الذبايح وفضلاتها مثل دم وعظام وحشرات البطن
وجاجم وقطعا اخره من الاجساد البشرية مخلوطة

مع بعضها فارتعبت للوقت وبديت ارجف من
خوفي وغيظي وكانت اسناتي تدق مع بعضها من
الامور التي شاهدها عيانا . فقصدت ان انتقم
منهم حالما يطلعون علي هذه الجزيرة ولواني اعدم
حيوتي فتراى لي ان اتيانهم الي هذه الجزيرة ليس
متوافرا لكنهم في النوادر ياتون لما يحدث لهم
حرب مع بعضهم ويمسكون اسرا كما بلغني للخبير
عنهم والنافي اميريكا وكيف هي حالة امورهم فالان لهم
خمسة عشر شهرا منذ اتوا الي هذه الجزيرة اخرمرة .
واما فكري فما زال منزعجا . ومضطربا نظرا
للأمور التي شاهدها والفعائل المقبوحة التي رايتهم
يارسونها امامي . ومن ذلك الوقت وصاعدا ما
بقت لي جراحة ان اقوص بندقية في تلك الناحية
من الجزيرة حيث انهم يجتمعون ويتمتعون بالحومة
بني البشر خوفا لئلا يسمعون صدفة ويرجعون علي
بماية قارب وفي ذلك الوقت الله وحده يعلم
ماذا يفعلون بي وماذا تكون غايتي ومن هذا

الوقت الي سنة كاملة ما رايت ولا قاربا تخايل
امامي

وفي تلك المدة حدث امر مغم جدا يستحق له
الحديث والاستماع . وذلك انه في اليوم السادس
من شهر ايار بدت الريح تهب هبوبا مزعجا وصارت
زوابع مخوفة وكانت الامواج تتعالى كأنها جبال وفي
طول النهار ما برح البرق لامعا والرعد هادرا ولما
صار الليل ازداد جدا ولعظم خوفي اذ انني ظننت
ان الجزيرة ستغوص في البحر من عظم الرعد
والزلازل اخذت الكتاب المقدس وبديت اقرا واطلب
منه تعالى ان يحفظني بيمينه ليلا اهلك بغتة
وبينما انا اقرا بجملة سمعت تقويس مدفع فخمنت
انه صعاقة فقسيت في البحر ولما تفتنت في الحس
جيذا قلت ان ذلك الحس هو حس تقويس
مدفع وليس هو صعاقة . فقممت علي رجلي حالا
وانا مرتعب وطلعت علي الاكام فما اري الا ونارا
وجت في البحر واخيرا اعطت حساقويا فثبتت ان

ذلك للحس هو حس مدفع فلمحت الضو بارقا من المكان
الذي القاني البحر عليه فما بقيت اعرف ماذا
اعمل فقلت لابد ان مركبا جري له شي وراكبونه
متضايقون وتقويس المدفع هو علامة ضيقتهم
ودتي يسمعونهم احد فيذهب اليهم وينقذهم *
فلا احد يعلم ماذا حل بي من الغم والحزن ولا
طالع من يدي شي حتي اعينهم * ثم جمعت
للخطب اليا بس الذي كان حاضرا عندي في ذلك
الوقت ونصبت مصطبة عالية ووقدت عليها
النار * فانا لمتحقق انهم راوا النار لانهم قوصوا
مدفعا اخر اذ لما قام اللهب * وبعد ذلك قوصوا
مدافع عديدة علي امرار وكان ياتي حسها من
مكان واحد * ولما عرفت ان تقويس المدافع هو
ضيقة اهل المركب وانهم في خطر دمت ساهرا
تلك الليلة شاعل النار من غير انقطاع وحين
طلع النهار همدت الريح قليلا مديت نظري فرايت
شيا من بعيد عايما علي وجه الماء فما كنت

قادرا ان اميزه ماذا يكون حتي وفي النظارة نظرا
للاشابورة الكثيفة التي منعتني عن غايتي * ثم بعد
قليل اضمحل الضباب وقويت نظري وحدثت
جيذا فرايت شيئا واقفا غيره متحرك فعرفت حالا
انه مركب ملقي علي الصخور ولما اقتنعت وتيقنت
ايقانا ثابتا انه كما اني زاعم ذهبت حالا واخذت
بندقيتي وانطلقت الي الناحية الجنوبية من
الجزيرة الي المكان الذي لقائي البحر عليه * ولوقت راقت
الريح وهمد ضجيجها والضباب تلاشي بالكلية نظرا
لحمي الشمس والبحر غلن وصار كانه بركة واقفة *
ولسو حظي رايت ان المركب ملقيا علي الصخور
المغطية بالمالا التي وجدتها لما ذهبت مرة ما في
البحر وانا راكب القارب فقلت ماذا افعل حتي اكسب
شيئا من هذا المركب

فلما لاحظت عن كلما يخص هذا المركب المكسر
وتحققنت انه ولا واحد من راكبيه خلص تراكم
علي الغم سرعة وصرت حزينا جدا كان ساير

احبابي ماتوا وتاوقت قايلًا يا ليت شعري انه خلص
منهم واحد او اثنان حتي كنا نعيش سوية ونعزي
بعضنا في هذه الجزيرة الخالية من الانس والجنس
وهكذا شوقي تحرك حتي لما قلت يا ليت شعري
انه خلص منهم واحد او اثنان بدات يداي ورجلي
ترتعش واسناني تصر مع بعضها ولما كنت متحيرا
ومغموما وجدت جثة ملقاة علي الشاطئ بعيدة مني
قليلا فقصدتها لاراها ماذا تكون فوجدتها جثة بحري
غريق وكان عليه صديري وقميص كحلي اما انا فكننت
اشا ان اعلم من اية امة هو فمددت يدي في
جيبه فوجدت قرشين وسبيلا واذا رايت البحر
مغلنا اجتمعدت وخاطرت بنفسي ان اخذ قاري
واذهب الي هذا المركب اذ اني قلت ربما اجد شخصا
ما حيا علي المركب فاتي به الي الهر وانقذه
فرجعت حالا الي منزلي وانا مفتكر هكذا وحضرت
كلما اعتاز اليه للسفر مثل عرق وخبر وزبيب وما
واتيت الي قاري ووضعت كل شي فيه وتسلمت

بكلب حي ينعوص من اعلي المركب ويهزلي
بذنبه فدعيتة الي فمن شدة جوعه طرح نفسه
في البحر قصده ان ياتي الي فمددت يدي واخذته
الي القارب ووضعت قدامة خبزا فاكل كانه ذيب
مدهوش وبعد ذلك صببت له ماء في وعاء فشرب
وطابت نفسه فطلعت وقتيذ علي المركب بحبل
لأنظر شيا ما ينفعني فدخلت اولا في المطبخ
فرايت رجلين مائتين الواحد ماسك الاخر فقلت
كم مقدار غطس في قلب المياه هذا المركب حتي
غرقا هذان الرجلان فيه ولما كنت ذاهبا واتيا من
مكان الي مكان علي ظهر المركب لاري ما فيه عثرت
بعدة براميل خمر فما كنت اعلم انها مملوءة خمرا
ام عرقا ولا كنت اعرف كيف استطيع ان احدها
في القارب لانها كانت كبيرة تفوق قوتي وعلي
ذلك النحو عثرت بصناديق عديدة فظننت
انها للبحريين فتعارفت علي اثنين ونزلتها في
قاري من غير ان افتحها واري ما يوجد فيها ولما

كنت افتش عشرت يرميل مملو كسير للحياة
فتعارفت عليه واحدرته في قاري ونزلت في القمرة
فوجدت بندقيات عديدة فتركتهن ولكن اخذت
معي برميلا صغيرا مملوا بارودا واخذت ايضا زنادة
وصوفان ودستين وبكركا لغلي القهوة وهاونا لدق
الملح والفلفل وغيرهما فهذه كلها كنت اعتازها
جدا لاسيما الزناد والصوفان فعبيت كل هذه
الاشياء واخذت الكلب ولزمت طريقي راجعا الي البر
فبدت اقدف بكل بتعي فبالجهد وصلت الي
البر في الغروب بعد ان قاسيت تعبنا ونصبا
فبت تلك الليلة وارحت جسدي المتعب حاتما
اني اقوم صباحا وانقل كل الاشياء التي اتيت بها الي
منزلي الجديد الذي وجدته تحت الارض ولا
انقلها الي القصر القديم فبعد ما ان عافرت ونقلتها
كلها بدت افتحها واري ما فيها فعجبتني غزوتي
اولا اتي لما فتحت الهرميل وذقت كسير للحياة
الذي فيه فكان خارقا ولا له نظير ثم فتحت

صندوقا واحدا فوجدت فيه اشيا متعددة نافعة لي وهي هذه صندوقا صغيرا مملوا قرايز ماء كثريرة البير ووجدت ايضا عاميتين مملوتين حلويات واخرتين ايضا من جنسها وانما ما البحر عدمها ووجدت ايضا جملة قمصان جديدة فبهذه فرحت فرحا عظيما جدا ومقدار خمسة عشر منديلا من الكتان الرفيع وهذه ايضا وجدت لها لقية لان محارمي تشرمطت ولا بقي عندي شي امسح وجهي به ووجدت ايضا ثلثة اكياس مملوة دراهم فرانسا ودبالين . ففتحت الصندوق الاخر فوجدت فيه ثيابا مخلقة ومقدار رطلين بارود ذخير فالاشيا التي اتيت بها رايتها ما تحرز شيا ولا اقتنعت بها فالفلوس عدتها كالربل ولا اعتبرتها ابدا لانها من غير نفع ولا فائدة يحصل لي منها . فاردت من كل قلبي ان ابدلها بثلثة ازواج صرامي انكليزية او بخمسة ازواج جوربات لان الصرامي التي كانت عندي تخلقت كلها وذابت ما عدا الزوج الذي

نزعته من رجلي البحري المنكود للحظ الذي وجدته
ملقيا علي ساحل البحر ففي الصندوق الثاني ما
وجدت ذهباً ولافضة فتراي لي ان الصندوق الاول
كان لقايد اورثيس والثاني يبان مما فيه لرجل بحري
من جملة البحرية وبما ان الدراهم كانت محقورة
بعيني هكذا طرحتها علي جانب في المغارة كما
فعلت بالفلوس التي اتيت بها من المركب
الذي اتيت فيه وحتمت ان اردھا الي اهل اصحابها
اذا اردني الله الي بلادي . وبعد ما فعلت كل
هذه رجعت الي قاري واتيت به الي المينة القديمة
وربطته في مكان حصين ولما رجعت الي قصري
ورأيت ان عندي كلها احتاجة افتكرت ان اقرمط
علي نفسي ولا ابدرق هذه الاشيا واشط بها ليلا اقع
في العازة بعد ذلك . ولو اني كنت عايش عيشة
مرفهة ولست مفتقرا الي شي لازم مع اني كنت
قلقا جدا نظرا لهندي بالهرير واتيانهم الي هذه
الجزيرة وكنت احتفظ جدا علي ذاتي فافتكرت ان

انا فعلت هكذا واستحضرت علي ذاتي فلا ينالني
ضرر وهذا كله باطل لان البربر ما يجولون ابدا
للجزيرة لاسيما هذا المكان القايم انا فيه

فذات يوم قمت صباحا بعد ان قضيت سنة
ونصف في امان الله وتشرفت الي ناحية البحر
فرايت خمسة قوارب مربوطة علي الشاطي فانزعجت
للوقت وبدا يرجف جسدي كله وارتخت مفاصلي
ولاكنت اقدر امشي لعظم خوفي فتشرفت جيدا
علي الشاطي فرايت البربر كلهم واقفين علي الشاطي
فخلطاني الندم اذاتي ما تحارفت علي هلاكهم قبل
ما اتوا ولا بقيت اعرف ماذا اصنع فقممت داخل
القصر غير متململ ولا جاعل سببا ان يعرفوني
وحضرت نفسي حتي اذا اتوا علي فاكون مستعدا
لمقاتلتهم فمكثت داخل القصر مدة وبعد ذلك
حمي علي طبعي فما هضمت ان اصبر اكثر من
ذلك لكنني اخذت سلاحي وبندقيتي وصعدت
علي الاكام لالتشرف فصعدت وانا حاي ومتختل بين

الصخور ليلا يرآني احد منهم فوقفت ورا صخرة
ونظرت بالنظارة واذا هم مقدار ثلثين عبدا قد
احتاطوا حول نار مضطربة ناهشين باسنانهم
كالكلاب لحم الذين اتوا بهم وذبحوهم وكانوا ياكلون
اللحم بشهوة وينغنون العظام والبعض كانوا
ياخذون قطعاء من اللحم وياكلون ويرقصون
وينطنطون كانهم ظافرون باعدايهم والاشيا التي
فعلوها كانت هولا الربرر بشعة وتقشعر للجسم

ولما حدثت نظري بهولا الناس غشيت من
جزعي لاسيما لما رايتهم ساحبين رجلين من القارب
ليفعلوا بها ذلك الفعل الشنيع كما فعلوا بالاولين
فعالا ضجعوا احدهما علي الارض وذبحوه بسيف
من خشب حسب عوايدهم البايسة وهذا كله
كنت اراه جليا بنظارتي ثم تقدموا عليه كالذياب
وبدوا يقطعون من لحمه ويضعونه في النار وياكلونه
واما الآخر فكان واقفا علي ناحية منتظرا اجله كانه
حمل مستعد للذبح والمذكور لما رايت الاحوال وما حل

برفيقة اذ انه في دقائق قليلة تقطع اربا اربا
والكلوه حزن وبدت الدموع تهطل من عينيه
ثم تطلع حواليه وهو مضطرب من الموت ولما راي
له فرصة للهروب (وهم كانوا مشغولين باكل
رفيقة) تطلع يمينا وشمالا وهو خائف علي حيوته
وساب رجليه هاربا منهم كانه طير فزعاء ليلا يلحقه
احد ويقبضه ودام جاريا الي ان اتى قدام قصري
القديم

فلما رايتة داس ارضي وانه يكون سبب كشف
حالي خفت جدا لاني ثبت في ظني لابد انهم
كلهم يتبعون اثره ليقفشوه ثم يرون العمار فيعرفون
ان هناك ساكنا . فتشجعت وقلت اني اريد
افتك بهم واجعل جشهم ماكلا لطيور السما
ولحيوان البحر فما زلت متخبيا في مكاتي طالب
اخر الامر . وبعد قليل لاحظت جيدا ورايت
واذا ثلاثة رجال شردوا من البقية واتبعوا اثر
الذي هرب منهم . اما انا ففرحت فرحا لا يوصف

عند ما رايت خفة جري المسكين الذي كان
مستعدا ان يذبح ونهجم امام طالبيه وسبقهم جدا
فلاخطت عيانا اي اذا جري مقدار نصف ساعة
فمن غير شك انه ينجي من بين اياديهم فبالاثنى
توجه علي للخليج الذي طلعت منه لما طرحني
البحر علي البر فانحصر ولا بقا له مفران ينجي
من بين اياديهم فقلت الان يقبضونه اما المذكور
فكان يعرف يعوم واذ حصروه طرح نفسه في الخليج
وعام مقدار ثلثين فوجة ثم طلع علي البر الاخر من
الخليج وبدا يجري كانه ربح فلما اتوا الثلاثة الطالبون
اثره الي الخليج رجع منهم اثنان لانها ما كانا
يعرفان ان يعوما وذهبا الي جماعتها

واما ثالثهم فكان متشجعا وبليطا وانما كان
قليل الجري فرمي نفسه في الخليج طالب اثر
الهربان ففاج وعبر اما حالالانه كان سباحا اقشر
ورايته انه حتم ان لا يرجع خلاه * فرايت حينئذ
ان الزمان قد حان ان اقتني لي خادما ومعينا

ولحظت كان العناية الالهية الهني ان اخلص
نفس هذا المظلوم فحالا وضعت سلمي باستعجال
واخذت بندقيتي ثم تخروطت من غير اجعل
سببا ان يلحقني احد وبديت احبي واجري
من وراء التل وصلت الي ناحية البحر قاصدا ان
اعيق اللاحق عن مرأته والنتيجة قطعت من
نصف التل وصرت ما بينها وقطعت اللاحق
وصرخت علي الهربان ان ينظر الي ورايه فلما
التفت وراي ارتعد مني اكثر مما ارتعد من
العدو الهارب منه فاشرت له بيدي ان يرجع
وللوقت وصل الطالب اثره اما اننا فاردت ان اقوص
البندقية في صدره الا اني خفت لئلا يسمعون الآخرون
ويكون الامر الاخير اشر من الحاضر فبديت اخمن
ماذا افعل هل انهم يسمعون ام لا فقلت ولو
انهم يسمعون للحس فما يعرفون ماذا يكون * ثم
ان اللاحق وقف وبدي ينظر الي متعجبا من اين اتيت
ولما تقدمت اليه رايت انه اخذ القوس بيده

واخرج سها ما من مخلاته ووضعها فيه وتقبل علي
من غير كلام ولا حديث قاصدا ان ينشبي*
فلما رايت ضرورة حفظ للحياة قوصته حالا ولقيته
ميتا علي الارض في اللحظة التي كان يريد ان
ينزع بها حيوتي فلما شاهد هذا الامر الذي كان
هاربا وقف صامتا غير متحرك وفزع عند ما راي
عدوه ملقيا علي الارض مايتا لانه ظن اني اريد
ان انزع حيوته مثله وانبهت ايضا لما سمع صوت
البندقية ووقف متحيرا غير متحرك كانه امرأة
لوط* فالتزمت ان اصرخ عليه ايضا مائرا اليه
باجلي بيان حتي يقرب الي فلحظت انه فهم هذه
الاشارة اذ انه قرب الي ولما ظن اني اريد ان اقتله
كما قتلت عدوه وقف مني بعيدا وكان تارة
يتقدم الي وتارة يقف في هذا النوع الي ان فهمت
جيدا انه خائف مني ليلا اقتله فتطلعت اليه
ببشاشة وجه ولم ازل مائرا له ان يتقدم الي
ولا يفرع واخيرا جاء ووقف حذاي وخر ساجدا وبدا

يقبل الأرض قدامي ووضع راسه بين رجلي وكان يرفع
رجلي ويضعها علي راسه ففهمت ان هذه العبارة انها
اشارة للحلف انه يكون عبداً لي الي الابد . اما انا
فرفعتة من الأرض وفرحتة وجعلته يفهم ان لا
يفزع ابداً

ان العجب والاندهال الغريب الذي حل
بخادمي لما راي كيف قتل عدوة من بعيد من
غير قوس ولا سهام وكان يشتهي ان يعرف كيفية
الامر فاشارالي ان اعطيه اجازة حتي يذهب ويرى
عدوة المايت فاذنت له بالذهاب وبقدر امكاني
كنت الاطقة واعطيه مرغوبة . فلما مضى الي
عند الجثة تحير جداً وبدي يقلبها يميناً وشمالاً
منذ هلا لانه راي للجسد مجروحاً من داخل فلما
شبع من تقلبيه يمينا وشمالاً متاهلاً كيف انه جرح
وصدرة مفتوح هكذا اخذ منه ذلك القوس
والسهم ورجع الي . ثم اني درت وجهي قاصداً ان اذهب
الي محلي فاشرت له ان يلحقني ليلاً يلاحظوا

البقية لفقد رفيقهم فياتون ويهلكونا . فرايت انه
 فهم هذا الامر جيدا بتأشيرة لي ان قصده يحفر
 ويطمه حتي لا احد يراه وبالإشارة انا ايضا اعلمته
 افعل ما تريد . فتقدم مستعجلا وبدا يحفر الرمل
 بيديه وعمل جومة عميقة ودحرجه فيها من
 غير كلام ولا حديث وجر الرمل فوقه ثم دعيته ان
 ياتي ررايي فاخذته الي المغارة في المكان الاقصى
 من الجزيرة . ولما وصلنا الي مكان الأمان ورايته
 تعبانا لهثانا وقد خور من الجوع والعطش . اعطيته
 رغيف خبز وحفنة زبيب لياكل وقلة ما ليشرب
 فاخذ ما اعطيته وبدا ياكل ويشرب وينسر لخلص
 نفسه من الموت الضريع ثم اني عملت له فرشة
 مناسبة محشدة بالقش واشرت له ان ينضجع
 عليها وينام فطاعني وتمدد عليها ليسترجم .
 حقيقة انه كان جميلا ناعم الاعضا ومرفع القامة
 واما عمره فخمسته نحو ست وعشرين سنة ووجهه
 كان بشوشا خصوصا لما كان يضحك فخلاوة الناس

البيض كانت عليه وشعره طويلا واسود نازلا علي
 اكتافه وجبهته كانت عريضة قليلا وعالية وعيناه
 كانتا تغزلان كأنها عيون الريم واما جلده فما
 كان اسود كجلد الاميريكانيين لكنه كان يضرب الي
 الكمودية وانه كان مدور الوجه ومنهم الانف
 وصغير الفم ورفيع الشفتين وابيض الاسنان والنتيجة
 ان جسمه كله كان خاليا من العيوب كجسم ابيشالوم
 فبعد ما نام مقدار ساعة ما وانا كنت وقتئذ
 احلب المعزي قايا قريبا منه ما اري واذا هو قايم
 بسرعة من علي فراشه فاتي الي ولقي نفسه علي
 الارض ساجدا امامي وكان يومي الي مباشرة
 شاكر افضالي التي فعلتها نحوه اذ ابي تجدته من
 يد عدوه ثم رفع راسه ايضا علي الارض قريب
 رجلي الواحدة واخذ رجلي الاخري ووضعها علي
 راسه كما فعل سابقا موضحا لي بالاشارة انه
 خادمي ومملوكي وكان يفهمني بالاشارة ايضا انه
 يريد يخدمني الي اخر نسمة حيوته واذا رايت انا



روبنسن کروزئی یخلص جمعہ خادمہ من ید القاتل

هذا منه جعلته يطمان علي نفسه ولا يفرغ
وعرفته بالاشارة ايضا اني فرحان به جدا وبعد
مدة قصيرة بديت اتكلم معه واعلمه كيف
بتكلم معي

وقبل كل شي جعلته يفهم ان اسمه جمعة
من اجل اني خلصته نهار للجمعة وعلمته ان ينده
لي معلم وفهته ان هذا هو اسمي وعلمته ايضا ان
يقول نعم ولا وفهته ما هو معنا نعم ولا ثم اعطيته
حليبا في وعاء فخار وخبزا فاخذت انا انت للخبز قبلا
وانغمس في الحليب وبديت اكل قدامه قصدي
ان يتعلم مني اما هو ففهم ما عات واخذ للخبز
وفته وغمس واكل حتي شبع ولما انبسط قام
وبدي يستكثر بخيري ويدعي لي

فحاول تلك الليلة جعلته يسقيم معي ورفقه
مبسوطا ولما طلع النهار واشرقت الشمس امرته ان
يقوم ويأتي معي واشرت له اني اريد اعطيه
لبسا كمثل لبسي اما هو ففهم ما عنيت له

وابتهج لانه كان عرياناً بالزلط ولما سرنا قليلاً واتينا
 الى المكان حيث مدفون عدوه اشار الي موميا
 لي بيده العلامة التي عملها علي قبره و اشار الي
 ان يحفر عليه لناكله فاذا رايت منه هذا قطبت
 وجهي واظهرت له اني متفرق من هذا الامر ومستبشع
 جداً واوميت له كاني اريد ان اتقيي • ثم اشرت
 له بيدي ان يمضي بنا فسمع هني طايعا وتسرب
 قدامي وبعد هذا اخذته الي راس الاكام ان
 نكتشف هل ان الهرب الذين اتوا به انهم ههنا
 اما ذهبوا فتطلعت في النظارة جيداً وتشرفت
 يمينا وشمالاً في الارض التي كانوا مجتمعين فيها فما
 وجدت لهم اثراً وما رايت ايضاً ولا قارباً من
 قواربهم وظهروا لي انهم لم يبالوا عن صاحبهم الذي
 قتله لانهم لو افتكروا عنه لكانوا فحصوا عنه او انهم
 يتركون له قارباً حتي يلحقهم فيه بعد رجوعه
 فاشتقت ان اطمان علي حالي واعرف هل
 انهم ذهبوا اما لا فانحدرت حالا من الاكام

انا وخادمي جمعة بشجاعة وسرنا سواء الي المكان
المدوم الذي يجتمعون فيه فلما وصلت الي هناك
وشاهدت الامور المبهولة ادركني الفزع وارجفني
لخوف ولجزع واما خادمي فما كان يبالي من ذلك الامر
ولا كان يحسب له حسابا لانه واحد من اكاليين لحم
بني ادم . فوجدت بين هذه الاعماق قطع لحم
قد اكلوا منها ورموا البقية لشبعهم والامعا كانت
مختلطة بالدم شي يقشعر للجسم والمكان ينتن من
رائحة جيفة الامعا والدم الذي جري كانه سيل
ولما كنت واقفا موخوذا بهذه الامور ما اري
والا خادمي انكب لياخذ قطعة فانتهرته ثم طرحها
من يده وتحصر وبدا يفهني انهم اتوا الي ههنا
باربعة انفار اسرا ليغتنوا بهم فاكلوا منهم
ثلاثة وهو كان رابعهم فاشر علي نفسه واعلمني انه
جري بينهم وبين ملكة حرب مدوم وقتل
اناس كثيرون من الجانبين وفي تلك الوقعة قبض
هوذاته اسيرا مع كثيرين اخرين من جماعته وكلهم ذهب

يليق هدية للملوك فعطيت له ايضا طرطورا
كنت عملته من جلد الارنب فلبق له جدا كانه
اديب من ادبا مصر وهذه البدلة سميتها
النظام الجديد واما خادمي المذكور لما راي ذاته
مكسيا بدي ينظر الى نفسه يمينا وشمالا ويتباهي
كانه ملك، زمانه وكان ايضا يوعي لحوايج غاية ما
يكون

فاما افتكاري كله كان اين اسكنه حتي يرتاح
راسي فنصبت له خيمة في الوسع بين السورين
الذين ابنتيتها وبما ان المجاز كان الي الكهف
عملت كالعمارة السابقة وفتحت باباء من داخل
وكنت اغلقه طول الليل وارفع السلم الي فوق
خوفامن خادمي ليلا يقحم ويخون بي واذا تجاسر
واراد ان ياتي علي فلا يجد له طريقا مالم يعمل
حساء وبذلك انا استيقظ واقوم مضادا اياه
وكل ليلة كنت اخذ العصي واضعها جنب
السرير حيث انام • ولعمري انه ما كان يلزم الي

هذا الاعتنا الكلي لانه ولا معلم امتلك كذا خادما
وديعا مطيعا عاقلا امينا كمثل خادمي جمعة ولا
كان يعرف الغضب والمناكفة ولا للحقد بالكلية بل
كان كامل الاوصاف مستقبلا علي عمله طالما له
فرصة * وصحيتة تجاهي كانت اكثر من محبة الولد
لوالديه * لاسيما انه كان يريد يبذل حياته لاجلي
في كلما تحوج اليه الضرورة ودلائل شتي اوضح
لي عن ذلك كافية لاقتناعي ان لا اتعب حالي في
هذه المحافظات بالباطل

فبعد ثلاثة ايام رجعت الي قصري متقصدا
باي مادة استطيع ان اتي بخادمي جمعة من عادته
البايسة اي اكله لحم بني ادم وانزع عنه تلك
العادة الوحشية التي تملكته فيه من انتشايه
فافكرت ان اذوقه لحما اخر وانزرعه للحلة الوحشية
وكنت اتكلم معه ضد عادته الملعونة السيئة
ف ذات يوم قمت صباحا واخذته معي متقصدا
ان اقتل جديا من القطيع واتي به الي داري

واطلخه وبينما نحن سايرون رايت معزة راقدة في
 ظل وجديين راقدين معها فانشرت لخادمي جمعة
 ان يقف غير متحرك وجيت قليلا وقوصت واحدا
 من اللجدين فلما راى خادمي الفقير اذ كان واقفا
 قريبا مني والي ذلك الوقت ما عرف باي شي
 قتلت عدوة وكيف وقع مايتا فهكذا وقف مرتعدا
 نا ظرا اليّ بحيرة فظننت انه يقع مغشيا لخوفه
 اما هو فما نظر الي اللجدي الذي قتله ولا سال ماذا
 فعلت لكنه بدي يخلع ثيابه وينظر الي جسمه
 هل اصبته ام لا طائنا اني قاصدان اقتله وللوقت
 تقدم الي وخر علي ركبتيه عاجلا وكان يتكلم كلام
 توسيل ويتدخل علي بايادية فانا بما كنت افهم
 ما يقول وفي الاخر فهمت انه يتضرع الي ان لا انزع
 حيوته

اما رحمتي تجاه فكانت عظيمة وكنت دايا افهمه
 واقنعه اني لن اقتله فمسكته بيده وانا متبسم
 فاريت اللجدي الذي قتله واشرت له ان يحمله

وكان يتفحص فيه يمينا وشمالا كيف انه قتل
ولما كان في تلك الحالة وهو منذهل حشيت
بندقيتي وللوقت رايت عقابا حاططا علي شجرة
واذ قصدت ان اعلم جمعه خادمي ما انا فاعله
دعيت ان ينظر الي فاربته العقاب وفهته اني
اريد ان اقوصه وحالا طلقت النار وهو ناظر الي
وما راي الا والعقاب وقع من علي الشجرة فوق
ايضا متعجبا وبمقدار ما فهته فاريد من ذلك
تشوش ففكره لانه ما راني وضعت شيا في
البندقية ولهذا الداعي استقام جملة ايام خائفا ان
يلمس البندقية بيده الا انه كان يتقدم الي عندها
ويتفحص فيها ويتكلم معها ظاننا ان احدا
داخلها يجيبه • اما انا فاجتهدت ان انزع عنه
التعجب ولا اخفي عنه هذه الحركات المضحكة التي
كان يفعلها علي هذه الصفة ولما قل عنه التعجب
قليل اشارت له ان يجري وياتي بالعقاب الذي
اصطدته فطاوعني وسرع عاجلا ليقفشه لانه كان

حيا وينطنط علي الارض ولما كان جاريا وراه
 اخذت البندقية لاحشيتها متقصدا ربما اعثر
 بطير ما فاقوصه في رجوعنا فاتينا الي الدارسوية
 ومعنا اللجدي والعقاب فركنت البندقية واخذت
 اللجدي وساخته وقطعت لحمه شققا واخذت
 مقدار ثلاثة اربال ووضعت في برمة وسلقته ولما
 استوي نظمت المائدة وصبيت المرققة في طاجن
 وخليت اللحم في صحن وجلست لاتغدي فاخذت
 قطعة لحم وعطيتهما لجمعة خادمي وكان ياكل
 منها ويلتذ فعجبه الاكل جدا ولما راني اني اضع
 ملحاً علي اللحم واكل تعجب وكان يفهني علي ان
 اكل الملح ردي ويضرني فاخذت قليلا وجعلته في
 فمه فلما ذاقه تقرز جدا وكان يعبس ويبزق
 ويتخوع منه وقام حالا وغسل فمه بما عذب •
 واذا اني اردت ان اريه كيف ان طبعة ضد
 طبعي اخذت قطعة لحم من غير ملح ووضعتها في
 فمي وجعلت في ذاتي اتكره منها وبزقتها حالا

واظهرت له اني اريد ان اتقيي لاني اكلتها من
غير ملح ومن هذه كلها ما اعتبر وبعد مدة طويلة
قدرت ان اتي بطبعة الوحشي الي الطبع الانساني
وكان ياكل اللحم فيه ملح وانما كان يضع فيه قليلا
وهذا النهار قضيناه بلحم مسلوق * ففي اليوم
الاخير نويت ان اعمل لنا غدا منظما فاخذت
اللحم الذي فضل من للجدي وقطعته شقفا
واردت ان اعمله كبابا واذا اني خالي السفافيد
اخذت اسياخ البندقيات وشكيت بها اللحم
وضجعتة علي الجمر اما خادمي جمعه لما راي باي
صناعة شويته فتعجب لان هذا الامر كان خلافا
عادة قبيلته المكروهة فلما ذاق طعم اللحم والتذ
به اشار الي كانه راضي جدا بهذا الاكل ولما فهمت
معني كلامه انبسطت جدا لاسيما لما اشار الي
اي انه لا ياكل لحم البشر طالما هو حي
ولما حان زمان للحصاد في ذلك الوقت نويت ان اوجه
خادمي جمعه علي العمل وفي اليوم الاخير جعلته

ان يحصد شعيرا قليلا معي ويدقه ثم يذريه
 ففعل حسبما امرته وكلما كنت افعل كان يفعل
 نظيري لان شطارته كانت فائقة وفهته انما من
 هذا نصنع خبزا ونقتات به والنتيجة ان كلما كنت
 افعله امامه كان يتعلمه مني حالا ويفعله نظيري
 فالان لاحظت اني اريد ان اطعم فمين عوض
 فم واحد فالزمتني الضرورة ان احث ارضا اخري
 واضيفها علي الارض المحروثة قديما وازرعها ايضا
 شعيرا وارزا فحددت ارضا واسعة وعفجتها وقبلت
 جمعة علي الشغل وعطيته معزقة ليعزق بها الارض
 وكنت املقه علي ان ولا واحد يستطيع ان
 يشتغل مثله ولما عرفته ان هذا العمل هو لاجل
 قوتنا واننا منه نحصل علي الخبز فهني هو ايضا
 هكذا اي انه ظن اني اقدم له شغلا واهيا اكثر
 مما اشتغله انا ذاتي وانه ليس بمفتقر الي قوة ولا الي
 اجتهاد لانه شديد ولا يمل من العمل وانما يريد
 ان احضر له شغلا واقول له اعمل هذا

حقيقة ان هذه السنة هي افضل واحسن من
ساير السنين التي قضيتها في هذه الجزيرة لان
بعد مدة قصيرة بدا جمعه خادمي يتكلم معي
ويفرج كربتي وعرف اسامي الاشيا التي كنت
استعملها واطلبها منه واسما الامكنة التي كنت
ارسله اليها حتي ان لساني الذي كان ساكنا
مدة طويلة غير متكلم ما عدا صلوتي لله تعالى
ومخاطبتي مع البغال ما بقي يسكت الان في
تعليمي خادمي جمعة ومخاطبتي معه لاني حصلت
علي اكتفا غريب بهذا اللجوع وكل يوم كان يرتقي
بالعفة والعقل والنزاةة وكنت احبة محبة فريدة
ونظرا لذاته فاني اصدق ان المحبة ما ضاعت به باطلا
وكان يخضع لي جدا نظرا لحسن معروفي معه
وكان يحبني اكثر من ساير اهله واقاربه

فذات يوم وثرث ان اجر به ان كان لم يزل
مشتاقا الي وطنه وفي طول اقامته معي علمته
الكلام حتي انه اخيرا كان قادرا ان يجاوبني جوابا كافيا

عما اسالة • فسالته هل ان الشعب الذي اتيت
منهم انهم اشدا وينتصرون في الحروب ام لا فهذا
السؤال اعجبه وجعله يتبسم وعند ذلك قال نعم
نعم هم يعملون حرب الاحسن فكان يريد ان
يقول انهم يتحاربون احسن من الغير فقلت له
ان كنتم انتم تتحاربون احسن من الكل فاي شي
دهاك وجعلك تنقبض اسيرا

جمعة • ومع كل ذلك ان قبيلتي يحاربون جيدا
روبنصن • كيف تقول انهم يحاربون جيدا
ولحال انك اخذت منهم اسيرا

جمعة • انهم اكثر منا ولما حدث ما بيننا للحرب
اخذوني اسيرا مع ثلثة اخرين ولكن في الهوشة
الاخري التي صارت سابقا فجماعتي ضربوهم
ضربة مهولة واهلكوا كثيرا منهم واستاسروا اكثر من
الف رجل

روبنصن • لماذا ما فكوك جماعتك من ايادي
اعدائهم

جمعة • انهم قفشنا وهربوا بنا عاجلا الي قواربهم
وفي ذلك للحرب ما كانت لنا قوارب
روبنسن • حسنا قلت ولكن اخبرني ماذا
يفعلون جماعتك بالاسرا الذين يقبضونهم • هل
ينهبون بهم وياكلونهم كما فعلوا هولا
جمعة • نعم نعم ان جماعتي ياكلون لحم
الانسان ايضا

روبنسن • الي اي مكان ينهبون بهم وياكلونهم
جمعة • ذهبون الي بلاد اخري حسبما يظنون
انه مناسب لهم

روبنسن • هل ياتون بهم الي هنا
جمعة • نعم ياتون بهم الي ههنا
روبنسن • هل كنت انت معهم لما اتوا الي ههنا
جمعة • نعم اني كنت معهم قال هذا وارانني
مكان الذي اتوا واجتمعوا فيه لاكل لحم اعدائهم
في الناحية الشمالية من جزيرتي
فبقدر امكاني استخبرت من خادمي جمعة

وفهت جيدا انه كان وحشيا كمثل اوليك وانه
كان شريكا لجماعته لما ياتون الي ههنا ليتنعمون
باكل لحم بني ادم كما اوضح لي هو ذاته وبعد ايام
قليلة ذهبت الي المكان الذي اشري عنه ولما
وصلنا حالا عرفه وقال لي انه اتي مرة مع جماعته
واكلوا عشرين رجلا وامراتين وصبيا ولما انه ما كان
قادرا ان يعدهم لي في لغتي اخذ حجارة وصفها
قدايمي موضعا لي عددهم بالتفصيل

ثم سألته ايضا كم مقدار بعيدة بلادهم من هنا
وهل ان قواربهم ماتغرق في البحر لما ياتون الي
ههنا فاجابني قائلا انهم ياتون الي ههنا من غير
اذني خطر ولا سمع قط ان قاربا واحدا قد عدم منهم
فافتكرت وقلت ربما لما يبعدون من الشاطي
مسافة ما يصادفهم مجري قوي او ان الريح
تهب بعد نصف النهار من جانب واحد
فافتكرت اولاً انهم يسافرون مع المد في ذهابهم
ومجيهم واخيرا فهت انه يحدث لهم اعانة عظيمة

ويندفعون حيث يشاؤون بواسطة جزر نهر
اورونوك وللوقت عرفت ان مملكتي كايئة قدام فم
النهر المذكور وتلك الارض التي كشفتها انها
ترينيداد لانها كايئة في الناحية الشمالية من فم
هذا النهر

فالاطلاع الذي اطلعني عليه خادمي جمعة سربي
جدا وجعلني ان اساله سوالات هكذا متقصدا ان
استوعب منه الطريق واهرب من هذه الجزيرة
واحصل علي عشرة الناس البيض اما هو فقال لي
نعم نعم اننا نروح في اثنين قارب فقلت ماذا
يعني بكلامه اثنين قارب فتفكرت جيدا بما قال
واخيرا فهمت انه يريد يقول اننا نذهب في قارب
يكون كبيرا بمقدار قاربين وهذا كان لشطارته حتي
لا نغرق في البحر

فاظن ان الانسان لا يكتفي من شي لكنه دائما
يتنغص ويتضايق من عيشته فان كانوا البشر
يجتهدون ان يكونوا سعدا بارادتهم فذلك من

العمال ولا يحصلون عليه فالانسان الغني ليس هو الذي يمتلك اشيا واهية يل ان الغني الحقيقي هو المكتفي بما عنده فقبلها حصلت علي خادم افكرت اني احقر مخلوقات الله الي ان امتلكته فالان هويسليني ويقضي لي الحاجة ولم ازل ادمدم واشكي من عيشتي واطلب الخلاص من هذه الجزيرة والحال ان الخيرات منسكة علي ومكتفي بكل شي وكلما اعتازه اجده عندي والنتيجة ان من هذا الوقت تمسكت برجا اي انه يحصل وقت مارما افربه وانجوس من هذه الجزيرة مع هذا العبد

فالان بديت ان اهذب خادمي في معرفة الله الحقيقية واطلعه كيف ان ارواحنا عديمة الموت وانه يحق لنا ان نؤمن بدتعالى ونعبده لانه اتى بنا من العدم الي الوجود فقلت له اسمعني يا جمعة واعلم انه قبل ما خلق هذا العالم كان الله موجودا وهذه الاشيا كلها عماها بقوته وجلاله

لا له مبتدأ ولا منتها وأنه يتمجد من سائر المخلوقات
السموية الذين هم الملائكة وروسا الملائكة وان
هذه الارواح الممجة محتاطة بعرشه تعالى
مرتلين له ومجدين من غير فتور ولا انقطاع في
اصوات سموية وللحان الهية فوجدت انه هين
علي ان اطبع في مخولته معرفة الله الكلية القداسة
والمعونة الالهية قدرتي ان اثبت له كلما
هو واجب واعانتني علي ان ألخص له واضحا قوة
ارشاد العناية الالهية السرية واريه كيف انه
يصلي لخالقه ويعبده

ثم اني اطلت معه للخطاب فيما يخص فدي
العالم الذي صار بواسطة مخلص وان تعليم التوبة
كروز من السما وايضا الايمان بسيدنا يسوع المسيح
فادي العالم فهذه الاطلاعات المتصلة التي
استنتجتها من الكتب المقدسة التي قراتها لخادمي
جمعة اجتهدت ان افهم بكل امكاني كل جزو
بمفرده اما هو بواسطة سؤالاته واستقصاه جعلني

ان اتعمق في معاني الكتب المقدسة واستفيد
منها اكثر من ان اجلس وحدي وادرس فيها
بالسكوت

فالمخاطبات التي تخاطبنا بها سوية حصل لنا
منها فائدة عظيمة وكلانا اطلعنا علي غوامض فريدة
واشياء مناسبة لنا • واما جمعة فصارت له استطاعة
من تلك القراءة وبالغ في اللغة وكان يتكلم في لغتي
جيدا ولوان لغته كانت مكسورة • ثم اني املت
عليه وفهته علي ان ذلك السر العجيب الذي
شاهده كان من البارود والرصاص وعلمته كيف
انه يقوص • واعطيته ايضا سيفا فانسربه جدا
وسلحته بسلاح واعطيته زوج طبنجات ودبوزبيدة
والنتيجة ان جمعة كان يبان كانه عترب ابن شداد
يقحم علي مائة زلفة فيطرحهم

ثم اني اعلمته عن النكبات التي اصابني
وكيف انكسر بنا المركب واربته المكان الذي
كان ملقيا عليه ثم اتيت به واربته القارب الذي

تعبت به وما استفدت منه شيا ولما اتينا اليه
وجدناه مكسرا لان الشمس والمطر قدماه •
فرايت ان خادمي نظر الي القارب وتخسر واستقام
مدة صافنا به غير متكلم واخيرا قلت له يا جمعة
ماذا جعلك تتبصر بالقارب هكذا فاجابني قائلا
اه يا معلمي ان مشاهدة هذا القارب ذكرتني شياء
وهوان قاربا مثله اتي الي بلادي • اما انا فما
فهمت معني قوله فبدت افحص عما قال فوجدت
انه يقول ان قاربا مثل قاربي طرحته الريح نواحيهم
ثم استخبرت منه جيدا هل كان فيه اناس بيض
حسب قوله • فاجابني نعم نعم ان القارب كان
مملوا من الناس البيض فقلت له كم واحد
فعدهم باصابعة سبعة عشر • فقلت له ماذا جري
بهم هل انهم عاشوا ام لا فاجابني نعم انهم عاشوا
كلهم ولم يزالوا عايشين بين شعبي • ان هذا
الاطلع ذكرني المركب الذي طرحه البحر علي الجزيرة
فقلت لابد ان اوليك الناس هم اهل المركب

اذ انني ظننت انهم غرقوا جميعهم والان انه بان
لي انهم قد تركوا مركبهم وركبوا القارب طالين
انهر والرب بكتب لهم النجاة وعطاهم مقصودهم
وخرجوا علي بر الهند الاكلين لحم بني ادم
فاذ ظننت ان قلة شفقتهم الواحد للآخر تلجئهم
ان يقتلوا بعضهم فكم بالحري يفعلون مع الغربا
وهذا الامر قلقي وحرضي ان استقم منهم منه عما
جري بهم فاخبرني متحققا انه ولا واحد من قومه
اغاظهم ولم يزلوا عايشين بينهم والان لهم اربع سدين
قايين معهم في بلادهم : فقلت له من اين حصل
لهم هذا المعروف والاكرام وكيف صار انهم ما
قتلوه ولا اكلوه ليرضوا بهم شهواتهم . فاجابني
انهم ما ضرهم بادني شي لكنهم تخاؤوا معهم
ففهت ان مهادنة كانت ما بينهم ومن هذا الجواب
صار لي اتشاق راسخ بالهند . ثم قال لي ايضا ان
قومي ياكلون اوليك الناس الذين يستاسرونهم
في الحرب فقط وماعدا اوليك ما يكلمون احدا ان

كان هو من سكان بلادهم او من شعب اخر وهذه
 عادة ، عندهم ان الاسرا كلهم يذهبون بهم الي
 ارض غير مسكونة ويغتذون باجسادهم
 فبعد مدة من الزمان وبرهة من الاوان صعدت
 معه علي الاكام في يوم رايق ولما كنت متشرفا يمينا
 وشمالا ما اري والا جمعة يقمز ويرقص كانه مختل
 العقل ويقول يا له من فرح وسرور اني اري بلادي
 وشعبي والناس البيض بينهم وعالمة الفرح كانت
 ظاهرة علي وجهه فعيناه كانتا تلحلم كانها مصايح
 وكان ينطنط كانه مشتاق ان يذهب الي بلاده .
 فهذا الامر اوقعني في الريب نظرا لخادمي جمعة
 ولا قلت له شياعن هذا الاكتشاف فقلت للوقت
 اذا ذهب هذا الي بلاده وحصل بين الشعب الهرب
 فليس فقط انه يترك الديانة التي علمتها له لكنه ايضا
 يشيع امري بين قومه كيف اني نقدته وقتلت عدوه
 وبهذا المقال يجمع علي محفلا فيهمجون علي وانا في
 هذه الجزيرة القشرا فيطحنوني كما طحنوا اوليك الاسرا

ولما كنا ماشيين في ذات يوم علي الاكام عينة
والرييح كانت ملخبطة والطقس مضرب ولكثرة
الاختبال ما قدرنا ان نري البر فسالت للوقت
جمعة قايلآ اما تشتاق ان تكون في بلادك وتحصل
علي مرافقة اصحابك وخلانك فاجابني قايلآ يا لها
من ساعة سعيدة التي بها اشاهد بلادي واحصل
علي مرافقة اصحابي وخلاني * ثم سالتة ايضا ماذا
تفعل هناك هل ترجع الي طبعك الوحشي
وتاكل لحم بني ادم وتصير كالبهيم كما كنت سابقا
فاجابني لا لا (وهو يهز براسه) لكني اقول لهم ان
يعيشوا عيشة سالحة واعلمهم ان يصلوا ويتضرعوا
الي الله وياكلوا خبزاً ولحم المعزي ويشربوا حليباً ولا
ياكلوا لحم البشر فقلت له ان تجريت وفعلت هذه
فيقحمون عليك ويقتلونك لانك تعلم خلاف
اطباعهم وان للجاهم الامر فياكلون جسدك كعدو
فاجابني ببشاشة وجه قايلآ انهم لن يقتاوني لكنهم
يريدون ان يتعلموا وقد تعلموا اشيا كثيرة من

الناس الملتحين الذين اتوا بالقارب . فقلت له
اتريد تذهب الان فتبسم للوقت من كلامي وقال
لي ما اقدر ان اعوم واقطع كل هذا البحر
فقلت له انني اعمل لك قاربا فاجابني قائلا
ان ذهبت انت فانا اذهب ايضا معك وان
بقيت انت ههنا فانا ايضا ابقى ههنا معك . فقلت
هل تريد ان تغدري يا جمعة وتاخذي معك
حتي تاكلوني وتغتنيها بمعلمك الذي شفق عليك
وخلصك فقال حاشا وكلا اننا ما ناكل المعلم الذي
عمل معروفاء معي واذا ذهبنا نحن الي هناك فاجعلهم
ان يحبوه واخبرهم كيف انه شفق علي وخلصني
من الموت السريع واخيرا اخبرني بقدر امكانه
ما اعظم المعروف الذي يعملونه تجاه الناس الملتحين
الذين طرحتهم الامواج علي برهم . فمن هذا
الوقت صار لي ميل وافر ان اخطر بنفسي واعمل
جهدي علي قدر استطاعتي ولحق الناس البيض
الملتحين لاتي ظننت عنهم انهم اصبانوليون

او پورتوكيسيون وافكرت انه اجدر بي ان اعمل
 طريقه واهرب من هنا واحصل علي مرافقة جيدة
 افضل من جلوسي هنا وحدي
 فبعد جملة ايام كنا نشتغل انا وجمعة حسب عادتنا
 ونخطب عن بعض امور ولما طال ما بيننا للخطاب
 قدمت له كلاما وقلت له عندي قارب محبي
 اريد ان انعمه عليك ومتي اردت ان تذهب الي
 قومك فمن غير تقصير اركب واذهب . واذا اردت
 ان اقنعه واحقق له ما قلت له اخذته بيده
 وانطلقت به الي الجانب الاخر من الجزيرة حيث
 مركبي للحربي راسي فاخرجته للوقت من الما لاني
 دائما جعلته غاطسا تحت الما خوفا ليلا ياتي احد
 ويراه . فلما اصعدناه وركبنا مقذافيه ركبناه وبدا
 جمعة يقذف بكل بتعة ويجعل القارب يزرق كمثل
 النشابة فللوقت قلت لجمعة ماذا تريد الان هل
 تريد اننا نذهب الي شعبك . فقصدي بهذا السؤال
 كان لاجربة وافرحه اما هو فبعكس ذلك عبس وجهه

واظهر لي انه مغموم من هذا الكلام فتعجبت منه
واستفهمت منه غايته فوضح لي جليا اني اهزوبه
لان قاربا مثل هذا غير ممكن انه يوصلنا سالمين
الي بلادي فاعلمته وقلت له ان عندي قاربا اخر
اكبر من هذا واوعدته اني اريد اريه اياه . وفي
اليوم الاخير اخذته معي الي المكان حيث القارب
الاول الذي نجرتة ملقي قد كسرتة الشمس والمطر
لانه كان ملقي هناك نحو اثنتي وعشرين سنة
فقال لي جمعة ان قارباً مثل هذا يودينا الي حيث
نشأ ومن ذلك الوقت ثبت رأيي علي ان اذهب
معه الي بلاده فاعلمته حالا اننا نذهب ونصنع
قارباً يكون يحملنا مع اكلنا وشربنا فانسر بهذا
الكلام ثم اردت ان اجر به فقلت له اذهب انت
وحدك الي بلادك واتركني وحدي كما كنت
سابقاً . فهذا الكلام اثربه وظهرت الكابة علي وجهه
فقال لي ان جمعة يروح الي بلاده ويترك معلمه
هنا وحده لا ان هذا الامر بعيد مني قال هذا

وسكت وبعد برهة قال ان موت جمعة افضل له
من ان يفارق معلمه . فتراي لي من هذا ان
جمعة كان يراعي المعروف الذي عملته معه فلا
كان يعدني كمنقذه فقط ولكن كصاينه ومربيه ولا
كنت اظلمه ولا اتعبه بل كنت احبه واريحه واعطيه
ما يطلبه مني ولما كان يمرض او يحصل له عيا
فكنت اداويه واصير طبيبه وليس كنت اعالج
جسده فقط ولكن روحه ايضا فلا عجب اذا ان راعي
لي المعروف وامثل امري والنتيجة انه كان يشتهي
الموت اكثر من ان يفارقني . فبعد ان قلت
لجمعة في برارة حالما يخلص عمل القارب يحصل
علي حريته ويذهب الي بلاده فالحافظ عيني ارتني
سايترصوراته الملتحبة فللوقت نهض واخذ فاسه
اذ كان يحمله بعض اوقات عوض السلاح وسلمه
بيدي وقلبه ملوحتي ما كان يستطيع ان يتكلم .
فقلت له ماذا تريد وماذا اعمل بهذا الفاس .
فقال لي اقتل به جمعة لانه لا يقدر يعيش ولا

يسمع هذه الكلمات الكايبة • فقلت له لاي شي اقتلك •
 فاجابني هكذا اذ يا معلمى انك خاصت جمعة من القتل
 واطعمته وسقيته وحويته وعلمته ان يعرف الله
 ويعبده ويخافه والان يذهب ويخلي معلمه وحده
 فهذا ضرب من المستحيل فالموت لجمعة اخير من
 حيوته قال هذا وبدت الدموع تهطل من عينيه
 وانا ايضا لما رايت محبته تجاهي حنت احشاي
 وبكيت • ثم التزمت ان اسليه في اخير نوع وقلت
 له ان كنت مكتفيا ان تقيم معي فمر حبابك
 وانا انسر بهرافقتك وما نسدك • فبكنا جمعة
 ونحيبه اقنعني علي انه يحبني محبة قلبية فقال
 لي اني لا احسب حسابا عن اهلي ولا عن قبيلتي
 وان معني كلامي اننا نذهب الي بلادي قصدي
 ان تعلم قبيلتي وتهذبهم • فلما قال هذا انغرز
 كلامه في ضميري وبديت افكر وكيف اننا نفعل
 ونحظى بالسبعة عشر رجلا الملتحين الذين اخبرني
 عنهم واذا ان العزم قوي في اخذت جمعة وانطلقنا

سوا طالبين شجرة غليظة تصلح لمرغوبنا فنقطعها
ونعملها قاربا ولما جلنا قليلا في الجزيرة عثرنا بشجرة
شاهقة غليظة جدا حسب مرغوبنا اما جمعة فاراد
ان يوقد نارا- في وسطها ويجوفها فقلت له ان
فعلك هذا بعدمها علينا ولكن انا اريك كيف
اجوفها فذهبت به للوقت الي محلي واربتة الميشار
والقداديم والمناقير وغير ذلك فقلت له بهذه
نقطعها ونعمل قاربا منها فاخذته معي وذهبنا
لنبدي بشغلنا فقطعناها ولقيناها علي الارض ثم
اعطيته قدوما وعلمته كيف ينجرها وبعد شهر
زمان اخرجنا منها قاربا عظيما . فاجتهدنا ان
نرميه في البحر فاتيت بمطاوي وبراطيم خشب
ووضعتها تحته وبدينا نسحبه قليلا قليلا ودمنا علي
هذا المعدل خمسة عشر يوما واخيرا اتينا به الي البحر
فلا احد يستطيع يعبر الفرج الذي حصل لي لما
رايت مركبي للحربي في البحر فقلت بقي علي ان
اعلم خادمي جمعة ان يداري القلوع ويمسك الدفة

فالتفت اليه وقلت له ماذا تقول عن هذا القارب
هل انه يوصلنا الي بلادك فاجابني نعم ان مثل
هذا القارب يقدر يحملنا بكل ما عندنا فخرجت
حينئذ متقصدا ان اقطع صاريا وافصل شراعا
فاتيت الي شجرة صنوبر وقلت لخادمي جمعة تقدم
واقطعها وعلمته كيف ينجرها ويعمل منها صاريا
فمسكته الشغل وذهبت لافصل شراعا فكان عندي
شراعات وافرة ومن جمعتها كان عندي شراع
جديد تحفظت به جيدا مقدار ست وعشرين سنة
واما البقية فما اعتذيت بها لاني ما افكرت اني
احتاج اليها ولما اتيت وقلبتها كلها وجدتها قد
تغرت واهترت ما عدا اثنين فاخذتها وبديت افصل
منها مرغوبي وبعد تعب كلي لنقصي الابر ومجاهدة
عظيمة نجرت منها ثلث شراعات فاستقمت شهرين
اعا فر بهذا العمل منظم القارب ومصلح القلوع والصارى
فلما عملت كلما يحتاج اليه القارب والسفر من النظام
والقلوع وربط للحبال بديت ان اعلم جمعة صناعة

البحر ولو كان عارفا كيف يوجه القارب في المقاذيق
مع انه كان عديم معرفة السفر بالقلوع وتعجب
جدا لما راني اوجه القارب الي كل جهة بالقلوع فقط
من غير مقاذيف . فبعد مدة من الزمان علمته
كيف يداري القارب ويديره حتي انه اخيرا صار
بحريا ما له نظير ما عدا في معرفة الدائرة الي
القبلة لان معرفتها كانت صعبة عليه . وانا ايضا
رايت ليس هو محتاج الي معرفة هذه القبلة لان
الواحد يقدر ان يسافر في تلك النواحي من غير
دايرة نظرا لرياقة الهوا والنجوم تتراي طول الليل
وفي النهار ايضا يبان الساحل ماعدا ازمنة المطر
التي لا يستطيع الواحد ان يخرج من وكرة .
فهذه السنة التي اكملت بها القارب كانت السنة
السابعة والعشرين من اسري وحبسي او جلوسي
علي تخت السلطنة . وكنت اعد السنين
من وقت صعودي علي هذه الجزيرة المشومة واقدم
الشكر لله تعالى لاجل مراحمه للجزيلة التي

سبغها علي وهذا واجب علي ان اعمله قبل كل شي لانه ما عدا خلاصه لي انعم علي خيرات وافرة وعزائي في طول هذه الحياة وجعل لي سببا ان افرح في كل الاوقات التي كان يحصل لي فيها غم وكابة لاني لما طلعت من المركب واخرجت تلك الاشيا القلية معي قلت اتي بالجهد اعيش سنة واحدة وللحال ان الله تعالى قدست اسماءه ابقائي الي الان حيا متعافيا ما نقصني شي والغاية اني استقيمت علي تلك الحالة احفر وافلم وازرع واحصد واشتل واخترع اختراعات صنايعية واجمع العذب في زمانه واعمله زيبا . وبعد ايام قليلة اتي زمان المطر فالتزمت ان استقيم داخل المغارة جملة ايام وقبل ذلك افكرت واتيت بهركبي الجديد الي المينة حيث كذت اقدم الاطواف التي اخذتها من المركب . وهكذا استقيمت محبوسا داخل المغارة لا استطيع ان اسافر الي غاية شهر كانون الاول . وفي شهر كانون الثاني بدت الصحاوي تطلع وكلما كانت

الايام تحمي والشمس تتعالي كذت احضر نفسي
للسفر وعازما ان بعد عشرين يوما انقل الاغراض
الي القارب

فذات يوم صباحا اذ كنت ملتبكا يتهي
الاغراض ندهت جمعة وقلت له اذهب الي السجل
وانظر لنا كم بيضة من بيضى الرحالف والرفوشة
فلما ذهب وغاب عني قليلا ما اراه الا وراجعا مقهقرا
كان عدو طالب اثره واذا رايتة تعلق علي السور
هكذا مستعجلاء قاصدا ان ياتي الي نهضت من
مكاني لاستقباله عاجلا طالب ان استخبره عن
قضيته وقبل ان افتح فمي صرخ قائلا اخذنا يا
معلم اخذنا يا لها من وقعة فقلت له ماذا جري
اجابني اني رايت من بعيد ثلث قوارب اتية الي
نواحيننا فقلت له تشجع ولا تخف اما تتذكر ما
قلت لك انفا اننا نجتهد ونصون نفسينا ونقاتل
كل من ياتي علينا بقدر امكاننا ولو اني شجعه باحسن
كلام فالمسكين اخطرب واتحلت مفاصله وكان يترجم

ويرتعد هكذا حتي اني بالجهد عرفت باي كلام
 اسند قلبه • فكان يتنهد ويقول اه يا معلم انهم
 اتوا الي ههنا لكي يبحثوا علي جمعة حتي يقتلوه
 وياكلوه فقلت له لماذا تظن هكذا لانهم اذا اتوا الي
 ههنا ومسكوك واكلوك فيمسكوني انا ايضا وياكلوني
 والخطر الراصد لي هو كمثل خطرک • فان كان
 الامر كما نزعهم فلنجتهد ونحارب علي ما تساعدنا قوتنا
 ونخلص نفوسنا من اياديهم • فالان ماذا تظن
 انت هل تقدر ان تحارب فاجابني قائلا اني احارب
 علي قدر امكاني وان احوجتني الضرورة
 فاموت قدام رجلك ولكن الامر خلاف ما تظن
 لانهم كثيرون جدا فقلت ما يضر شي ان بندقياتنا
 ترعبهم وانا مستعد ان احارب الي اخر نسمة حيوتي
 فالان اخبرني يا جمعة اتريد ان تقف معي وتطيعني
 بكلمة امرك به فقال لي اني ابذل حيوتي عنك
 وان امرتني ان اموت فاطيعك • فلما رايت اخضاعه
 واطاعته له اعطيته بندقيتين وحشيتها له

برش خشن كرصاص الطنبجة واخذت ايضا اربع
بندقيات اخرات وحشيتها كلها رصاصتين رصاصتين
وزدت فوق كل حشوة منها خمس رصاصات من
رصاص الطنبجة ثم اخذت طنبجتين وحشيتها
جيذا ووضعتها في حزامي واخذت السيف وعلقته
علي جانبي مشموطا كعادتي وعطيت قدوما وعصاة
طويلة لجمعة * فاستعديت هكذا واخذت النظارة
وصعدت علي جانب الاكام لاستشرف واري الاحوال
وللوقت رايت واحد وعشرين نفرا رويتهم كروية
الاسود الضارية ومعهم ثلثة اسرا وثلثة قوارب وتراي
لي كان ريسهم عامل هذه الوليمة الوحشية ليفرح
قلوب احبابه الشريفة فاما الامور التي كشفتها
هذه المرة كانت من عرض عملهم ولما رايت فعاملهم
ندهت جمعة واريته شجرة مغروسة علي جانب
النور قد ظللت اغصانها ما حولها وامرته ان يختل
وراها ويتمعن كلما يراه ثم يرجع يعلمني ان كان
يقدر ان يري ما يعملونه جليا فاطاعني وذهب

وبعد قليل رجع اليّ وقص علي قصة كايبة اي
انهم كلهم جالسون حول النار وهم ياكلون لحم
احد اسراهم وراي ايضا اسيرا اخر مربوطا ملقيا
علي الرمل قريبا من المكان المجمعين فيه واخبرني
علي ان المربوط ليس هو من قومة بل كانه من
الناس البيض الملتحين الذين كان يخبرني عنهم
دايما وكيف ان البحر طرحهم علي برهم • فلما سمعت
هذا منه غامت في روعي وقمت تعلقت علي
شجرة عالية وتطلعت بالنظارة فرايت الرجل الابيض
مربوطا ملقيا علي الرمل وقد غطوه بثيابه وتراي
لي كانه من سكان اوروبا فتزلت حالا من هذه
الشجرة وقصدت ان اصعد علي شجرة اخري قريبة
منهم اقدر ان اصيبهم اذا قوصتهم منها فخبيت
بين العلقة والحلقة واتيت الي شجرة حسب مرادي
وصعدت عليها بفراصة ليلا يكشفني احد ولما رمت
مرامي اي اني حصلت في نصفها معدت نظري
بهم فرايتهم جالسين حول النار وقد باشروا باكل

الولية المكروهة • فلما رايت هذا فار دمي
والزمتني الضرورة ان لا اصبر ولا دقيقة لاني خفت
ليلا يخلصون للجثة التي ما بين اياديهم ويباشرون
بالاخر الابيض المربوط الملقى علي الرمل واذا انما فتكر
في هذه الدقيقة كيف افعل ما اري والا قد رسلا
اثنين من ربعها ان يذهبا وينجحا المربوط الذي
اشرت عنه ويقطعونه حته وياتون بجثته مفصلة
ويضعونها قدام الاخرين واذا قدموا اليه ليحلوا وثاقاته
نزلات حالا من اعلي الشجرة وقلت لجمعة هذا
وقتك يا جمعة اليوم اراك يا جدد الزم ببندقيتك
واتبعني وخذ القدر جيدا واطلق النار ولا تجعل
صوابك يتدهور باطلا فقال لي انا عندك يا معلمي
فاخذت انا قبلا ببندقيتي وقلت قوص معي سوية
وطلقت النار وهو ايضا طلق وراي حالا فانا قتلت
واحدا واصبت اثنين واما جمعة فاخذ القدر اخير
مني فقتل اثنين واصاب ثلاثة • فالذين ما اصابهم
الرش ولا الرصاص نهضوا حالا من مكانهم مصروعين

ما يعرفون الي اين يتوجهون ولا يعلمون من اين
 حل بهم هذا البلا فلقينا من ايادينا البندقيتين
 التين قوصناهما واخذنا اخرتين محشيتين وقوصناهما
 ايضا بهم واذا كانتا محشيتين برصاص الطبنجات
 قتلنا منهم اثنتين اخرين واصبنا مقدار عشرة
 فالذين اصابهم الرش خروا زابطين وعويلهم يشلس
 كانهم وحوش ضارية قد حل بها البلا فقلت لجمعة
 هذا وقتك يا جدد الق بندقيتك الفارغة من
 يدك وخذ الاخرى واتبعني فقال لي انا عندك
 يا معلم فالحقني بشجاعة فجرينا ورا الذين انهزموا
 طالبين انقراضهم وكنا نصرخ وراهم قلايع قلايع ثم
 عكفنا الي الرجل المربوط الذي كان مززع
 ان يتقرب لنفكه فلما دنونا منه راينا اوليك الذين
 كانوا يريدون ان يذبحوا الاسير هربوا مع ثلثة
 اخر غيرهم ولقوا نفوسهم في قارب من قواربهم
 فقلت لجمعة استعجل واطلق النار فيهم فقعد حالا
 التئ، واطلق النار فيهم فانا ظننت انه قتلهم كلهم

اذاني رايتهم كلهم هبطوا في اسفل القارب وانما قتل
اثنين وصواب واحدا صوابا مميتا ثم جريت الي
المربوط وقطعت وثاقاته فنهض واقفا كانه راي
ذاته انه في الحلم فسالته في اللغة البورتوكيسية
من اين انت فاجابني باللاتينية كريستيانوس اي
نصراني ولخوفة ما كان يقدر ان يقف علي رجليه
او يتكلم ثم سالته ايضا من اي بلد انت فاجابني
اصپانيولي وبدا يتكسر بالخير والمعروف الذي فعلته
معة فقلت له الان ليس هو وقت للحديث فلنتكلم
بعد ما ننهي امرنا ولكن خذ هذا السيف والطبقة
واسعم في انقراضهم فلما سمع هذا مني تشجع
وجري ورا اثنين وقطعها شقفا • ثم اتي امرت جمعة
ان يجري ويأتي بالبندقيات التي خلفناها ورا الشجرة
فذهب حالا واتي بها وهو طائش يريد ان يبيدهم
كلهم فاعطيته بندقية وقلت له اسرع ورا
البقية واقتل كل من تستطيع • فما اري والا الاصپانيولي
متشابكا مع واحد من البربر • فاستدار عليه البربري



جمعة يقبل اباد

ولهذا الامر اجتهدت ان اتبع اثرهم حاتما علي
ابادتهم كلهم فلقيت نفسي للوقت في قارب من
قواربهم وقات لجمعة اتبعني ولما نزلت في
القارب رايت اخر مربوطا من يديه ورجليه كمثلي
الاصبانيولي وكان قريب الموت فاستليت السيوف
وقطعت وثاقاته واقمته ولا كان قادرا ان يتكلم
كلمة من الخوف الذي خطله ونزع قوته سوى
كان يتنهَّد وينين انينا مرافمرت جمعة وقلت له
تكلم معه وبشرة ان القدر قد عبر عنه وانه لا يخف
ابدا لان اعداه هلكوا بجملتهم ثم اتي اخرجت رزق
الما وسقيته ولما شرب وسمع الاخبار المبهجة انسر
قلبه وجلس منتصبا في القارب فاشرت لجمعة
ان يستغفر منه فحالما سمع جمعة حديثه تطلع
بوجهه مندهشا كانه لقي لقية فالنغشة والحنو الذي
حصل له في ذلك الوقت تجعل كمن يراه يفرح
ويبكي لاني ما اراه والا طرح نفسه عليه وعانقه
وبدا يقبله ثم نهض وبدا يقمز في القارب ويرقص

ويغني ثم صرخ باصوات عالية وصفق باياديه
ولطم علي وجهه وراسه وغني ونطنط ايضا كانه
موخوذ او مصروع ومن الشغافه انعقد لسانه حتي
ما قدرت ان استفهم منه • وبعد ما شفي غليله
اخبرني انه ابوه • ثم اجلسه حذاه في القارب
وحضنه وتكاه علي صدره وكانت دموعه هاطلة علي
وجنتيه فبعد نصف ساعة من الزمان بدى
يفرك يديه ورجليه وظهره ويدعهم جيدا وانا
ايضا اخرجت قرازة العنبري وسقيته قليلا منها
ولما كنا ملتبكين في هذا الامر بعدوا عنا اوليك
البربر بقاربهم وغابوا عن النظر • ولعمري اننا كنا
سعدا اذ ما لحقناهم لان الريح قامت بغتة وصار
اضطراب مزعج في البحر وكانت الامواج تتعالي كأنها
جبال واستقامت العواصف ناسفة طول الليل ومن
المستحيل ان اوليك البربر نجوا من الغريق وبكل
ظني انهم هبطوا الي قعر البحر • ثم اتي دعيت جمعة
وسالته قايلا هل اعطيت اباك كسرة خبز فهز

لي براسه وقال ما كان عندي لاعطيه فالرغيف
الذي كان معي اكلته قبلما شرعنا بالقتال
فاعطيته للوقت كعكة كانت في عبي وكمشة زبيب
لهاكل ويرد روجه

فخرج من القارب جمعة وسيت رجليه وجري
كانه ربح وبعد جملة دقائق رجع بجرة ما وكعتين
كان قد فضلها من فمه فشربنا ماء وروينا نفوسنا
فقلت لجمعة اعط كعكة لابيک وخذ الاخرى
مع جرة الماء واذهب الى عند الاصپانيولى اذ انه
كان جالسا تحت ظل شجرة ليستريح ولضعفه ما
كان قادرا ان يقف على رجليه فامرت جمعة ان
يفرك رجليه وظهر واكتافه بالكسير كما فعل بابيه
فاخذ يهرغ به مقدار نصف ساعة ولما كان
يفرك به كانت عيناه شاخصتين ناحية القارب
حيث ترك اياه جالسا ولما اتجضع ابوه قليلا على
الارض لتعبه اتي كانه لمع لينظر ماذا حل بابيه ولما
اتي فراه متكبيا على وركه فرجع ايضا الى الاصپانيولى

ليتمم فرك جسمه • واذا انا اردت الانطلاق
 قلت للاصپانيولي دع جمعة يعينك وباتي بك الي
 القارب لكيما نذهب الي محلي فلما سمع هذا جمعة
 تقدم اليه وحمله علي كتفه وذهب به الي القارب
 ثم نزل ايضا ابية واجلسه جنبه وبعد هذا خرج
 وزاح القارب لانه كان ثاهلا علي الشاطي وربط به
 حبلا وبدا يسحب وما وقف الي ان اتي بنا الي
 الخليج فتركنا هناك وذهب جاريا واتي بالقارب
 الاخر قبلما صعدنا كلنا الي البر ثم تقدم وحمل اباه
 وذهب به الي محلي كما امرته وبعد ذلك اتي
 وحمل الاصپانيولي ايضا وذهب به الي هناك واذا
 انا ما اردت ان يدخلوا داخل السور نصبت لهم
 خيمة من قلع المراكب تحت ظل شجرة وعملت لهم
 مطارج ومخايد من الحمري والقش وعطيتهم احرمة
 ان يتغطوا بها فكنت اقايس نفسي في ذلك
 الوقت بملك وحداني امرة يجري علي الكل واني
 متسلط علي رعايا قد سلموا نفوسهم بيدي

وطنيت بذاتي اتي قد حصلت علي شرف لا
يوصف

فاجتهد في ذلك الوقت ان اعد اكلا لرعيتي
فامرت جمعة وقلت له اذبح لنا جديا فقام ومسك
جديا رخصا وذبحه وسلخه وبعد ذلك قمت انا
وقطعته شقفا ووضعته في حلة وسلقته ورميت رزا
علي المرقعة وطبخت شوربا عظيمة وبعد ماتهذا نصبت
المائدة في الخيمة وصببت الطبخ وجلست معهم علي
المائدة واكلنا سوية وانشرحنا مع بعضنا بعض
اما جمعة فكان يلغى مع ابيه في لغته وايضا مع
الاصپانيولي لانه كان يتكلم بلغة البربر كلاما
مدرجا كانها لغته . وبعد الغدا امرت جمعة ان
يذهب ويأتي بسلاحنا والبندقيات وفي اليوم الاخير
ينطلق ويدفن جنات الموتى . وبعد مااتي قلت له
اجلس وترجم لي مع ابيك لنستفهم منه فقلت
له اسالة ماذا يظن عن اوليك البربر الذين هربوا
بالقارب هل يصلون بلادهم واذا وصلوا اما ياتون

مع عدد غفير فيطفون خبرنا فاجابني عن لسان
 ابيه قائلا انه غير ممكن انهم يخلصون من الزوينة .
 وان قدرنا وقلنا ان البحر ما ابتلعهم فلا شك ان
 الريح ترميهم علي الناحية الشمالية التي يسكنوها
 اعدائهم وحالما يضعون ارجلهم في الارض فيهجمون
 عليهم الاعداء فيمزقونهم وياكلونهم . وقال ايضا
 فلنقرر ونقول انهم سلموا من البحر ومن ايادي
 اعدائهم وذهبوا الى بلادهم بالسلامة فالموت الذي
 حل بارفاقهم قدام عيونهم وزعجهم يجعلهم ان يشيعوا
 للخبر عما جري بارفاقهم وكيف انهم لوما هربوا للحل
 بهم ايضا الموت ويعلمونهم كيف ان نارا ورعدا
 نزل من السما وهلكهم ولا جري هذا الامر من يد
 انسان بل من يد روحين مهيئين قد ارسلوا من
 فوق لابطادتنا . وقد سمعتهم يتكلمون مع بعضهم
 وانا موثوق ويقولون ان ارواحا تنزلت من السما
 لمصادمتنا فمن يقدر علي الوقوف قدام هذه
 الاله لانه يظهر لنا حقيقة ان كل من

يذهب الي هذه الجزيرة فالالهة ينزلون نارا عليهم
ويبيدونهم

فبدت اتحقق من ابي جمعة و الاصپانيولي عن
بلاد البربر واقول لهم ماذا يحل بنا اذا ذهبنا الي
عندهم فاجابني ابو جمعة محققا لي اذا ذهبنا الي قومنا
في عزونك ويكرمونك اكراما بليغا لحسن المعروف
الذي فعلته معي ومع ابني • واما الاصپانيولي
فقال لي ان هناك ستة عشر نفرا اصپانيولين
وبورتوكيسيين قد انكسر بهم المركب وطرحتهم
الريح الي هناك • وقال لي ولوانهم متفقون مع البربر
ومتحدون معهم في سلوكهم مع انهم منهانين وعاشين
عيشة سنية لقلة الاكل للجيد واشيا اخري • ثم سالت
ايضا عن سفرهم والي اين كانوا ذاهبين حتي جرت
عليهم هذه المصيبة فاخبرني قايلا اننا وسقنا مركبنا
من ريو دلا پلاتا وقاصدين هقانا ولما حصل القدر
وانكسر المركب خمسة منا غرقوا في البحر والبقية
خلصوا بالقارب وانا واحد من الذين خلصوا • فسالت

ايضا وماذا حتموا ان يفعلوا فاجابني انهم ارادوا
 ان يعمرروا مركبا ويسافروا الي بلادهم ولنقصانهم
 الادوات ارتدعوا عن مقصودهم وخابوا عما كانوا
 طالبين فقلت له اذا ارسلنا ودعيناهم ان ياتوا الي ههنا
 اما يخونون بي وياخذوني اسيرا الي صيانيا الجديدة
 فقال لي بحماسة هل تظن انهم اولاد زنا حتي انهم
 يفعلون معك هذا الصنيع عوض استكثارهم بخيرك
 لانهم اناس اهل كرم ويراعون المعروف وقال لي
 ان كنت تريد فامرني ان اذهب مع هذا الشيخ
 البربري واخبرهم عما جري وصار وارد لك جوابا
 وان كنت لست بمؤمن فلا حلف لك يمينا مثانا
 ان لا اخون بك ونظرا لي فلا اشأ مفارقتك ولكني
 بالبحري اريد اقيم معك الي اخر نسمة حيوتي لان
 المعروف الذي عملته معي غير ممكن اني انساه
 ولما سمعت كلام الاصپانيولي لان قابي وارتايت
 ان ارسله مع ابي جمعه حسبها وعدني ان يفعل ولما
 حضرت كل شي للسفر قال لي اظن ان هذا الامر

ليس جيد فلندارك الامور اولا ونفعلها فقلت له
 ماذا خطر علي بالك اما تريد ان تمضي • فقال
 لي اسمعي يا سيدي لا يخفك الامر ان اوليك هم
 كثيرون والمأونة التي عندنا ليست بكافية لنا
 ولهم فالاجدر بنا اننا نصير للحصاد المقبل فنحرق
 ارضا واسعة ونزرعها ولما يكثر الحصب عندنا فللوقت
 نمضي وندعيهم ان ياتوا الي هنا • فقلت له حبذا
 رايك وان نصبتك ما لها مشيل ومن الان فصاعدا
 ما تشيروه علينا مقبول ومن ذلك الوقت بديت
 ان اعتبره اعتبارا كليا لانه صاحب عقل وتميز •
 فهكذا اربعتنا اجتهدنا علي العمل وحددنا ارضا
 واسعة وحرثنا حاكلها وبدرنا الحب الذي كان عندنا
 كله وما فضلنا منه شيا • ولما انتهينا من البدار
 وثرث ان اشغل يدي حتي للحصاد فاملت علي
 الشجر وبديت اقطع بها فبطهت شجرا عديدة
 اقدر ابني من خشبها مركبا ودعيت جمعة واباه
 وامرتها ان ينقلا الخشب الذي قصيته وياتيان به

الي مكان اريتها اياه حتي نباشر بعمار مركب
 وامرت الاصپانيولي اذ انه صار حاصب سري
 ومشاور ي بان يباشر عليها ويوظب شغلها فعمدت
 ايضا في تلك المدة ان ازيد القطيع فاخذت
 البندقية وكنت اقنص علي المعزي واصطادها واتي
 بجديانها الي الزريبة • وفي هذه السنة قطعت عنبا
 كثيرا وعملته منه زيبيا مقدار ثمانين زنبيلًا • وهكذا
 كلنا كنا ملبوكين هم في الشغل وانا احضر لهم اكلًا
 الي ان حان زمان للحصاد فاهتمينا وبدينا نحصد
 ونربط الشمل ونلقيها علي الارض وما وقفنا الي
 ان جمعنا الشعير في قشه وكومناه كومة ودقيناه
 وفربناه فماذا اقول هل ان الله ينسي عبده حاشا
 وكلا لكنه بالحري يبارك بكده ويطرح بركة في
 عمله لان من ثلثة وعشرين كيل شعير عبيننا مايتين
 وعشرين كيلا وعلي هذا النحو ايضا الرز وبعد ما
 انتهيت من عملي وكومت الغلة فرايت انها كافية
 ان توصلني الي اميريكا مع الاصپانيولين كلهم

فقلت الان اهبي شغلي وافعل مراهمي فدعيت
 الاصپانيولي و ابا جمعة كانها قصاد الملك الاعظم وامرتها
 ان يذهب الي بلاد البربر ويعلم الاصپانيولين ان
 ياتوا الي ههنا . والزمتهما ان يحملوا لي ويوضعا لي
 امانتها سوية وبعد ما فعلا ذلك اعطيت لكل
 حد بندقية مع ثمان حشوات بارود ورصاص وفخيرة
 تكفاهما ثمانية ايام ولما هييت كل شي لهم قلعوا
 في وقت رايق وريح مناسبة في خمسة عشر من
 الشهر القمري . وبعد ذهابها بخمسة عشر يوما وانا
 نائم في وقت الصباح ما اري والا جمعة جاري الي
 صارخا باعلي صوته قائلا قم يا معلم ان ابي
 والاصپانيولي قد اتيا فقامت حالا من فراشي ولبست
 ثيابي بخفة وتشرفت ناحية البحر فرايت قاربا بعيدا
 من الشاطئ مقدار ميل ونصف فتعجبت من ذلك
 وقلت لماذا ما اتوا من الناحية التي جاوا منها اول
 مرة ولكن من شمال الجزيرة . فتهيا لي حينئذ ان
 هولا ليسوا الناس الذين نترقبهم . فامرت جمعة ان

يخمد ولا يطلع حسه الي ان اصعد علي الجبل وانظر
الاحوال وانزل فاخذت نظارتي وصعدت علي الجبل
فرايت مركبا انكليزيا ففرحت للوقت فرحا لا يوصف
وقلت الان زال همي ونغي ولزيادة فرحي ما بقيت
اعرف كيف اعمل فاردت ان اذهب واريهم ذاتي
فقلت لارها يكونون اعدا وانما الاجدر بي ان اصبر
واري اخر الامر وبينما انا ناظر اليهم رايتهم نزلوا قاربا
من المركب واتوا به الي الشاطي بعيدا مني مقدار
نصف ميل فقلت سعيدا كنت انهم ما قدموا
الي الخليج الذي هو قبال قصري لانهم لو كانوا
قدموا اليه لكانوا صعدوا وراوا العمار قدامهم وهجموا
علي ونهبوا كله عندي من الاموال والذخيرة ثم اني
تحققت بهم جيذا فرايتهم انهم انكليز بني جنسي
ولوقت اصعدوا من القارب ثلاثة رجال خالبيين
السلاح مربوطين من اياديهم ورجليهم فلما ضاع
علي الامر وما عرفت ايثارهم ولا ماذا يريدون ان
يفعلوا اشرت لجمعة ان يصعد ايضا الي الجبل ويحقق

نظره بهم ويخبرني بامرهم لان نظره كان فريدا .
 فلما تطلع قليلا اخبرني قائلا اني اري اناسا انكليز
 ياكلون لحم الاسرا كمثل الشعب البربر فقلت له
 اسكت ماذا تقول كيف ان الانكليز ياكلون لحم البشر
 كمثل البربر فقال لي اني اقول لك للحق انهم ياكلون
 لحم البشر فقلت له انت منوهم وعيناك مصورية ولا
 انت ناظر جيدا لان هذا الامر من اعجب العجائب
 ان الانكليز ياكلون لحم البشر كمثل الوحوش
 الضارية وهذا ضرب من المستحيل ثم اني حزنت
 جدا ليس فقط كوني ارسلت الاصپانيولي واما
 جمعه ان يذهبوا ولكن لست بقادر ان اطلق الرصاص
 من عندي اليهم لانهم بعيدون منهم اكثر من
 رمي رصاصة وان هجمت عليهم كما هجمت
 سابقا علي البربر فاخاف ليلا يكون معهم سلاح
 فيقتلوني قبل ان ادنو منهم ولما تحققت باساحتهم
 جيدا فما رايت معهم لابندقية ولا طبنجة سوا سيوفهم
 وظننت انهم يريدون ان يقتلوا المكتفين ويقطعونهم

بسبب سوء فهمهم ولكن بعد ما اعبدوهم من الشاطي
 حلوا وثاقاتهم واطلقوهم ان يذهبوا اين ما يريدون
 اما البحريون الذين اخرجوا المحابيس وسابوهم في
 الجزيرة فخرجوا الي الجزيرة قاصدين ان يجولوا فيها
 وينظرونها ولقلة فطنتهم ووعيدهم ما افكروا عن القارب
 الذي جاوا به لكنهم تركوه وحده فجزر البحر وبقي
 القارب تاهلا علي القاع بعيدا من البحر فاثنان منهم
 شربوا خمرًا وسكروا ووقعوا نائمين كاللحجارة فالذي
 كان صاحيا بينهم اتي الي القارب فراه تاهلا وقد
 رسخ بالطين رسخا ثابتا فصرخ علي اوليك ان
 ياتوا ويزيخونه معه وينحفوه الي البحر فلما سمعت
 كلامهم اعطيتهم اذني لاسمعهم جيدا فسمعت احدهم
 يقول للاخر جاك اتركة يايعقوب ودعنا نصبر الي ان
 ياتي المد فيعوم وحده فمن هذه الكلمات عرفت انهم
 ابنا بلدي فكنت ميقتا جيدا ان المد ما ياتي
 قبل عشر ساعات ويظلم الوقت فانا اتقدم الي
 عندهم وهم ما ينظروني وعند ذلك اقدر اتقدم

لديهم واسمع مقاولاتهم واعرف قصدهم ثم اتي
استعديت ولما صار الوقت حملت ثلاثة بندقيات
علي كتفي وعطيت جمعه ثلاثة بندقيات اخرات
ما عدا فروتي وطرطوري والذي كان يراني كان
يفزع مني ظاننا عني انني احد الملوك القياصرة
لا سيما ان بري الطنجتين معلقتين في خزامي وسيفي
مثل علي جانبي فالثلاثة الذين كانوا مربوطين ذهبوا
وجلسوا تحت ظل شجرة بعد يدين مني مسافة ربع
ميل فاقتربت اليهم من دون احد يسمعني وجمعه
ورايني يلحقني . فلما اقتربت منهم صرخت عليهم
باللغة الاصبانيولية قايلًا من انتم يا فلان قلت
هذا وابنت لهم ذاتي فلما راوني انبهتوا وفزعوا نظرا
لغلاظة اللبس الذي اسمعتهم ولبسي المهيب فحمدوا
وما ردوا علي ادني كلمة ونظا هروا لي كأنهم يريدون
الهروب لخوفهم مني . ثم اني كلمتهم باللغة الانكليزية
وقلت لهم لا تخافوا انكم قد ظفرتم برحمة من عند
الله وقد حظاكم تعالي بواحد الذي انتم تترقبون

اعانتة فنط واحد منهم وقال ان هذا الذي يكلمنا
لابد هو من السما قال هذا ورفع برنيطته من علي
راسه واحترم لي وقال يا سيدي ان رجانا قد انقطع
من هذا العالم فقلت له كن مطمئنا لان الاعانة
كلها من السما ولكن يا اخي لما رايت الفعل الذي
فعلوه معكم هولا الناس القساة القلب وكيف
اطلعوكم من القارب مكتفين اشتعل قلبي في وبديت
افتكر باي شي اقدر ان انجدكم من اياديهم والان
اريد ان افعل كل جهدي واخلصكم فرد علي قايل
وهو ينتحب هل اني اتكلم مع الله اومع انسان
فانا متدخل عليك يا سيدي ان تخبرني عن ذاتك
هل انت انسان اوملاك فقلت له اني رجل انكليزي
طالب ان انجيكم واخلصكم وما تجدون احدا في
هذه الجزيرة كلها سوا عبدكم المتكلم معكم فالان اخبروني
عن حالكم وقصوا علي قضيتكم وها انا اعطيكم
سلاحا وكلما تعتازون اليه لتشهيل نفوسكم فقال
ان قصتنا طويلة ولاي الان فرصة ان اوضحها لك

بالتفصيل والبيان فبالاختصار انني صاحب هذا
 المركب الذي ربحا رايته وبحريتي تقمقمو علي
 بهتاناً وعصوا . ثم ربطوني انا وكاتبتي وهذا المسافر
 واخرجونا علي هذه الجزيرة فاو لا كان قصد هم ان يذبحونا
 كلنا واما تعالي فشا بسلامتنا وطرح في قلوبهم
 فابقونا وما ذبحونا مع اننا ما كنا مصدقين ان نخلص
 من بين اياديهم . فقلت له هل ان اعداكم سافروا
 وتركوكم ههنا فاجابني قايل لا لكنهم نايمون قبالك
 فاشار الي بيده معلنا لي مكانهم ففرعت للوقت
 ليلا يسمعون فياتون علينا ويهلكونا فسالته بصوت
 واطر هل عندهم بنديقيات او طينجات فقال عندهم
 بنديقتين فقط واحدة تركوها في القارب والاخري
 معهم . ثم قال لي ايضا ان هذا الامر الذي فعلوه
 معي كان سببه من اثنين واما البقية فمالوا الي
 مرامها فقط ولكن اذا عدنا الاثنين الذين قلت عنها
 فالبقية ينطبعون ويطيعون لنا ويرجعون كما كانوا
 اولاً فلما انباني عن كل شي اعطيت لكل واحد منهم

بندقية وبارود ورضاص والتفت الي الاعداء وطلقت
 النار بهم وقتلت واحد من اعداء القبطان وصوبت
 الاخر صوابا مميتا وبدا يصرخ الي احد ان ياتي ويعينه
 اما القبطان فاتي اليه وقال له ابكم يا اجري الي
 الان تتكلم قال هذا القبطان وطخ راسه بعكس
 البندقية ونزع حيوته * ثم اني حالا حشيت البندقية
 ايضا وقصصتها فاصبت ثلثة اخرين صوابا ليس
 بقتول ولما بادرت اليهم صرخوا الي قايلين اعف عنا
 وارحمنا اما القبطان فسمح لهم واراد ان يحلفوا له
 يمينا وينشرون القلوع ويعملون كل مصالح المركب
 من غير تمرد فاجابونا بالايجاب وفعلوا كل ما امرناهم
 ان يفعلوه * فقلت للقبطان حينئذ كتفهم وخذهم
 الي المركب مربوطين فسمع مني وكتفهم ولما كنا
 ملبوكين مع البحريين امرت جمعة ان يذهب الي
 عند كاتب القبطان ويقول له ان يذهب ويحرس
 القارب وامرته ايضا ان ياتي بالقلوع والمقاديف فلما
 راوا بقية البحريين ان القبطان مسلطهم اختضعوا

له وسلموا له اكتابهم ان يفعل بهم كيفما يشا
 ولما انتهينا من عملنا واطمانينا علي نفوسنا بديت
 اقص قصتي علي القبطان وكاتبه والمسافر وكيف
 جري لي من الاول الي الاخر وبعد ذلك اتيت
 بهم الي قصري الصغير واطلعتهم علي ساير ما اني
 قاصد ان اعمله وبعد ما انتهيت من كلامي بدينا
 نشاور كيف نفعل هل نقدر نذبر المركب ونسافر
 فقال القبطان ان البحريين الذين بقوا في المركب
 مقدار ست وعشرين نفسا لكنهم ايضا متعادون
 معنا ويخاف منهم لانهم عالمون قد اجرموا مع اورفاقهم
 ولصلابتهم وشدة باسهم يخاف منهم وانه خطر
 لنا ان نرافقهم لانهم اكثر منا جدا فقلت له ان
 هذا الكلام محقق وعديم الشبه ولكن يسوغ لنا ان
 نرسخ علي امر فقال الامر الذي نرسخ عليه اننا نكسر
 القارب اولاً ثم ارتائنا هكنا وكسرنا جانبي القارب
 وحرقناه في وسطه حرقا واسعا حتي انه غير ممكن
 بسير الي المركب واما الذين علي ظهر المركب صفروا

وصرخوا واشروا للذين في الجزيرة ان يذهبوا اليهم
 ولا كان احد يجيبهم ولذلك احوجتهم الضرورة ان
 يرسلوا قاربا اخر الي البر وفيه عشرة رجال مسلحون
 ليبحثوا عنهم وهولا كانوا معروفين عند القبطان
 من اي قماش هم ثم اخبرني القبطان قايلا ان
 بينهم ثلثة فتیان بريون وميلهم الي الشر لخوفهم
 من البقية فانا شجعته وقويت قلبه ان لا يخاف
 منهم ابدا . واما الاسرا فباقيين معنا مربوطين ما
 عدا اثنين عديمي الذنب اخذناهم معنا لمعونتنا .
 فافتكرت ثلوقت اننا قادرون علي الوقوف في ميدان
 الحرب فلما وصلوا الي الشاطي البحريون وراوا القارب
 في تلك الحالة ليس فقط صرخوا وعجوا ولكنهم قوصوا
 بندقياتهم ليسمعوا ارفاقهم ولكن تعبههم كان
 باطلا لان واحد ما جاوبهم فاندهلوا من هذا واخذتهم
 الحيرة وظنوا ان ارناقهم قد قتلوا فتراوا لنا انهم
 يريدون الرجوع الي المركب ومن هذا الامر
 تغير وجه القبطان واكتتب جدا ثم ان الذين

جاءوا بالقارب ارسلوا منهم ثلاثة ان يذهبوا ويدوروا
علي ارفاقهم وهم خرجوا علي الشاطي ينتظرونهم
الي ان يرجعوا فلما اتوا الي الزور قريبا من قصري
القديم لانهم من ذلك المكان يقدرّون ان يمدوا
نظرهم بعيدا وبدوا يصرخون وينادون لارفاقهم
حتي انسح حسهم واذا راوا ان ولا واحد يجيبهم اتوا
وجلسوا تحت ظل شجرة فقلت للقبطان اننا لا
نقدر نفعل شيا معهم حتي الليل وارت ان احتال
حيلة وابعد البقية من القارب ولما كنا نتشاور
كيف نعمل ما اري والا هم نهضوا كانهم مصروعون
وتوجهوا ناحية البحر فامرت جمعة وكاتب القبطان
ان يذهبوا الي غربي الخليج ويصرخا هناك باعلي
صوتها ثم يدخلوا في الزور من دون احد يراهما
وياتيان الي عندنا وهذه المشورة كانت عظيمة
جدا لانها لما فعلا ما امرتها به فالبقية الذين
كانوا علي الشاطي منتظرين ربعم خلفوا ثلاثة عند
القارب واتبعوا اثر الصوت واتوا الي غربي الخليج

حيث جمعة وكاتب القبطان صرخا واذا انهم راوا احدا صرخوا علي الذين خلفوهم عند القارب ان ياتوا بالقارب الي عندهم ويعبروهم ولوقت قمنا نحن سوية وقطعنا طريقهم فقعدهم القبطان زنادة وطلق النار فقتل واحدا منهم وصوب الثاني واما الثالث فكان عديم الذنب فاتفق معنا وصار من حسبنا فتاخر الوقت علي اوليك فلما اتوا الي القارب وجدوه ثاهلا علي الارض والذين ابقوهما عند القارب راوهما واحدا ميتا والاخر مصوبا فهربوا زايطين ويصرخون قايلين يالهامن وقعة ان الجزيرة بها شياطين والان يريدون ان يهلكونا كلنا واما ارفاقي فارادوا ان يهجموا عليهم لكنني انا ما خليتهم حتي اعرف غاية الامر اما جمعة والقبطان فحبيا بين الاشواك والشجر ومشيا عليها حتي اقتربا منهم ولما حار القبطان من حيال ملازم القارب فما تمهل لكنه اطلق النار وقتله حالا وجمعه ايضا تبعه وصوب الاخر الذي كان واقفا حذاه • ثم

اني انا مشيت بعسكري كله عليهم والوقت قد
اظلم فامرت الذين فضلوا في القارب ان يدعهم
كل واحد باسمه ويخوفهم فقام وبدا يصرخ عليهم
قايلا ياتوما للحداد ياتوما للحداد للحقوني فاجابه
من انت فقال له بحب الله اغيثوني والا الان
كلكم توخذون اسرا والموت يحل بكم فقال له
توما ما الخبر فقال له ان القبطان اتي الي مع جوق
عظيم وقبضوني اسيرا وصوبوا ويلغير وقتلوا ملازم
القارب فقال له اتريد ان نخاصصكم بما وقعتم
انتم فيه . ثم ان القبطان صرخ عليه وقال له
انت ياتوما ما تعرف بموتي هلم الي ههنا ولك
الراي والامانة مني مع عدا اللحج حمودا ففرع
الحج حمودا وقال ماذا فعلت اكثر من الاخر من
الشر فاللحج حمودا زور بكلامه لانه هو الذي مد
يده علي القبطان وكتفه ثم قالوا له اطلب
الراي والامان من الوزير لاني هكذا دعيت
كوني متملك علي الجزيرة فامرتهم كلهم

ان يلقوا اسلحتهم ويغطون اكنافهم للربط واعتقلناهم
 في القارب . ثم ان القبطان بدا يهجمهم ويعاتبهم
 علي فعلهم القبيح الذي فعلوه معه وقال لهم ان
 حاكم هذه الجزيرة هو رجل انكليزي واراد ان
 يحوشكم عنده هنا لكنه اخيرا ارتاي ان يرسلكم
 الي انكلترا اما هم فبدوا يتخشعون ويتدخلون علي
 القبطان ان يسامحهم ولا يواخذهم بما فعلوه معه
 وتوسلوا اليه ان لا يرسلهم الي انكلترا وهذا جوابهم
 كان حسب مقصودنا اي اننا نريد ان نخلي
 المركب منهم . وبعد ان ارسلناهم الي المغارة
 محبوسين قلت للقبطان اذهب وتحالف معهم
 باسمي وقل لهم ان اصلحتهم نيتكم ووافقتمونا واجتهدتم
 بمداواة المربب فلكم الامان والاطمان منا فراح
 وكلهم بما امرته به فاجابوه نحن طايعون وليس
 انهم يفعلون ذلك فقط لكنهم يقاتلون عنا الي اخر
 نسمة حيوتهم وكل من يجتري ويفعل شيا خلاف
 القانون ويحصل منه زلة ما فيعتقل ويستاصل .

فلما تحقق منهم هذا القبطان حل وثاقاتهم وعتقهم
واخذ معه بعضا منهم وذهب واصلى القارب وسلمه
بيد المسافر الذي كان معه ووكلة عليه واعطاه
ايضا اربعة رجال مسلحة اما هو وكاتبه وخمسة اخر
ذهبوا في قارب اخر . ففي نصف الليل اتينا الي
المركب فقلنا ماذا نفعل حتي نطلع الي فوق
فالقبطان قال لروبنصن اند عليهم وقل لهم اننا
نعيننا جدا وقاسينا عنا لايوصف حتي وجدنا الرجال
ولما كان مشغولا معهم في الحديث صعد القبطان
علي المركب هو وكاتبه والبحريون فتحمي القبطان
وضرب الكاتب الثاني والتجار وطرحها علي سطح
المركب وقبض الذين كانوا علي ظهر المركب واعتقلهم
فلما راوا البقية ما جري بالكاتب والتجار وان المادة
قلبت عليها هربوا ونزلوا في العنبر الصغير ونقبوا
علي العنبر الكبير ودخلوا فيه فاتبعوا اثرهم البحريون
الذين هم من حزب القبطان وقوصوا نايب القبطان
فلقوه ميتا ولما راوا قد مات عقيدهم سلموا

نفوسهم بيد القبطان طالبين منه المغفرة وقالوا له
سلمنا امرنا لك ومها تريد افعل بنا فقال لهم القبطان
ان كنتم ترجعون علي ما كنتم عليه فنقبلكم ولكم
امان الله وان كنتم لم تزلوا خائنين فنقاصكم
وننتقم معكم فاقرروا كلهم بالطاعة والخضوع . وهكذا
خلصنا المركب من ايادي المعتصبين وخضعناهم
كلهم فقام للوقت اقبطان واطلق مدافع كثيرة
علامة للفرح والسرور وحمدنا الله علي استظهارنا علي
الاعداء فقد منا المركب الي فم الخليج ورسينا هناك
بسالم . فقام القبطان وقال لي اننا كلنا عبيدك
والمركب مركبك وكلما فيه لك . لانك انت الذي
خلصتنا من الموت الضريع قال هذا واخذني بحضنه
وبدا يعانقني وانا ايضا عانقته وفرحنا فرحا عظيما
جدا نظر لنجاته من الموت ونجاتي من الجزيرة . وبعد
هذا اردنا ان ندير امراكيف نفعل فتشاورنا ماذا
نفعل بالمحبوسين الذين تركناهم في الجزيرة فمنهم
من قال ناخذهم ومنهم من قال نتركهم هنا فانا

قلت لهم ان الراي الانسب اننا نتركهم ههنا
 فاستحسنوا هذا الراي فذهبنا انا وجمعة اليهم وقلت
 لهم ان القبطان يريد يقلع من ههنا فان اردتم ان
 تاتوا معنا فاؤل مينة تدخلونها فهناك تصلبون
 وان اردتم ان تمكثوا ههنا فيعفي عنكم ولا يصيدكم
 شي السببة فاتفقوا علي هذا الراي ان يمكثوا في
 الجزيرة فانا ايضا حكيت لهم قصتي كلها وما جري
 لي من الاول الي الاخر ووصيتهم ان يتحفظوا
 بالاعيانويلين اذا اتوا الي الجزيرة واخبرتهم عنهم
 وعطيتهم سلاحي كله والمأونة التي ذخرتها وانبيتهم
 عن كل شي يخص معيشتهم ولما انتهيت من
 كلامي توادعت معهم واخذت جمعة وانطلقت
 به الي المركب وبتنا تلك الليلة هناك في فم الخليج
 وفي الغد صباحا اتيا اثنان منهم عايمين الي المركب
 متوسلين الي القبطان ان يطلعها فوق المركب
 وياخذها معه شاكين حالها كيف ان البقية
 ضربوها وهانوها . فقلت انا للقبطان اصعدهما

الى فوق ودعهما ياتون معنا فاصعدا هما وادبناهما
 ادبا صارما • وهكذا توادعت من الجزيرة في اليوم
 الثاني والعشرين من ايلول سنة الف وست مائة
 وسبع وثمانين ومعى الفلوس والبيغال والشمسية
 والقبع الذي عملته من جلد المعري وكانت اقامتي
 في هذه الجزيرة ثمان وعشرين سنة وشهرين
 وتسعة عشر يوما ووصلنا الى انكلترا في
 اليوم الحادى عشر من شهر حزيران
 سنة الف وستماية وثمان وثمانين
 بعد ما كنت غايبا من بلادي
 نحو خمس وثلاثين سنة
 ورايت ذاتي في ذلك
 الوقت كاني
 في الحلم •

• •

•

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب